

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية محكمة تفتق بالقضا بالانفاينة والعامية لالفن العربيه

- الترجمة في تجربة المغرب العربي
د. علي القاسمي
- التهيئة اللقوية للنحت في العربية
د. عبد الجليل مرتاض
- العرق والمورثات ونسبة الذكاء...
د. ابو بكر خالد سعد الله
- التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص
التي تعتمد اللغة العربية
أ. موسى زمولي
- الانترنيت : دراسة اتصالية ومصطلحية
د. محمود ابراهيم
- تجربة المجلس الأعلى للغة العربية في وضع المصطلحات...
أ. لعبيدي بوعبيد الله

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية.

المدير المسؤول : د. محمد العربي ولد خليفة

رئيس التحرير : د. مختار نويوات

أمين التحرير : د. عثمان بدري

هيئة التحرير

- | | |
|---------------------|--------------------|
| د. صالح بلعيد | د. مختار نويوات |
| د. عبد الجليل مرتاض | د. السعيد شيبان |
| د. عبد المجيد حنون | د. أبو العيود دودو |
| | د. عثمان بدري |

مدير النشر : حسن بهلول

المستشار التقني : محمد الطاهر قرفي

تصنيف : آمال زواني

مجلة اللغة العربية

دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية.
المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرا بالضرورة عن موقف المجلس

التحرير والمراسلة : المجلس الأعلى للغة العربية

6، شارع العقيد أحمد بوقرة، الأبيار - الجزائر

ص.ب . 575 ديدوش مراد- الجزائر

الهاتف : 21 23 07 24/25 (00213)

الفاكس : 21 23 07 07 (00213)

الترقيم الدولي الموحد للمجلات (ر.د.م.م) : 1112-3575

الإيداع القانوني : 2361/2002

المقالات التي ترد إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

محتويات العدد

7	كلمة رئيس التحرير	الدكتور مختار نويوات
11	حركة العاصفة والاندفاع الألمانية - دراسة نقدية -	الدكتور أبو العيد دودو
43	الترجمة في تجربة المغرب العربي	الدكتور علي القاسمي
93	الموقف الملحمي في شعر مفدي زكريا - دراسة استكشافية -	الدكتور عثمان بدري
119	تيسير النحو عند المجمعيين	الدكتور صالح بلعيد
	التهيئة اللغوية للتحفة العربية في العريضة	
		163
		الدكتور عبد الجليل مرتاض

التفكيكية بين النظرية والتطبيق :

كان ما سوف يكون لمحمود درويش أنموذجا

183

الدكتور أسعد عرار

بنيية الإشـ نص الإـ هاري

213

الدكتور محمد عيلان

العرق والمورثات ونسبة الذكاء :

239 نقاش سممه غموض المفاهيم

الدكتور أبو بكر خالد سعد الله

التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص

271 التي تعتمد عليها اللغة العربية

الأستاذ موسى زمولي

299 الانترنت : دراسة اتصالية ومصطلحية

الدكتور محمود إبراقرن

تجربة المجلس الأعلى للغة العربية في وضع المصطلحات

339 قراءة في معجم المصطلحات الإدارية

الأستاذ لعبيدي بوعبد الله

كلمة رئيس التحرير

نقدّم إلى القراء العدد السابع من "مجلة اللغة العربيّة" راجين أن يجدوا فيه بعض مبتغاهم، كلّ حسب اختصاصه وميوله، آملين أن يكون في خدمة اللغة ويساهم في الرقيّ بمستواها في شتى ميادين المعرفة، شاكرين لمحرّريها جهودهم.

المقالات المنشورة في هذا العدد متنوّعة؛ تعالج مواضيع لصيقة بأهمّ قضايانا الرّاهنة في الميادين الاجتماعية والثقافية والتربويّة والفنيّة والعلميّة الخالصة الدقيقة التي ما زال أكثره، ولزمن طويل، حكرا لغيرنا. لكننا فخرٌ، وحقّ لنا أن نفخر، بأنّ الباحثين في بلادنا بدأوا يلجون الصعب ويعرفون أنّ العبء ثقيل والطريق شاقّ والهدف نبيل ويدركون ما يكلف ذلك من معاناة وصبر وحصافة وبعد نظر.

البحث التّزيه مهما بلغ عمقه وبعُد مرماه لا يأمّن الزلزل، لأنّ الإنسان، مهما بلغ من العلم، يخطئ ويصيب. إنّما الأهمّ العطاء الفكريّ المتواصل الرّامي إلى خدمة الوطن والإنسان والعلم والحضارة البشريّة. الوطن في أمسّ الحاجة إلى أبنائه ليضمن أصالته ويتحرّر من العزلة بالتفتّح على آفاق رحبة منعشة ويرتفع مستواه إلى مصافّ العالم المتحضّر.

رأبي المتواضع، كما يقال، أنّ المباحث في هذا العدد من المجلّة، تنحو هذا المنحى بمواضيعها المختلفة ومحتوياتها ومقاصدها. أصيل يبحث عن التجديد والتحسين ليساير العصر ويُسْتَمَرَّ بنجاعة؛ ومستحدث يعبّد الطريق للتعامل مع الدخيل وبخاصّة في التكنولوجيا وما شاكلها؛ وأدبيّات ولسانيّات؛ وتعريف ببعض الآثار الأجنبيّة؛ وغير ذلك ممّا هو من صميم اهتماماتنا في العصر الرّاهن. من أهداف المجلس الأعلى للغة العربيّة نشر هذه اللغة على أوسع نطاق ممكن وترقيتها بكلّ ما أتيح له وما هيأ لنفسه من وسائل. ومن هذه الوسائل

مجلته التي هي مرآة له والتي يأمل أن ترقى إلى ما نيط به من مهام سامية وتحقق مطامحه ، وما أنبلها ! لذلك نسمح لأنفسنا بأن نلفت أنظار الناشئة غير المتمرسه باللغة أو بالبحث ، إلى بعض النقاط التي نعدّها ركنا أساسا لكلّ عمل مثمر .

تعاقت علينا منذ قرون ظروف اجتماعية تاريخية سياسية أورثتنا تخلّفا ثقافيا كبيرا وتبعية لغوية مرهقة في المجالين الفنيّ و العلميّ. ولا أدلّ على ذلك من حركة الترجمة التي عرفناها منذ عصر النهضة والتي تتقدّم بسرعة ويتّسع مجالها وتطالعنا كلّ يوم بجديد. لكنّ قلّة زادنا من اللسان العربيّ جعل غيره من الألسنة ينتقصه من أطرافه ويتحكّم في معاييرها بما يشينها. نعم ! لا بدّ من أن تتطوّر اللغة وتسائر العصر وتكون قادرة على استيعاب المفاهيم الحضارية الجديدة وعلى تمثّلها تمثّلا حقيقيا يزيدها ثراءً واستعدادا لكلّ طارئ. لكنّ التطوّر المجدي واعٍ ، مدرك لحقيقته ولسنن الطبيعة. أمّا أن يكون نتيجة لجهل أو قلّة اكتراث فذلك وهمّ وإيهام لا مراء فيهما. علينا أن نحافظ على سلامة لغتنا لأننا حمايتها؛ ولنا أن نطوّرها وفقا للمتطلّبات على أن نكون واعين لذلك كلّ الوعي. لذلك نرجو من المتخرّجين حديثا من الجامعات ألاّ يحرّروا مقالاتهم إلاّ والمعجمات ، قديمها وحديثها ، بين أيديهم وألاّ يقطعوا الصلة بينهم وبين الدراسات اللغوية ، قديمها وحديثها أيضا ، وأن يكونوا حذرين فيما يقدمون إلى القارئ. فقد كثر تداخل اللغات بسبب حركة الترجمة الواسعة التي لامناص منها لفكّ العزلة عن مجتمعاتنا ، وكثر اللحن في الصيغ وفي التراكيب العربية الأصيلة

بل خضعت الأساليب العربيّة السليسة الناصعة إلى أساليب لا تمت إليها بصلة
فشابتها الهجنة في المسموع والمقروء على اختلاف مجالتهما.

نَلَفْتُ النظر أيضا إلى أنّ بعض الباحثين الناشئين يفرطون في الاستشهاد أو في
الإحالة على المراجع ظلّا منهم أنّ كثرتها تزيد في قيمة البحث وفي إبراز الجهد
المبدول. بل لاحظنا أنّ كلّ فقرة قصيرة كانت أم طويلة وكلّ فكرة سطحية أو
عميقة تحيل إلى مرجع أو مراجع. والحقيقة أنّ البحث بأصالته وعمقه وبعد
غايته ونتيجته المتوخّاة وفائدته المحقّقة بالفعل. والمرجع توثيق وأمانة علميّة
ودليل يرشد القارئ إلى المظانّ التي يجد فيها حاجته إن أراد إثراء الفكرة
المطروحة. أمّا الإحالة في البديهيّات وفي ما لاكته الألسن فسذاجة، والإكثار منها
إلى التجميع أقرب منه إلى الأصيل الفارض نفسه على العقول.

د. مختار نويوات

أستاذ بجامعة عنابة

حركة العاصفة والاندفاع الألمانية

"العبقرية تاج من الشوك، والذوق معطف
أرجواني، يغطي الظهر المنهوش".

يوهان جيورغ هامان

د. أبو العيد

دودو

أستاذ بجامعة الجزائر

كانت حركة العاصفة والاندفاع Sturm und Drang ثورة عارمة في الأدب الألماني، أبرزت مفكرين و شعراء كبارا، وكان لها دور كبير في بلورة بعض نواحي تكوينهم، وفي مقدمتهم هيردر وغوته وشيلر، وقد جرت العادة على اعتبار هذه الحركة، التي كانت في واقع الأمر مجرد مرحلة انتقالية، إعدادا للمرحلة الكلاسيكية، التي تلتها، وقد تجلت إنجازاتها في ميداني الأدب و الشعر. ومن المعروف أن جذور هذه الإنجازات تكمن في الانقلاب، الذي عصف بجميع القيم والمعتقدات الفكرية، وولد لدى الأدباء والشعراء إحساسا عاطفيا آخر، ورؤية كونية أخرى، وخيالا جامحا، تجاوز الحدود المعروفة. ولم تترك هذه الحركة أثرها البالغ العميق في الثقافة الألمانية فقط، وإنما تركت أثرها أيضا في الثقافة الأوربية، وذلك من خلال المفاهيم الجديدة، التي أعطتها للفكر والطبيعة والشعر والحياة وما إلى ذلك. على أن هذا لا يعني أنها لم تكن هي الأخرى قد تأثرت في نشأتها بالثقافات الأجنبية، ولا سيما الثقافتان الإنجليزية والفرنسية¹.

حركة التنوير

قد يكون من المناسب أن نعطي قبل ذلك لمحة عن حركة التنوير، التي سبقتها وهيأت لها ظروف نشأتها، فكانت الحركة الجديدة ثورة عليها بأتم معنى الكلمة، حتى وإن هي لم تعمّر طويلا كما كان متوقعا لها، إذ لم تتجاوز المدة، التي تمت لها فيها السيطرة الكاملة على الموقف الأدبي، العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة، إذ هناك من يجعل بدايتها بمسرحية غوتس فون بيرليخنغن

1. H.A. Korff, Die Dichtung von Sturm und Drang, Leipzig, 1928, p. 34

(Götz von Berlichingen 1771) لغوته ونهايتها بمسرحية اللصوص (Die Räuber 1781) لشيلر، وهناك أيضا من يجعل بدايتها مرتبطة بصدور كتاب "شذرات (1767)" لهيردر ونهايتها ببداية المرحلة الكلاسيكية (1785)، وكانت رغم قصر مدتها جسرا يمتد من عصر الزخرفة إلى الحركة الرومانسية[□].

تطلق كلمة التنوير Aufklärung في الألمانية على الحركة الفكرية، التي امتدت على التقريب من سنة 1700 إلى 1770، من ناحية، وعلى بعض المذاهب والاتجاهات، التي قام عليها التطور الأوربي بصورة عامة منذ نهاية العصر الوسيط، الذي يكون مرحلة هامة من حركة التنوير هذه، من ناحية أخرى. والتنوير، كما عرفه كورف، يعني الاعتراف بالحق الطبيعي لكل إنسان في تقرير مصيره وفي تحقيق حريته الشخصية. وكان هذا الاعتراف، إذا ما نظر إليه من جانبه التاريخي، بما عرفته طبيعة التنوير نفسها من تطور بطيء. فالعصر الوسيط لم يكن يعرف شيئا عن هذا الحق، إذ كان جوهره يقوم على حقوق من كانوا يعتبرون أنفسهم قوامين على الشخصية الفردية، وهم رجال الدين، والنبلاء، ورؤساء النوادي والجمعيات وغيرها. وقد كانت كلها تعد سلطات أرفع مكانة من الشخصية الفردية، فكان الفرد عضوا في الكل، وكان الكل يتخذ قيمته من جمعيته ومن طبقته ومن سيده ومن معتقده[□].

كان هذا كله طبيعيا في ذلك الحين، ومن ثم تغيرت نظرة حركة التنوير إلى العصر الوسيط، إذ تنبه دعائها إلى أن الأمور سارت وتسير فيه بصورة غير

1. E. Berenner, Deutsche literaturgeschichte, Wels, 1956, p. 43.

2. Pascal, Roy, Der Sturm und Drang, Stuttgart, 1963, وما بعدها 7 ص. باسكال، ص.

طبيعية، فليس من الطبيعي أن يرتبط وجود الفرد بوجود الجماعة الفكرية والسياسية والاجتماعية، وإنما الطبيعي أن يكون له الحق في تقرير مصيره. ولهذا كانت حركة التنوير تعني تحطيم ثقافة العصر الوسيط بواسطة فكرة الحق في تقرير المصير، وهي فكرة تقوم على أن من حق كل إنسان أن يؤمن بما يراه مناسباً له، ويفكر بالطريقة، التي يحلو له أن يفكر بها، وأن يعمل ما يريد هو عمله لا ما يريده غيره على أن يعمل، إلا أن عليه أن يتحمل في الوقت نفسه مسؤولية أعماله سواء أكان ذلك في دنياه أم في آخرته، وأن زعامة الجمعيات والهيئات على اختلاف أنواعها ليس لها أي اعتبار إلا إذا اعترف الفرد بها وآمن بضرورة وجودها ومنفعتيها، ولعل بذور الوجودية فيما يتصل بالحرية والمسؤولية قد استمدت من هذا الاتجاه التنويري الجديد!

لم تقتصر حركة التنوير على جانب واحد، وإنما شملت الفكر والدين والسياسة، وامتدت إلى العلاقات السياسية والاجتماعية[□]. ومن ثم يستطيع الباحث أن يتتبع حركة التنوير في تاريخ العقيدة المسيحية وفي تاريخ الفلسفة، والحياة السياسية والاجتماعية، والتطورات العلمية بصورة عامة وكذلك في تاريخ الشعر والأدب، وذلك على الوجه الآتي :

أ - كان التنوير من الوجهة العقائدية يعني الحرية الدينية، وهو تقريبا نفس ما عبر عنها الماركيز بوزا في مسرحية شيلر عن الحرية حين خاطب الملك في مسرحية دون كارلوس قائلا : "سيدي الملك، امنحنا حرية الفكر!"[□]. وقد كان

1. كورف، ص. 3.

2. قاموس كيندلر، ج 15، 6633، Kindlers Literatur Lexikon, München, 1974.

الأمر في الفترة، التي سبقت الإصلاح الديني، على خلاف ذلك، إذ كانت السيطرة للعقيدة، التي كانت تفرضها الكنيسة الكاثوليكية، لكن المصالحة الدينية، التي تم إبرامها في أوسبورغ، فرض صيغة أخرى للعقيدة، مؤداها *cuius regio eius relegio* ومعناها أن من له الأرض له الدين، أي أن ما يعتقد الإنسان يقرره مالك الأرض. أما التنوير فدعا إلى الحق في حرية العقيدة والتسامح مع العقائد الأخرى في الوقت نفسه. وقد عبر عن هذا الاتجاه الجديد "ناتان الحكيم Nathan der Weise" لليسينغ حين ركز على الدعوة إلى الاعتراف بالديانات الثلاث ودعا إلى التعايش السلمي فيما بينها، زيادة على ما نادى به من أنه ليس لأي دين الحق كل الحق في أن يدعي أن الحقيقة الموضوعية بجانبه وحده، فالمهم أن تكون للإنسان عقيدة لا غير، لأن حقيقة الأديان نسبية، لذلك ينبغي أن يترك الفرد وشأنه مع الديانة، التي يرتضيها لنفسه [□].

لقد ادعت الكنيسة في العصر الوسيط أن الحقيقة بيدها، وبناء على ذلك جندت نفسها لمحاربة كل من خالفها ورفض الخضوع لسلطتها. على أن التنوير لم يكن يعني الحرية الدينية فقط، وإنما كان يعني أيضا نشوء ديانة جديدة. وكان لمعنى التنوير في المجال الديني شيئان :

1. الحق في ديانة خاصة بصورة عامة،
2. استعمال هذا الحق في إنشاء دين جديد أو بعث ديانة متنورة.

ب - بدأت حركة التنوير في القرن السادس عشر، ووصلت إلى مرحلة النضج في المثالية الألمانية مع نهاية القرن الثامن عشر، حين أصبحت الخلفية الفكرية لعصر غوته من خلال بروز أفكارها في فورة العاصفة والاندفاع، واتساع هذه الأفكار ونفوذها في الحركة الرومانسية. فالفكر هو أصل الوجود وخلفيته الدائمة ومعناه النهائي، وهو مركز القوة، الذي يمسك نظام العالم العضوي المتصور في وحدة متناسقة. لقد قامت حركة التنوير على الربط بين ثلاثة عوالم فكرية، هي الديانة المسيحية، والفلسفة الإغريقية، والعلوم الطبيعية الناشئة، لكن هذا الربط لم يكن ليتم إلا بعد إبراز العناصر المتقاربة فيما بينها وإبعاد بقية العناصر الأخرى، التي لا تمت إليها بصلة. من المعروف أن هذه العملية قد تمت في تاريخ الفكر الأوروبي فيما بين 1500 و1800، تم الواحد منها بعد الآخر: الديانة المسيحية، التي تمثلت في الإصلاح الديني، والعلوم الطبيعية، والفلسفة، وكان الفضل في ذلك يعود علماء وفلاسفة كبار، كان آخرهم جيورج فريدريش فيلهلم هيغل (Georg Freidrich Wilhelm 1831-1770)، الذي يعد وريث الفكر العالمي كله. ومن الممكن إضافة إلى هذا الجمع بين هذه المسائل الثلاث، أي: المسيحية، والفلسفة الإغريقية، والعلوم الطبيعية، على أنه منحى جديد في التفكير قام على أساس من العلوم الطبيعية، وكانت له طريقتة الفلسفية، حتى إنه استطاع أن يشكل في النهاية نزعة دينية. وقد تم تكوين هذه النزعة من ثلاثة خطوط مختلفة، تمثلت في □ :

1. تطور العلوم الطبيعية،

2. قيام العلوم الطبيعية على أساس من المعرفة النقدية،

3. تحويل العقيدة الدينية إلى نوع من التدين الحر.

وارتبطت هذه الخطوط بعضها ببعض، رغم أنها بدت في أول الأمر وكأن كل واحد منها يسير في اتجاه معاكس، وذابت أخيرا في العلوم الطبيعية عند يوهان فولفغانغ فون غوته (Johann Wolfgang von Goethe 1832-1749) من خلال بحوثه المتعلقة بالطبيعة وبنظرية الألوان، وفي نظرية المعرفة أو النقدية عند كانت، وفي النزعة الدينية عند يوهان غوتفريد هيردر (Johann Gottfried Herder 1804-1744). وطبيعة هذا المذهب في العلوم الطبيعية لا تنطلق من الإله، الذي كان منطلق اللاهوت أو العقيدة الإلهية في العصر الوسيط، وإنما تنطلق من الطبيعة نفسها، فالطبيعة هي الواحد الكل، فالإله في الطبيعة، والطبيعة في الإله، ولا معنى لإله يأتي من الخارج كما يقول غوته [□].

ومن ثم لم يعد حل ألغاز الحياة جميعها ممكنا إلا عن طريق التعمق في معرفة الطبيعة، وبذلك أصبحت العلوم الطبيعية ترى أنها تنفرد بالحقيقة، التي كانت الكنيسة في العصر الوسيط تدعي الانفراد بها. وإذا كنا لا نستطيع أن نعرف العالم ونفهم الحياة عن طريق العلوم الطبيعية، فإن موهبة الخيال تكمل ما نفتقده من معرفة اعتمادا على تجارب الحياة. ومعرفة الطبيعة تساعدنا هي الأخرى على إنارة دائرة حياتنا الطبيعية، أي أن ذلك يتم على أساس من المعرفة المتبادلة [□]. بناء على ذلك صار هذا المذهب دنيويا طبيعيا، وهو ما لم تصل إليه

1. نفسه، ص. 10.

2. Goethe. Faust Der Tragödie erster und zweiter Teil Urfaust, München, 1978, p. 360.

الكنيسة في العصر الوسيط، ولم يكن التنوير ليعني أكثر من تنوير قيم الحياة الحقيقية، وهي لا تكمن في الحياة الأخرى، التي تقوم على التصور المجرد، وإنما تكمن في هذه الحياة ذاتها. فبعد أن اخترق فاولست حدود العلوم المدرسية، طمح إلى التجربة، التي اعتبرها منبع العلوم والقيم الحقيقية. لم تكن السعادة تهمه، كل ما كان يهمه هو أن يشعر أنه يحيا، ولهذا يقول [□] :

أحس الجرأة على دخول الدنيا
وأتحمل ألم الأرض وسعادتها،
ومصارعة العواصف بكل عنف،
ولا تؤنسني طقطقة السفينة الغارقة.

هكذا عبّر في هذه الأبيات الأربعة عن رغبة الإنسان المستنير في الدنيا، وعندما نسمع آخر اعتراف لفاولست القديم، نحس في عبارته نغمة الإيمان المطلق بالدنيا وإرادة الدنيا عند الشاعر [□] :

قد اتجهت أنظارنا إلى هناك،
وغبي هو من يوجه بريق عينيه عاليا
ويتخيل مثيلا له فوق السحب !
قد قضي الأمر، فلينظرها هنا حوله،
فما هذا العالم بأبكم في نظر الماهر!
ويقول غوته عن الحياة :
كيفما كان الأمر فإن الحياة جميلة !

3. كورف، ص. 12.

1. نفسه، ص. 13.

والإحساس بجمال الحياة يعني التمتع بها، وهو ما أشار إليه فوست القديم، حين حصر رغبته بين سؤالين :

أيحيط بنا هاهنا عبير سحري ؟
 هناك ما يدفعني إلى المتعة الفورية،
 وأحسني ذائباً في أحلام الحب !
 أيعبث بنا كل ضغط هوائي ؟

وكان عصر التنوير يدعو إلى التفاؤل، كما نجده في دعوة غوته إلى التغلب على آلام الحياة، بقدر ما كان يدعو إلى التشاؤم كما نجده عند آرثر شوبنهاور (Arthur Schopenhauer 1860-1788)، الذي لم يكن يرى هدفاً لطموح الإنسان، ولا حداً لآلامه، ولا معنى لحياة يائسة بائسة، ومن ثم لم يكن التفاؤل عنده سوى طريقة من طرق التفكير الدنيء[□].

ج - قام المنهج الاجتماعي والسياسي لحركة التنوير على شعارات الثورة الفرنسية، ولكن الحرية احتلت فيه مكان الصدارة، وتلتها المساواة في درجة أقل منها، بينما احتلت الأخوة أدنى درجة. وقام التنوير بعدئذ على الحق في تقرير المصير بالنسبة إلى الفرد في الدولة، وكان الفرق بين الدولة الحديثة والدولة في العصر الوسيط يتجلى في أن فكرة الأولى تقوم على ما للإنسان من حقوق، بينما تقوم الثانية على ما للإنسان من واجبات. فكان التنوير السياسي يعني إذن إطلاع الفرد على حقه في تقرير مصيره، وهو الحق الذي كان العصر الوسيط قد حرّمه منه. وقد أدى ذلك إلى ما يلي :

أ- دعوة الإصلاح الديني إلى الحرية، كما نجدها عند لوثر.

ب- بداية التطور الفلسفي من فرضيات غير دينية (غير مسيحية) وغير كنيسية.

ولكن هذه الفرضيات لم تكن لتصل بالضرورة إلى نتائج تتنافى مع المسيحية. فقد حاولت فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر بطرقها الخاصة الإجابة عن الأسئلة، التي أجابت عنها الديانة المسيحية. وكانت البرهنة على وجود الإله وإلهية العالم وخلود الروح من المسائل الأساسية في الفلسفة الحديثة كما كان شأنها في الكنيسة أيضا. وقد أطلق على هذا المذهب، للتفريق بينه وبين الدين المنزل، اسم الدين الطبيعي. فقام الصراع باسم هذا الدين الطبيعي بين الفلاسفة المستنيرين، الذين فقدوا إيمانهم بتضحية المسيح بمعناها اللاهوتي، وبين معارضيه، وكان فولتير قد سبقهم إلى ذلك، ومن المعروف عنه أنه كان صديقا للملك البروسي فريدريك الأكبر، الذي كان قد استدعاه إليه، لأنه كان يريد أن ينشئ معه دولة يقودها الفلاسفة، كما تصورها أفلاطون قديما، وكان الناقد والفيلسوف الألماني غوتهولد إفرايم ليسينغ (Gotthold Ephraim Lessing 1729-1781) قائد هؤلاء الفلاسفة، لكن تنكر الملك لأبناء وطنه، واحتضانه للأجانب من الفرنسيين، على ما عرف به بعضهم من تحايل وسمسرة، لم يكتشفهما إلا في فترة موابية، لم يمكناه من ذلك. وكانت فكرتهم، التي عبر عنها ليسينغ في كتابه "تربية الجنس البشري (Die Erziehung des Menschengeschlechts)"، هي: التغلب على

الدين العقائدي بواسطة الإنسان نفسه. ويفرق ليسينغ في الدين بين ثلاث درجات □ :

1. تربية الصغير على أساس من الجزاء والعقاب المرتبطين بطاعة الإله.
2. حث الكبير على عمل الخير نظير الجزاء والعقاب السماويين.
3. وصول الإنسان إلى الكمال يدفعه إلى عمل الخير وتجنب الشر والسلوك الحسن لا من أجل الجزاء والعقاب، وإنما بدافع من إرادته الطبيعية. وهذه الدرجة يسميها ليسينغ المملكة الثالثة، وفي هذه المملكة تصبح الديانة، أي تصور الإنسان أن هناك قاضيا للدنيا والجنة والنار عديمة الجدوى نتيجة للتأثير التربوي الذي أحدثه الدين في الإنسانية منذ آلاف السنين. الدين العقائدي في نظر ليسينغ شر لا بد منه ما دام الإنسان يتصور دوماً أن هناك إلهاً ينتقم من العصاة وينزل العقاب بهم، وهو شر لأنه كان سبباً للحروب الدينية، التي قامت في أماكن مختلفة من أوروبا وغيرها وزلزلت أركانها الثابتة. وأجمل ديانة عنده هي تلك الديانة التي تجعل الإنسانية نبيلة إذ تصبح هي نفسها لا طائفة من ورائها ولا يبقى منها في النهاية إلا ما للأديان الأخرى : الدين الطبيعي. كان هدف التنوير تجريد المسيحية مما يميزها وتحويلها إلى دين ليس فيه شيء عقائدي من جهة، ويتناسب مع التصورات الحديثة عن العالم من جهة أخرى، كما نجدها عند غوته وهيردر وفريدريش شلايرماخر-1834 (Friedrich Schleiermacher)

1. بول هازار، الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر، ترجمة الدكتور محمد غلاب، القاهرة 1959، ج 2 ص. 168 وما بعدها.

(1768)، حيث يتخذ التفكير شكل المفهوم والحكم، ويفترض وجود أحدهما وجود الآخر.

ج - نشوء صورة العالم الحديث بعيدا عن الكنيسة وارتبطت بالعلوم الطبيعية الحديثة وبالفلسفة. وكانت الفلسفة هي التي أخذت على عاتقها تحديد معارف العلوم الطبيعية وتطهيرها مما يدخل في مجالات العلوم العقلية. ومن هذه اتجه الفكر الألماني إلى المثالية، التي تكمن فيه. والصراع من أجل حياة مثالية تم في القرن التاسع عشر، وتمثل أولا عند كانت في فلسفته الأخلاقية، ثم بصورة أشمل عند غوته في نزعته الإنسانية. □

حركة العاصفة والاندفاع

استمدت حركة العاصفة والاندفاع، وتدعى أيضا "عصر العبقرية Geniezeit" أو "فترة العبقرية Genieperiode"، اسمها من مسرحية "الفوضى Wirrwar" لفريدريش ماكسيميليان كلينغر (Friedrich Maximilian Klinger) (1772-1831)، مواطن غوته وصديقه في أيام شبابه □. وكان كريستوف كاوفمان (Christoph Kaufmann)، هو الذى أطلق عليها اسم العاصفة والاندفاع على الحركة كلها، وكان أحد دعاة العبقرية الجديدة، ومع ذلك لم يعد له من ذكر اليوم إلا عند ما يدور الحديث حول نشأة هذه الحركة الأدبية، التي كانت انتفاضة، تحولت إلى ثورة، مثلها شبان من مواليد منتصف القرن

1. Biese, Alfred, Deutsche Literatur Geschichte, München, 1922, p. 605.

□. نفس المرجع السابق.

على التقريب، اتخذوا لأنفسهم اسم العبقریات الأصيلة، وقد تفرعت إلى مجموعتين، تكمل إحداها الأخرى [□].

1. المجموعة الراينية، نسبة إلى نهر الراين، ويتسم نتاج أفرادها بالصبغة الوطنية والاجتماعية، ويحتل المركز منها كل من فولفغانغ غوته ويوهان هيردر أيام إقامتهما في مدينة شتراسبورغ بصورة خاصة، وشيلر، ثم ياكوب لينتس (Jakob Lenz 1792-1751)، وما كسيميليان كلينجر، وفريدريش مولر (Friedrich Müller (Maler 1759-1825)) في مسرحيته "غينوفيفا Genoveva" وفاوست Faust، وهانريش ليوبولد فاغنر (Hienrich Leopold Wagner 1779-1747) في مسرحيته "قاتلة الطفل"، وكريستيان شوبارت (Christian Schubart 1791-1739)، الذي كان له تأثير كبير في شيلر.

2. المجموعة الغوتينغية، نسبة إلى مدينة غوتينغن، ويتسم اتجاهها بالصبغة الوطنية والدينية، ومن ممثليها الشاعر لودفيغ هاينريش كريستوف هولتي (Ludwig Heirich Christoph Hultry 1776-174)، والشاعر ماتياس كلاوديوس (Mattias Claudius 1815-1740)، والشاعر يوهان هاينريش فوس (Johann Heinrich 1826-1751)، الذي اشتهر قبل كل شيء بترجمته الرائعة للحمتي هومير، وكذلك غوتفريد أوغوست بورغر (Gottfried August Bürger 1794-1747)، مبدع القصة الشعرية الألمانية، وتعد قصة "إليونوره" من أشهر قصصه. وكانت حظوظ هؤلاء الكتاب والشعراء من العبقرية والشهرة متفاوتة إلى

2. برينر، ص. 83 وما بعدها، ومعجم غوته، ص. 1032.

.Gero von Wilpert, Goethe-Lexikon, Stuttgart, 1998.

حد كبير في بعض الأحيان، وإن التقوا كلهم حول موضوع واحد، هو صراع العبقري مع الحواجز التي أقامها العالم القائم حوله، فجعلت منه بطلاً ثائراً أو مجرماً في كفاحه من أجل الحرية السياسية، والحرية الفردية، والحرية الدينية، ورفع الحدود والسدود والخنادق بين الطبقات، والحق في تقرير المصير.

ما الذي كانت تعنيه حركة العاصفة والاندفاع؟ هل تعد يا ترى تجسيدا لمرحلة العبقرية؟ وهل كان المراد منها العبقريات الأصيلة؟ بمثل هذه الجمل تقريبا يبدأ المؤرخ الأدبي الألماني المعروف فيلهلم شيرر حديثه عن هذه الحركة، ولكنه لا يضع أمام هذه الصيغ الثلاث علامة استفهام، وإنما يضع أمامها علامات تعجب، قد تعبر عن الموقف الذي اتخذها منها! ويصفها بعد ذلك بأنها جلبت الأنظار إليها في فترة تاريخية معينة، يؤكد أن الناس تعودوا أن يطرحوا أسئلة من هذا القبيل سواء تعلق الأمر بالاحتفاء بها أم بالسخرية منها باعتبارها حركة شعرية دينية[□].

ويفهم من العاصفة والاندفاع ذلك الغليان الكبير، الذي عرفه الفكر الألماني، والفكر الأوربي عموماً، بصورة تقريبية فيما بين سنتي 1770 و1780، وتمثلت آثارها المهمة في مؤلفات شبان تلك الفترة، ولا يتسع المجال للحديث عنهم جميعاً، ولذلك نكتفي بالحديث عن أعظم ممثلين لهذه الحركة، وهما غوته

شيرر، ص. 550. Scherer, Wilhelm, Geschichte der Deutschen Literatur, Berlin ,

وشيلر، اللذان عبرا في كتاباتهما الأولى عن هذا التحول الفكري في الميدان الشعري خاصة[□].

وحركة العاصفة والاندفاع تعني بصفة عامة الفكر الألماني في تلك المرحلة، التي وصفت في تاريخ الفكر الحديث بمرحلة عصر التنوير الوسيط. هذا مع أن حركة العاصفة والاندفاع تعد، من عدة نواح في واقع الأمر، الجانب المتطرف من حركة التنوير. ويتميز عصر التنوير بفهمه للعالم والحياة على أساس فكري واقعي تحت انتصار العلوم الطبيعية والفلسفية[□]. ولا يصح في الحقيقة أن يدعي أي واحد من الباحثين والدارسين أن حركة التنوير لم تقم بأعمال جلييلة في ميدان العلوم الطبيعية والعلوم التقنية والطبية وما إلى ذلك، إلا أنه كان هناك من تشاءم من الثقافة الجديدة ورأى أنها تقود إلى الفساد العام.

والمعروف أن نقطة التحول بالنسبة للإنسانية المتنورة في القرن الثامن عشر، قد بدأها ثلاثة رجال، هم روسو، الذي كان قد دعا إلى الفردية، والبروسيان يوهان غوتفريد هيردر، الذي كان يرى أن التاريخ الإنساني ما هو إلا تطور حدث في الطبيعة ولا يفهم إلا في الوسط الطبيعي، وقد قال بهذا الصدد: "لقد أضع قرننا نفسه في الورشات المعتمدة لما يقوم على الفن والعقل، حتى إن الضوء القوي الواسع للطبيعة الأصلية في العصور الماضية لم يعد من الممكن معرفته[□]". ومن هذا القبيل يوهان جيورغ هامان، الذي كان يرى أن الإله والإنسان، والروح

1. كورف، ص. 34.

2. نفسه، ص. 35.

3. بريئر، ص. 84.

والطبيعة، والعقل والإلهام، والمثالية والواقعية، والمادة والشكل وما أشبه ذلك لا يمكن في الحقيقة فصل بعضها عن بعض. واختصر دعوته في صيغة الأمر: "ليكن تفكيرك أقل وعيشك أكثر. Denken Sie weniger und leben Sie mehr! لقد حملت هذه الجملة نبرة ثورية عنيدة في عصر أطلق عليه اسم "عصر التنوير" لأنه خضع للعقل، وقواعد السلوك اليومي، والأخلاق، وفن الشعر، ولم يستطع رؤية ما بين الطبيعة والعقل من فرق، فكان أن حلت "الطبيعة" محل العقل، وحل "العيش" محل التفكير". □.

لقد استطاع هؤلاء الثلاثة أن يهزوا الغرور الثقافي للإنسانية الأوروبية بصورة لم يسبقهم إليها أحد، فأصبحت الثقافة نفسها مشكلة كبيرة. وحركة العاصفة والاندفاع تقوم في الأغلب على النهضة التي أحدثها هؤلاء في الفكر الأوروبي. وقد نشأت بمثابة صراع جيل الشباب مع مشكلة الثقافة، بمعنى ذلك النوع من الثقافة، الذي يقوم على روح العلم ولا يتجاوز حدوده، وما من انقلاب اجتماعي تاريخي إلا يحمل معه، كما يقول لوكاش، إنسانا جديدا، يناضل ضد الإنسان القديم. □. وقد يتساءل المرء هنا ما هي أسس هذا التشاؤم الفكري؟ ما هي أسبابه الخارجية؟ على أنه يجد الجواب على مثل هذه الأسئلة في مؤلفات روسو نفسها. لقد انتقد في أول كتبه ما تتركه العلوم والفنون الجميلة، بعبارة مختصرة انتقد ما تتركه الثقافة الراقية في الجنس البشري من آثار، فقد كانت للعلوم في رأيه آثار معاكسة، والتطور الفكري، الذي عرفه الإنسان الحديث، لم يجعله في وضع

1. نفسه، ص. 85.

2. كورف، ص. 36.

أحسن، ولم يمنحه السعادة، التي كان يطمح إليها. لقد سلبه وضعه الطبيعي الهادئ ليملاًه وعيا بألغاز الحياة، ولكنه لم يقدم له شيئاً مما يساعده على حل ألغاز الحياة[□]. وبذلك دفن سكينته الروحية، التي كان ينعم بها، وحرمه من الرفاهية. ومن هنا فإن الإنسانية عموماً ليست سعيدة كما يتصور أنبياء الثقافة، بل هي ساخطة وشقية، ويعود ذلك إلى ما نجم عن التطور الفكري المبالغ فيه من تحطيم التوازن الطبيعي للقوى الروحية.

وقد ظهر التوازن الداخلي من خلال الشعور بالحياة كله، الذي تطور إلى الشعور بالضيق بالدنيا، والضيق بالدنيا إنما هو مرض الإنسان الحديث. وكان لكتاب إميل التربوي لروسو أثره في الفكر الألماني، فقد دعا فيه إلى تربية الشباب تربية طبيعية دون حاجة إلى ثقافة واسعة. فالإنسان خير بطبيعته وأن ما يعانیه من شقاء يكمن في ظروف الحياة، التي يحيها لا في ذاته هو نفسه، والمربي الفاضل هو الذي يسمح بالتطور الطبيعي دون أن يعرقل سيره ويلحق الضرر به عن طريق ما يقدمه له من ثقافة مفسدة. كان يناهز بالعودة إلى الطبيعة، العودة إلى الإحساس الطبيعي، والعودة إلى نظام الحياة الطبيعية، وبالتالي العودة إلى الإنسان الطبيعي[□].

كان هذا الإنسان الطبيعي المثل الحقيقي الأعلى لحركة العاصفة والاندفاع. ولهذا عالج الشعر في هذه الفترة مشاكل الأبرياء من الأطفال والنساء الساذجات والفلاحين والعمال البسطاء، ومن الأمثلة على ذلك غوتس فون بيرلخنغن لغوته،

1. نفسه، ص. 39.

2. نفسه، ص. 40.

فهذا البطل ينتمي إلى عصر الإصلاح الألماني، وكان صديق الشعب، حتى إنه عبر عن صداقته هذه بحضور حفلة زواج أحد الفلاحين[□]. ولكن رواية فيرتر لغوته، التي اعتبرها جورج لوكاش تاريخاً مهماً لا بالنسبة للأدب الألماني فقط، وإنما بالنسبة إلى الأدب العالمي أيضاً، تعد أفضل مثال وأجمله لشعراء هذا العصر وأدبائه. فالقصة تدور أحداثها في البادية، وفيرتر لا يخفي إعجابه بأطفال الفلاحين، وبمنظر الفتيات وهن بصدد جلب الماء من البئر. وقد وجد غوته الفتاة المثالية لعصره في شخصية لوتّه، التي تمنح فيرتر الشعور بالسعادة قبل كل شيء. أما الشخصية الثانية في فيرتر، فهي ليست الإنسان الطبيعي الساذج، بل الإنسان المثقف الباحث عن الطبيعة، أو الإنسان المرفه الحس، الذي تنقصه الطبيعة والسذاجة، اللتان لا يملكهما سوى الإنسان الطبيعي. إلا أن رهافة الإحساس وإدمان حب الطبيعة يحلان عنده محل بساطة الإنسان الطبيعي المفقودة، إذ هو ينتمي إلى المثقفين، الذين خدعتهم الثقافة ولعبت بعقولهم وأبعدتهم عن الجوانب الفطرية في سلوكهم وتصرفاتهم[□].

على أنه يجب بهذا الصدد التفريق بين الإنسان الطبيعي الساذج، وبين الإنسان الطبيعي المرفه الحس، وهما النموذجان، اللذان يتردد ورودهما في شعر هذا العصر، الذي يدور الحديث حوله، ففيرتر يقابل لوته، وفاوست يقابل غريتشن، وهذه الأخيرة تمثل الطفلة الطبيعية الساذجة بكل ما لبراءتها من سحر، ولكن يمثل فاوست النموذج الأعلى للطموح العقلي، ولذلك تمزقه المشاكل

3. برينر، ص. 91.

1. Lucàs, Georg, Faust und Faustus ; Berlin, 1965, وما بعدها 6 ص. لوكاش، ص.

العقلية، ويشعر بالشوق إلى الطبيعة، ولم يكن هناك من أحد يستطيع أن يثير شوقه إليها إلى هذه الدرجة مثلما أثارتها غريتشن، الطفلة الطبيعية الساحرة، التي تملك كل شيء دون أن يكون لها علم بذلك، بينما يطمح هو إلى التناسق والمشاركة الوجدانية والارتياح والانبساط. □

كانت حركة التنوير تنظر إلى الإنسان على أنه إنسان مفكر، أما حركة العاصفة والاندفاع فقد نظرت إليه على أساس أنه إنسان تسييره غرائزه، ولا يعود ذلك إلى أن حركة التنوير كانت تنكر الحياة الغريزية أو إلى أن حركة العاصفة والاندفاع كانت تنكر الواقع، وإنما يعود ذلك إلى أنه كان لكل منهما مذهب يعاكس نظيره في تقويم العقل والحياة الغريزية. لئن كانت الحركة الأولى قد رأت أن أثنى ما في طبيعة الإنسان هو قدرته على استعمال عقله، الذي يمثل طبيعته، فإن الحركة الثانية، أي العاصفة والاندفاع، كانت ترى أن أثنى ما في الإنسان هو ما في غريزته من قوة لاشعورية، وأن هذه الغريزة اللاشعورية إنما هي شكل أعلى للعقل، عقل الطبيعة أو العقل الإلهي، أو هو الإله نفسه. وإذا ما نحن أردنا أن نستعمل تعبيرا فلسفيا متأخرا، فإن في إمكاننا أن نقول إن الاكتشاف الأكبر لحركة العاصفة والاندفاع هو : عقل اللاشعور أو بصورة أعم هو العقل اللاشعوري للطبيعة. □

كان هامان هو أول من هزته هذه الفكرة، فقد كان يرى أن صوت الإله الحقيقي لا ينطلق من عقل الإنسان بل ينطلق من نزواته على نحو أصوب وأعرق

2. كورف، ص. 42.

1. نفسه، ص. 44.

وأكثر مباشرة، بينما تعد الأعمال التي يشعر بها الإنسان تزويرا للحقيقة الفعلية العميقة[□]. فالعقل المحدود ليس له القدرة على فهم العقل الحقيقي للطبيعة من حيث هو مفهوم العقل الإلهي. وهذا المذهب يعدّ خطوة هامة، تجاوزت حركة التنوير، ولكنها كانت، كما يقول الناقد الألماني كورف، الذي جعلنا كتابه "شعر العاصفة والاندفاع في سياق تاريخ العصر (1928)" من المصادر الأساسية لهذه الدراسة، تحتوي على خطر كبير. ذلك أن الاعتراف بقداسة الحياة الغريزية يعني بالضرورة ظهور الحياة الغريزية بمظهر مصطنع، يجعلها حياة غير غريزية، فالذي يوجهه ويعبر عنه هنا ليس عقل الطبيعة، وإنما هو اللاعقل في أبعد حدود جموحه.

تقوم العاصفة والاندفاع على الضرورة المصطنعة للحياة الغريزية، وأقوى ما يتجلى ذلك في طباع شخصياتها الشعرية. فالشخصيات الطبيعية في أشعار شعرائها تمتلك طبيعة الأقوياء، الذين يدعون أن لهم غرائز لا يمكنهم تحديدها وتقييدها ولا التحكم فيها والسيطرة عليها بأية صورة من الصور. وما من إنسان من هذا النوع يعد إنسانا طبيعيا، وإنما يعد إنسانا مصطنعا، ولذلك لا نجد مثلا لهؤلاء عند القادة الحقيقيين للجيل الناشئ، عند غوته مثلا، بل نجدها عند الأنبياء المزيفين، وخصوصا عند شاعر من نوع فريدريش كلينغ، الذي اتخذ

ايرماتنغر، ج 1 ص. 318 وما بعدها، 2. Ermatinger, Emil, Deutsche Dichter 1700-1900, Bonn, 1948,

مظهر الإنسان الأعلى ، وصورة بروموثيوس في صراعه مع القوة الأكثر منه سموا وعلاء □ .

وقد وقع شيلر في خطأ مماثل في مسرحياته الأولى ، فكان على بطله أن يتغلب على فورة الجامحة قبل أن يصبح قائداً لأمته . ويتجلى عقل الحياة الغريزية اللاشعوري لدى الإنسان الطبيعي الحقيقي في شعر العاصفة والاندفاع ، على أنه لا يتجلى طبعاً إلا في القوة المتكبرة والجمال المقنع عند هذه الشخصيات كلها ، وهو ما يجعلها تفشل تمام الفشل وتكون لها نهاية مأساوية .

كانت حركة العاصفة والاندفاع ترى أيضاً أن الفلسفة قد فشلت في مهمتها ، وأخذت تدعو إلى تغيير المجتمع من جميع نواحيه الثقافية والسياسية وأنظمة الحكم . وتمثلت هذه الفكرة عند هيردر وغوته في فكرة التربية ، وكانت التربية متصلة بالشعر في زمن غوته اتصالاً وثيقاً . فكما أن الأعمال الشعرية الكبيرة في هذا الوقت ، مثل فاوست و" فيلهلم مايسترليرياره " وغيرهما ، تعالج موضوع التربية ، كذلك يمكن اعتبار الفلسفة الإنسانية عند هيردر أو التربية الجمالية عند شيلر أعمالاً شعرية ، وهذه الحركة قريبة من الثورة الثقافية إلى حد كبير □ .

وتقدم المسرحيات من خلال أشكال متجددة على الدوام الصراع الكبير الذى يحدث أثناء العرض بين الإنسان الطبيعي والثقافة ، سواء تعلق الأمر بنقد نظام المجتمع أم بانتصار الطبيعة الحرة أم بتغلب الإنسان الطبيعي على حواجز الثقافة

1. كورف ، ص. 52.

1. نفسه ، ص. 55.

الضيقة[□]. أما الدوافع السياسية في أعمال شعراء العاصفة والاندفاع، فليست في الواقع سوى ذلك الاستمرار المتطرف للأفكار السياسية لعصر النهضة، التي لم تكن قد دخلت ميدان الشعر. فالذى دعا إليه كل من روسو ومونتيسكيو يجد صورته الشعرية في مسرحيات شيلر التي كتبها في شبابه، حتى إن الثورة الفرنسية اعتبرت شيلر واحدا من رجالها. والحق أن مسرحياته مليئة بالكراهية للطغاة وحب الحرية بشكل لم توح به بقدر كاف حتى مسرحية ليسينغ السياسية المعروفة "إيميليا غالوتي Emilia Galotti"[□]. وفي مسرحية "فياسكو Fiesko" (1783) لشيلرلا يذهب الطاغية الحقيقي ضحية التعصب للحرية، وإنما البطل المتآمر نفسه يخون فكرة الحرية ويمد يده لقبعة الأمير. _ أما في مسرحية "الحب والديسة Kabale und Liebe" فتلقى الأضواء على الأوضاع السياسية فحسب، أما السخرية فتقع على حاشية الأمير لا على الأمير نفسه[□]. ولا يبدو الأثر القوي في أي عمل من أعمال شيلر في شبابه مثلما يبدو في هذه المسرحية، التي تصور الصراع بين قوة الحب الطبيعية وقوة الامتيازات الطباقية غير الطبيعية، التي يخرج منها البطل منتصرا، ولكنه لا ينتصر بقوته الخاصة، وإنما بضعف وتخاذل الشعب الذي لم يساعده المذهب الموروث على التطور، وفرديناند لا يهلك بسبب خبث أبيه، وإنما بسبب ما كان متمكنا من البطلة لويزه من غباء وورع.

2. نفسه، ص. 58.

3. بيرنر، ص. 69.

1. كورف، ص. 59.

والحديث عن الطغاة في مسرحيات حركة العاصفة والاندفاع له ما يبرره في حياة الكتاب والشعراء، فقد عاش يوهان ياكوب موزر (Johann Jakob Moser 1701-1785) خمس سنوات، وشوبارت عشر سنوات في المعتقل دون محاكمة ودون أن يكون هناك مبرر لاعتقالهما، كل ما في الأمر أن الأمير أراد أن يلجم الأفواه ويسجن الأقاليم، ولو لم يلجأ شيلر نفسه إلى الفرار، لكان مآله السجن هو الآخر. وإذا كان يوهان كريستوف غوتشيد (Johann Christoph Gottsched 1700-1766) قبل ذلك قد مجد الانتحار على الطريقة الرواقية، فقد كان شيلر يمجد مفهوما آخر للحرية الشخصية حين قال: " يجب أن يموت القيصر في كل مكان يعيش فيه بروتس!"[□]

على أن أعظم مسرحية تناولت قضية الحرية، أنتجتها حركة العاصفة والاندفاع، هي مسرحية دون كارلوس، ففيها ترتبط حرية الشعب بحرية الدين ارتباطا لا انفصام له. لفكرة الحرية هنا تبريرات أكثر عمقا، فهي تفتحم قلب الطاغية نفسه، وهذه هي الصفة العقلية، التي تميز هذه المسرحية عن جميع المسرحيات الثورية الأخرى، ولكنها لا تفعل ذلك إلا لمدة قصيرة — هي المدة، التي يستغرقها الحلم الجميل عادة - إذ يسترد الواقع القاسي حقه ثانية ويحطم بكل قسوة جميع الآمال الخادعة، التي لم تجرد من فكرة الحرية فقط، وإنما جرد منها حاملها الإنساني أيضا، وهذا ما جعل فكرة الحرية تبدو في هذه المسرحية مثل شهاب لامع لا يلبث أن تختفي آثاره في الفضاء الفسيح.[□]

2. برينر، ص. 117.

1. نفسه، ص. 94.

وإذا ما نحن انتقلنا إلى مسرحية "إغمونت" لغوته، التي يعالج فيها بدوره موضوع حب الحرية، والنضال من أجلها في الأراضي المنخفضة ضد الهيمنة الإسبانية، نجد أن عجز البطل كان هو السبب في نهايته المأساوية. وعلى العكس من ذلك تقدم لنا مسرحية "فيلهلم تيل" لشيلر الصورة الكبيرة لحركة التحرر، التي يتحقق فيها، من خلال ثورة السويسريين على حاكميهم من النمساويين، ما كانت تجسسه أشواق حركة العاصفة والاندفاع.[□]

لم تكن فكرة الحرية السياسية هي أهم ما يميز حركة العاصفة والاندفاع، فقد كانت النهضة تشاركها في هذه الفكرة، ولكن ما يميزها على الخصوص هو تمجيدها للمجرم النبيل، الذي بدأه غوته في مسرحية غوتس وشيلر في مسرحية اللصوص، وهو موضوع كان مستحيلا بالنسبة لعصر الأنوار، لكنه هنا يجسم ثورة الإنسان الطبيعي ضد الثقافة، ضد المجتمع وقوانينه، كما يجسم الاعتقاد الجازم بفساد المجتمع وانهيائه وانحطاط قيمه ومعتقداته. لقد ناضل غوتس ضد الدولة الثقافية القادمة، التي يبرز فيها الأوغاد وأصحاب الأموال إلى القمة، بينما يكون نصيب الطبيعيين منها الضمور والهلاك. فهذه الدولة الثقافية تقوم على الحيل والمناورات، لا يقع في حبالها ولا يسقط في شباكها غير السوي النبيل. أما في لصوص شيلر، فيبدو الأمر على العكس من ذلك، فقد تحقق بعد مائة وخمسين سنة ما كان يخشاه غوته وتحدث عنه على لسان غوتس، وهو أن الدولة الثقافية أصبحت حقيقة واقعة. فمن يثور الآن، فإنما يثور على المجتمع القديم، ويتصرف تصرفا ثوريا، يدفعه إلى تحطيم كل شيء دون خوف حتى من الأعمال التي تبررها فكرته. فذلك ما فعله مور

في اللصوص، فبعد أن ارتكب عدة جرائم، شعر بالضيق بها في اللحظة التي اكتشف فيها خطأه المضاعف: 1) النظام الطبيعي لا يمكن تغييره بقطع من اللصوص. 2) الفرضيات الخاطئة تؤدي حتما إلى فشل الثائر. والمعنى الأعمق للنضال هو نضال الإنسان الطبيعي ضد الطبيعة غير الطبيعية، نضال الحق الطبيعي ضد الحق التاريخي. ويتضح هذا بصورة أكثر في النضال، الذي تفضل خوضه حركة العاصفة والاندفاع، وهو النضال من أجل تحرير الحب من استبداد الأخلاق البرجوازية وكتبها للرغبات الجنسية، وأروع شخصية في هذا المجال هي شخصية غريتشن لغوته. والأمر هنا يتعلق أيضا بتعاطف الشاعر مع مجرمة نبيلة - فتاة بريئة تصبح بسبب الحب مجرمة أمام المجتمع، لأنها لم تستطع احتمال تخلي حبيبها عنها ونبذها لها، فتقتل طفلها وتعدو رهينة سجنها وجنونها. هنا يصطدم حق الحب الطبيعي بالأخلاق المسيحية والبرجوازية المتصلة بهذا الموضوع. وتعاطف الشاعر هنا مع الشخصية الأولى في المسرحية، مع البطلة، لا ينكر أن الأخلاق الجنسية والطبيعة الساذجة هما اللتان دفعتا غريتشن إلى فعل ما فعلته، وتتمثل عظمة غوته عند النقاد في أنه منحها عفة وأخلاقا تفوق الأخلاق، التي كانت البرجوازية تدعو إلى صيانتها والتمسك بها. □

ولا يقوم الشعور بالحياة عند حركة العاصفة والاندفاع على التناقض بين الطبيعة والثقافة فقط، وإنما يقوم كذلك على التناقض في الطبيعة نفسها بين النهاية واللانهاية. إن الشعور بالحياة، كما نحسه في فاوست، يعني الطريقة، التي يشعر بها الإنسان في حياته، وما هي في الواقع إلا مذهبه في الحياة. لقد كان

الإحساس بالحياة في عصر الطبيعية مرتبطا بالإحساس بالطبيعة نفسها. إذا أحس الإنسان بأنه كائن طبيعي، فإنه يحس بالطبيعة كما يحس بنفسه، والإحساس بالطبيعة إنما هو الإحساس بالحياة الذي يخلعه الإنسان على الطبيعة، فهما إذن الشيء ذاته [□].

هذا الإحساس بالحياة يقوم عندها في الصراع الخاص بين الإحساس الأكيد بقيمة النهايات جميعها، بمعنى ما يقوم عليه الواقع اليومي المستمر، وبين الإحساس المقابل باللانهائية الدخيلة في الطبيعة وفي الحياة، التي تتحطم إزاءهما كل النهايات. إن ما يميز العاصفة عن التنوير هو إحساسها القوي بالواقعي والشهواني والخصوصية الفردية وانعدام النظير Einmaligkeit. فالفرد يسعد بما يكتنه لكل المخلوقات من حب بصورة عامة، وله رغبة متزايدة في أن يتمتع بكل مستويات الحياة ويعيش كل ذلك بنوع من الوعي التام. وهو لا يحس بالطبيعة بصورة أقوى فقط، بل إن الطبيعة نفسها تقوي إحساسه بها، فيصبح لحياته غنى آخر، ويشعر هو نفسه بما فيها من وفرة وثراء وامتلاء. وهذا الجانب من الشعور بالحياة يؤدي داخليا إلى وعي الفرد المتزايد بخصوصيته، بعودته شخصيته إليه، بتماسكه، وبإعجابه في الوقت ذاته بالصورة التي تتسم بها الشخصيات الأخرى. وهذا يعني في المجال الشعري الإقبال على فعل ما هو متميز متفرد، والرغبة في التعبير عنه بصورة قد تصل حد الرسم له بصورة ساخرة.

غير أن هناك في الجانب الآخر شعور الإنسان المقابل باللانهائية الداخلية للطبيعة، التي تتحقق في أشياء مفردة دون أن تتحقق في الواقع الفعلي، وهو الإحساس بالطبيعة السامية للحياة - وبطبيعة امتداد الحياة في الطبيعة كلها. وفي

مقابل هذا هناك الشعور بأن حقيقة الحياة هو لا نهائيتها الداخلية وأن وراء صيغها النهائية لانهاية لا تحصرها أية صيغة من الصيغ، ولا يحتويها أي نظام من الأنظمة. والحياة ليست حقيقة بسيطة منتهية، وإنما هي تأثير متواصل، ليست وجودا خالدا وإنما هي صيرورة مستمرة، تقوم على الخلق وإعادة الخلق. يقول روح الأرض في فاوست القديم لغوته :

في أمواج الحياة، في عواصف المآثر
أفور صعوداً وهبوطاً،
أنسج هنا وهناك !
ولادة وقبر،
بحر سرمدي،
وحياة متغيرة !
هكذا أنسج في نول الزمن العاصف
وأصنع ثوب الألوهية الحي.

الطبيعة كيان فاوستي لا تحصره نهاية، ولا يحوزه واقع، فالطبيعة تخلق وتبدع، وهي الفنانة الكبرى. جوهر الحياة يتمثل في ذلك الاندفاع الخالد المنطلق من الصراع بين لا نهايته الداخلية ونهايته الخارجية (فهو داخليا إحساس بالشباب الخالد، بالقوة الخالقة، والحرية الإلهية، التي لا تنفصل عن الإحساس الحقيقي بالحياة) وقوته هي كل شكل يتكاثف بالضرورة وينحل وينتقل وينطلق نحو العلاء[□].

يقوم مذهب عصر غوته كله على الإحساس بلا نهاية الحياة، ففي الإنسان الطبيعي ينشب الصراع بين اندفاع النهائية واندفاع اللانهائية، بين الفردية

والعمومية، بين البحث عن الصيغة المثلى وبين الهروب منها. لقد حاول غوته تجسيم فكرة الفردية، وهي فردية لا تتغير مع الإنسان في مظهره وطبيعته الداخلية، التي هي بالنسبة إليه المصير والمآل، ليست من حقه الطبيعي فقط، وإنما هي من واجبه أيضاً، وما من حياة إلا ولها هذا المعنى. لذلك قال ويلهلم مايستر: "ولأقل لك ذلك في كلمة واحدة، لقد كان هدي منذ أيام شبابي أن أتحقق نفسي على الصورة التي أنا عليها الآن". بمعنى أن أصبح ما أراد لي إلهي أن أكونه. فالفردية إذن هي أعمق حق وأنبل واجب عند الإنسان - كل ما يتصل بشخصية الإنسان من فوز وإحباط، وتأثر وتأثير، وتطور وتخاذل، وثقافة، وقلة دراية يساهم في كل ما يتعاقب على حياته من سعادة وشقاء، وتعاسة وهناء.

وللفردية في حركة العاصفة والاندفاع طبيعة أكثر تطرفاً مما كانت عليه في عصر التنوير، فقيمة الفرد عند ليسينغ وفريدريش غوتليب كلوبستوك (Friedrich Gottlieb Klopstock 1803-1724) بما كانت تحمله من قوانين أخلاقية معترف بها عموماً لا علاقة لها بهذه الفردية[□]. فليست الفردية هي التي تجسم القيمة، وإنما الفضيلة هي التي تجسمها إذا ما هي تمثلت في شخصية ما. ولكن الفردية كما منحتها الطبيعة أصبحت الآن مقدسة - وراء الخير والشر كما أوجدها الإله في تفرداها و انعدام نظيرها. لقد أصبحت لهذا الإنسان الطبيعي، الذي لم تكن له قيمة عند أصحاب مذهب التنوير، قيمة ميتافيزيقية في حركة العاصفة والاندفاع، وبذلك صارت الأخلاق تنبع من الفرد

نفسه ولا تملئ عليه إملاء من الخارج، وما ينطوي عليه الفرد، لا يتعلمه من خارج ذاته، وإنما يطروره من شعوره الخاص ومن ضميره الأخلاقي المتفرد.

الأخلاق أمر شخصي، أمر فردي، فريد من نوعه، لا ينقله فرد إلى آخر، وما الطبيعة الأخلاقية إلا حق من حقوق الفردية وواجباتها القديمة. عندما يطلب غوتس السماح له بالخروج من القلعة، التي احتفى بها، يسمح له بذلك، ولكن رجال الحاكم يغدرون به، ويلقون عليه القبض، ويرغمونه على أن يقسم، لكي يستعيد حرته، بعدم رفع السلاح مرة أخرى [□]. وحين يتم إطلاق سراحه، يثور الفلاحون ويطلبون منه أن يكون قائدهم، فيتردد أولاً ثم يقبل ذلك، مع أنه كان يعلم أن في قبوله لذلك نقضا لعهد كان قد قطعه على نفسه، وهو عدم رفع السلاح. لقد كان يرجو أن يجعل ثورتهم تسير في طريقها السليم الصحيح، الأمر الذي سمح له بنقض كلمته، التي كان يبدو أنها ستحول بينه وبين عمل الخير، ذلك أن مثل هذا التصرف يقوم على أساس من خلق شخصي أو استقلال خلقي. وبذلك لا تتحقق نية غوتس الحسنة، إذ يفهمه قضاة فهما سيئاً، فيموت كسير القلب بعد أن عجز عن تحقيق ما كان يريد تحقيقه بناء على إخلاله بما كان قد تعهد به [□].

وكان استقلال إيموننت الخلقي من نوع آخر، فهو يرفض الحياة بصورة قاطعة إذا هو لم يستطع أن يحيها على النحو الذي ينسجم مع طبيعته الداخلية، بمعنى أن يكون حراً مستقيماً له ما للإنسان في الأراضي المنخفضة من

1. كورف، ص. 79، برينر، ص. 90.

2. برينر، ص. 94.

إباء وأنفة. ففي إمكانه أن يعيش فيها في حالة ما إذا انهزم أمام هرتسوغ ألبا وألزم نفسه بما نصحه به أصدقاؤه من مغادرة بروكسيل[□]. لكنه اختار البقاء فيها، فأمر هيرتسوغ ألبا باعتقاله والحكم عليه بالإعدام. لقد حاولت حبيبته كليرشن أن تعرض الشعب، الذي كان يعتبره بطله وأمله في الخلاص من النير الإسباني، على الثورة لانتزاعه من يد جلاده بالقوة، وحين فشلت في ذلك، قررت أن تضع حداً لحياتها. وفي الليلة الأخيرة تظهر له في حلمه " الحرية في لباس سماوي، تعلوها ملامح كليرشن"، وتلمح له بأن موته سيكون طريق الهولانديين إلى الحرية، وتقدم له إكليلا من الغار. وهكذا ذهب إغمونت ضحية إباءه، وحرصه على أن يكون كما هو، ورفضه إنكار ما نسب إليه من تهم سياسية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفردية في حركة العاصفة والاندفاع بمثابة تكثيف لعصر التنوير وتعميق له، فقد كان هذا العصر ينظر بدوره إلى الحياة على أساس من الفردية. ولا نصل إلى عمق الشعور بالحياة عند حركة العاصفة والاندفاع إلا إذا نحن عرفنا الجانب الآخر، الجانب المتمثل في الشعور بالنهائية، وعرفنا النموذج الإنساني الفاوستي الذي نشأ عنها. ويتمثل جوهر هذا الإنسان النموذج في اتساع الشخصية والفردية، إذ هي تصبح عمومية، وفي التغلب على حدود الفردية الضيقة، بل المحدودة على الخصوص[□]. فقد ظهرت له في أشكال محدودة، ولكن كيانه يتمثل في تحطيم هذا الشكل الفردي وتوسيعه، وهذا هو الاندفاع الغامض عند الإنسان

1. كورف، ص. 81.

2. نفسه، ص. 84.

الفاوستي، فهو لا يبرهن على وجوده بنفسه فقط، وإنما يريد التغلب على "النفس" لتشمل الكون كله وتنضوي عليه. فاوست يحس بأنه واقع تحت سطوة شيطانية داخلية، تتعدى محيط قوة العقل المحدود وترغمه على فعل شيء لا يفهمه العقل. هذا هو الإحساس بالحياة عند حركة العاصفة والاندفاع، وهي تقوم في أعماقه على تنمية الإحساس ثانية بما للحياة من شيطنة، فالإنسان كبير حين تتسامى نفسه حتى تبلغ شيطان حياته. ولغوته في هذا نموذجان: نموذج فاوست، الذي تظهر لانتهائيته في الاندفاع نحو الواقع، لأنه إنسان العمل والمتعة، وتتمثل لانتهائيته في تجربة جميع أنواع الحياة الممكنة. أما نموذج فيرتر فتظهر لانتهائيته في الخيال، في الشخصية الفنية الحاملة، ولذلك يعتبر فيرتر أول رومانسي ألماني، وهذا الرومانسي هو الإنسان الذي يرى جميع أشياء العالم عن طريق إحساسه بالبعد الميتافيزيقي للعالم في ضوء من الألق الشعري، ولذلك يؤله اصطدامه بعالم الحقيقة أو بعالم الواقع. □ والطبيعة لها جانبان، جانب محدود، وجانب غير محدود، جانب غير خاضع للإرادة، وجانب فكري. لوته في فيرتر وغريتشن في فاوست تمثلان جانبا من الطبيعة، وفاوست وفيرتر يمثلان الجانب الآخر. المرأة تمثل نزعة الطبيعة إلى الاحتفاظ بالشكل، والرجل يمثل النزعة إلى تدمير الشكل، أو الرجل يتجه إلى الحرية، والمرأة تتجه إلى الصمت. Nach Freiheit geht der Mann, das Weib nach Stille. □

1. لوكاش، ص. 17 وما بعدها.

2. كورف، ص. 89.

وهكذا يتحول التشاؤم من الثقافة في حركة العاصفة والاندفاع إلى التشاؤم في الطبيعة ، بسبب نهائيتها ولانهائيتها وما يقوم بينهما من الصراع عنيف [□] . ومن هذا الإحساس الجديد بالمشكلة الداخلية في الطبيعية والحياة ينشأ صراع في حركة العاصفة والاندفاع. و يعد كتابا غوته في شبابه ، وهما فيرتر وفاوست في صورته الأولى ، شاهدين على هذا الصراع. فألام فيرتر ناتجة عن شقائه في حبه لفتاة مرتبطة بغيره ، إلا أن أسبابها العامة تعود إلى الواقع ، فالحب ما هو إلا لحظة تنضاف إلى ذلك وتتولى حمل أعباء تطور المرض في حياة فيرتر، التي كانت قد تحطمت منذ مدة. فألامه تعود إلى خيبته في الحياة العامة، إذ هي آتية من حياته الطبيعية بقدر ما هي آتية من اختلاطه بالمجتمع المثقف. ومن ثم كان يميل إلى أن يشغل خياله ، الذي تصدع في عمق أعماقه ، بمواضيع أخرى تدور حول الموت ، فينظم إحساسه بذلك في قوالب شعرية ساحرة، وتظل فكرة الموت تنمو إلى أن تنتهي به إلى الحضيض. وهكذا ينتهي الشعر الذي أضاء الدنيا بنور شعري لم يضئه بها غيره كشكوى صامتة من العالم ، الذي لم يحتفظ في نهائيته بما تعده به لا نهائيته [□] .

وفواوست القديم يختلف عن فاوست الجديد ، فالأول لا يوقع عقدا مع الشيطان ، وكان قوامه استحضار روح الأرض ومأساة غريتنش. وهنا يظهر اندفاع الحياة اللانهائي عنده ، ويمكن وصفه بروح الحياة ، وهو ينبع من نفسه لا من غيره ، لذلك يندفع إلى الحياة ، ولكن اندفاعه إلى اللانهائية يسعى إلى الكشف عن

3. فاوست غوته ، ص. 461 وما بعدها.

1. لوكاش ، ص. 179.

منابع الحياة كلها، إلى الكشف عن لانهائية الحياة الداخلية نفسها، لذلك كان عليه أن يستحضر روح الحياة نفسها. وهو، رغم اندفاعه نحو اللانهاية، ليس إليها، وإنما هو أحد تلك المخلوقات، التي تسحر كل من يسعى إلى تحويل اندفاع الحياة اللانهائية الإلهية إلى شكل نهائي يتصل بمخلوق أرضي. وهذا المخلوق لا يحتمل الحياة ولا يفهمها إلا في أشكالها المحدودة لا في عظمة لانهايته الداخلية. وتكون نهاية استحضار روح الأرض مأساوية، لأن فاوست النهائي لا يستطيع إدراك لانهائية الحياة الداخلية، ولكن حبه لغريتشن ينتهي نهاية مأساوية لأن هياتها المحدودة لا يمكن أن تفي بمطالبه اللامحدودة، التي تشمل الكون وتريد أن تستقطب سعادة الحياة كلها، وهنا تكمن مأساته ومأساة محدودية طبيعته[□]. لكن حركة العاصفة والاندفاع لم تكن وضعا مستمرا، ومن ثم استطاع غوته وشيلر مثلا التغلب عليه، في حين لم يستطع غيرهما ذلك فانتهى معها كما انتهت معه. وقد عبر غوته عن ذلك بشكل عام[□] :

هيا ! أطع إشارتي،
 واستغل أيامك اليافعة،
 وتعلم مبكرا أن تكون ذكيا :
 فعلى ميزان السعادة الكبير
 نادرا ما يقف اللسان ضامنا.

1. Martini, Fritz, Deutsche Literaturgeschichte, ص. 245 و 267 وما بعدها، Stuttgart, 1968

2. كورف، ص. 99.

عليك أن تصعد أو تنزل،
عليك أن تحكم أو تكسب
أو أن تخدم وتفقد،
أو أن تعاني أو تنتصر،
أن تكون السندان أو المطرقة.

الترجمة في تجربة المغرب العربي

د. علي القاسمي
أستاذ جامعي وكاتب،
مستشار مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

100. تقديم

الترجمة ضرورة حضارية ونشاط فكري وعملية لغوية، يحتمها الاحتكاك بين شعوب ذات ألسنة متباينة، سواء أكان هذا الاحتكاك مقصوداً لذاته أو حاصلًا عرضاً، وسواء أكان مباشراً كما في الحروب والهجرات والاستعمار أو غير مباشر كذلك الذي يتم عبر وسائل الإعلام والاتصال.

وتتطلب ترقية الترجمة وتحويلها من مجرد عملية لغوية شكلية إلى عملية حضارية عوامل ووسائل يجب السعي إلى إيجادها بوعي وإدراك مسبقين، لكي تكون هذه الترجمة مؤثرة في تأويل المعرفة المنقولة وتأصيلها وتيسير الهجرة الحقيقية للأفكار والمناهج والأساليب إلى المجتمع المتلقي.

ولما كان تأسيس المعارف يحتاج إلى الإحساس والعقل معا، فبالإحساس نلاحظ الأشياء والحقائق بصورة موضوعية، وبالعقل نبذل جهداً ذهنياً لإحداث التغيير والتطوير، فإن الغرض من هذه الورقة إلقاء نظرة سريعة على تجربة الترجمة في المغرب العربي، وتحسس المشكلات والصعوبات القائمة، ثم إعمال الفكر في الطرائق التي من شأنها جعل الترجمة تقوم بدورها الحضاري الطليعي. (ليفي : 183)

ويشمل نطاق هذه الدراسة تجربة الترجمة في تونس والجزائر والمغرب منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن الحادي والعشرين. وقد اقتصرنا الدراسة على هذه الأقطار الثلاثة من أقطار المغرب العربي لتشابه ظروفها التاريخية، وتمائل أوضاعها اللغوية، وتقارب تجاربها الثقافية. وسنتناول بالعرض الوجيه أهداف الترجمة في هذه الأقطار، والعوامل المؤثرة في تنمية الترجمة ومدى توفرها فيها، ونتاج الترجمة من حيث الكم والكيف، وبعض الاقتراحات التي من شأن الأخذ بها ترقية الترجمة وتفعيلها.

وغني عن القول إن تجارب المغرب العربي في الترجمة والتعريب " كثيرة لا يمكن رصدها وعرضها جميعا، وما التركيز على بعضها، هنا، إلا لاستخلاص الخصائص البارزة لتجارب محدودة عددا ولكنها متنوعة في سياقها وأوضاعها وفي دوافعها وأولوياتها ونتائجها" كما جاء في مخطط هذا المؤتمر.

200. أهداف الترجمة

من دراستنا لحركة الترجمة وطبيعة مؤسساتها في أقطار المغرب العربي نستخلص أن الأهداف المتوخاة منها قد اختلفت طبقا للفترات التاريخية المتعاقبة، وفي ضوء الظروف الاجتماعية والثقافية، وحسب سياسات السلطة الحاكمة المتباينة. ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي :

210. الترجمة وسيلة اتصال بالدول الأجنبية

في أوائل القرن التاسع عشر، وقبل أن تقع أقطار المغرب العربي فريسة للاستعمار الفرنسي، مهما اتخذ هذا الاستعمار من تسمية كالحماية وغيرها، فإن الهياكل الإدارية الوطنية في هذه الأقطار لم تكن بحاجة إلى ترجمة للتواصل مع الأهالي، ولهذا فإن الحاجة إلى الترجمة آنذاك كانت محدودة على المستوى المركزي وتنحصر في الاتصال بالدول الأجنبية أو ممثليها أو مؤسساتها في عواصم تلك الأقطار. وفي حين كان المغرب في تلك الفترة مستقلا، كانت تونس والجزائر تخضعان شكليا للباب العالي وتتمتعان باستقلال ذاتي داخل الإمبراطورية العثمانية. ولهذا كانت مراسلات السلطة المركزية في هذين القطرين مع الاستانة تجري عادة باللغة الرسمية للإمبراطورية وهي اللغة التركية[□]. وكان نظام التعليم في هذه البلدان تقليديا يعتمد في

□. وكان بعض البايات يكاتب الباب العالي باللغة العربية متعللا بأنه "لا يضع خاتمه إلا على ما يفهم خصائص تركيبه". (مواعدة : 112).

بنيته على الكتابيب والربط والزوايا وبعض المعاهد الإسلامية القديمة كجامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس. وكانت المناهج في مرحلتها المتقدمة تنحصر في دراسة اللغة والفقه والتوحيد والأصول والتفسير. ولم يكن لدراسة اللغات الأجنبية أو الترجمة مكان في مناهج هذا النوع من التعليم. ونتيجة لذلك فإن الترجمة كانت محدودة، وكانت أعداد المترجمين ضئيلة، وكان يجري إعدادهم على نطاق ضيق كذلك.

220. الترجمة وسيلة للاقتباس من النهضة الأوروبية

عندما تولى محمد علي باشا الكبير مقاليد السلطة في مصر عام 1805، أتجه إلى تنمية البلاد اجتماعيا واقتصاديا، فأرسل البعثات العلمية إلى أوروبا واهتم بالترجمة بوصفها وسيلة لنقل المعارف والعلوم من الحضارة الأوروبية. وكان للإصلاحات التي أحدثتها المؤسسات التعليمية التي أنشأها في مصر صدى كبيرا في أقطار المغرب العربي. كما وصلت مؤلفات رواد النهضة العربية في مصر مثل كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي (1801-1873) إلى مثقفي المغرب العربي وتأثروا بها. (مواعدة : 37-51)

ففي تونس مثلا نجد أن أحمد باي - باي تونس (1837-1855)، يسافر إلى أوروبا ويتأثر بما يشاهد من نهضة سياسية واقتصادية وعلمية، ويؤسس بعد عودته مدرسة باردو العسكرية سنة 1840. وإذا كانت تلك المدرسة ليست متخصصة في الترجمة فإنها كانت تدرس العلوم العصرية باللغات الأجنبية، وقام المشرفون عليها وأساتذتها بنقل عدد من الكتب الأوروبية العلمية والتقنية إلى اللغة العربية. ونجد بعد ذلك الوزير المصلح خير الدين التونسي (1810-1890) صاحب كتاب "أقوم

المسالك في معرفة أحوال الممالك" قد أشرف بنفسه على ترجمة عدد من الكتب الأوربية إلى العربية، وكان هو نفسه يجيد اللغة الفرنسية. وقد أسس هذا الوزير المصلح المدرسة الصادقية عام 1875 لتدريس اللغة العربية والعلوم العصرية واللغات الأجنبية (التركية والإيطالية والفرنسية) ليتمكن خريجوها وأساتذتها من نقل العلوم والتقنيات إلى العربية. ويتأثر الشيخ السنوسي التونسي بكتاب الطهطاوي عن باريس فيؤلف كتاب "الاستطلاعات الباريسية" الذي يدعو فيه إلى ترجمة الكتب العلمية الفرنسية للاستفادة منها في نهضة البلاد التونسية (مواعدة : 44-49).

وفي المغرب نجد أن السلطان عبد الرحمن بن هشام (1823-1859) يقوم بإرسال البعثات الطلابية إلى القاهرة وبعض البلاد الأوربية، وإنشاء مدرسة الهندسة بفاس الجديدة، وتأسيس "مدرسة الألسن" في طنجة، والدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم في جامعة القرويين، ويشرف ولي عهده الأمير سيدي محمد على ترجمة موسوعة لاند في الفلك التي كانت قد صدرت عام 1793. كما اضطلع أحمد السوسي بترجمة بعض كتب الحساب والهندسة من اللغة العربية إلى الفرنسية. (التازي : 76-77). وإذا كان بعض النقاد يرى أن تلك الترجمات كانت "مجرد إرهابات أولية، ارتبطت أساسا بتلبية حاجيات طارئة، لا تمثل أية استمرارية لحركة الترجمة في الأندلس" (علوش : 10)، فإن ذلك لا ينفي أن القادة ورجال الإصلاح آمنوا بأن التعليم والترجمة هما من وسائل نقل ثمار النهضة الأوربية إلى البلاد العربية.

وعلى الرغم من أن الجزائر كانت تمر في فترة سياسية مضطربة ووضع اقتصادي متدهور خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ما حرمها من الاقتباس من العلوم والتقنيات الأوروبية بل أدى إلى سقوطها تحت السيطرة الفرنسية، فإننا لا نعدم أن نجد بعض رواد التجديد الإسلامي، مثل حمدان خوجة (1775-1840) الذي تعلم الفرنسية والإنجليزية إضافة إلى اللغة التركية، ونقل كتاب "إمداد الفتاح" في المذهب الحنفي من التركية إلى العربية، وألف كتابا باللغة الفرنسية بعنوان "المرآة: لمحة تاريخية وإحصائية عن دولة الجزائر"، ودعا في كتابه "إتحاف المنصفين" إلى "وجوب الأخذ بالحضارة الأوروبية." (عقاب : 25)

230. الترجمة وسيطة بين الإدارة الاستعمارية والأهالي

استعمرت فرنسا الجزائر عام 1830، ثم دخل جيشها تونس عام 1881، وفرضت حمايتها على المغرب عام 1912. وكانت الإدارة الفرنسية في هذه الأقطار بحاجة إلى المترجمين ليكونوا وسطاء بين السلطة الفرنسية وأهل البلاد. ولهذا فإنها اهتمت بالمترجمين ورفعت من شأنهم، فكانوا يحملون رتبا عسكرية في الجيش الفرنسي بالجزائر. كما هيأت لهم هذه الإدارة وسائل العمل، وألف مستعرب فرنسي هو شربونو أوغست Auguste "قاموس عربي فرنسي" عام 1876، كما ألف لوي ماشويل Louis Machuel، الذي كُلف بإدارة التعليم العمومي في تونس عام 1883 - أي بعد دخول الجيش الفرنسي البلاد بأقل من سنتين - كتاب "دليل الترجمان" إلى جانب كتب أخرى في تعليم اللغة الفرنسية. وما إن دخل الجيش الفرنسي المغرب عام 1912 حتى أمر المقيم الفرنسي العام الجنرال ليوطي بإنشاء (المدرسة العليا للترجمة) "لإيجاد وسطاء بين الفرنسيين والمغاربة." (علوش : 25)

240. الترجمة طريقة لتعليم اللغة الأجنبية

تطورت طرائق تدريس اللغات الأجنبية ومرت بمراحل مختلفة منذ القرن

التاسع عشر حتى الآن. ويمكن أن نذكر هنا أربع طرائق رئيسة هي :

أ- طريقة الترجمة والنحو، التي كانت شائعة في القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشرين

ب- الطريقة المباشرة، التي كانت مستعملة في النصف الأول من القرن العشرين

ت- الطريقة السمعية النطقية التي كانت معروفة في أواسط القرن العشرين

ث- الطريقة التواصلية التي استعملت منذ الربع الأخير من القرن العشرين.

(القاسمي، 1970 : 20-27)

وقد استخدمت طريقة الترجمة والنحو في تعليم اللغة الفرنسية في أقطار المغرب

العربي في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين. وتتلخص هذه الطريقة

في ترجمة المفردات والنصوص والتراكيب، وتحفيظ الطلاب القواعد النحوية للغة

الأجنبية التي يراد تعلمها. وليس المقصود بترجمة المفردات والنصوص من اللغة

الأجنبية إلى اللغة الأم وبالعكس تدريب الطلاب على الترجمة، وإنما وسيلة لتعليم

اللغة الفرنسية والتمكن من فهمها والتعبير كتابيا بها.

فقد كان نشر الثقافة الفرنسية وتعميم استعمال اللغة الفرنسية في طليعة أهداف

الاستعمار الفرنسي. ولهذا يقول محمد مواعدة: "إن دخول الجيش الفرنسي إلى

تونس وإقامة نظام الحماية في 12 ماي 1881 لا يمثل حدثا عسكريا وسياسيا

فقط، بل هو أيضا منعرج مهم في الميدان الفكري واللغوي ما دام انتشار لغة من

اللغات مرتبطا أشد الارتباط بقوة أهلها... وللوصول إلى هذه الغاية الغاية أعدت حكومة الحماية منذ السنوات الأولى لانتصابها بتونس برنامجا تعليميا يهدف إلى جعل أبناء السكان مهما اختلفت جنسياتهم يتعلمون اللغة الفرنسية" وجعل أذهانهم تتكيف والنظريات الفرنسية" (مواعدة : 70). ويعلق الناقد المغربي سعيد علوش على هذا بقوله: "ولم يكن الأمر يقتصر على تونس وحدها بل سبقتها الجزائر ولحق بهما المغرب." (علوش : 29)

ولكن الإدارة الفرنسية في بلدان المغرب العربي وجدت أن إدخال دروس الترجمة (من الفرنسية إلى العربية وبالعكس) في مناهج المدارس والمعاهد يخدم غرضين من أغراضها، في آن واحد، هما: تعليم اللغة الفرنسية ونشرها في هذه البلدان، وإعداد العناصر الضرورية من المترجمين لتكون وسيطة بينها وبين الأهالي في الإدارة والقضاء والجيش سواء في المستوى المركزي أو المحلي. وهكذا أصبحت وظيفة مترجم من الوظائف البارزة والهامة في هياكل إدارة الحماية الفرنسية في بلدان المغرب العربي. (مواعدة : 112 - 113)

250. الترجمة وسيلة لتعريب التعليم والإدارة

حصلت تونس والمغرب على استقلالهما عام 1956 وانتزعت الجزائر استقلالها عام 1962. وفي الحال اتجهت نية هذه الأقطار إلى التخلص من لغة المستعمر القديم التي كانت اللغة الرسمية لهذه البلدان، وإحلال اللغة الوطنية محلها في التعليم والإدارة والقضاء وجميع مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ليكون الاستقلال السياسي مدعما بالاستقلال الثقافي. ويتطلب هذا الأمر إعداد المترجمين

القادرين على تعريب الإدارة ووثائقها، وتكوين المختصين المتمكنين من تعريب التعليم ومناهجه، وتوفير المصطلحات العلمية والتقنية اللازمة باللغة العربية.

وهكذا نجد أن الجزائر تقرر سنة 1963 - أي بعد عام واحد فقط من استقلالها- إنشاء "المدرسة العليا للترجمة" لإعداد مترجمين "مخصصين لمصالح العلاقات الخارجية والإرشاد الإداري والمصالح العمومية والمنظمات ولجان التسيير والمقاولات الصناعية والتجارية". (بن عيسى : 47)

وفي تونس حيث انتعشت بعد الاستقلال آمال في تعريب الإدارة والتعليم أنشئ "معهد بورقيبة للغات الحية" بمقتضى الأمر عدد 51 لسنة 1964 الذي نصّ على الغرض من إنشائه : "لتعليم اللغات والنقل والترجمة" (عبيد : 86)

وما إن تستقل المغرب حتى تسارع إلى إنشاء معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ثم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي من أجل توفير المصطلحات العلمية والتقنية وإجراء الدراسات والبحوث اللغوية اللازمة لتعريب الإدارة والتعليم.

260. الترجمة أداة للتواصل في العمل الدولي

إن تكاثر المنظمات الدولية والإقليمية كمنظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات العاملة في إطارها، وتزايد مكاتبها وفروعها في عواصم المغرب العربي ومدنه الكبرى، وتفاقم أنشطتها من مؤتمرات وندوات واجتماعات ومطبوعات، أدى إلى تعاظم الحاجة إلى الترجمة التحريرية والفورية. وهكذا أصبحت مهنة المترجم الدولي مهنة مربحة تحظى بإقبال النابغين باللغات. ومن هنا نجد أن أحد أحدث معاهد إعداد المترجمين في المغرب العربي، وهو مدرسة

الملك فهد العليا للترجمة في طنجة التي بدأت عملها خلال العام الدراسي 86-1987، تضع في طليعة أهدافها تخريج المترجمين القادرين على العمل في المنظمات الدولية والإقليمية. وقد تمكن عدد لا بأس به من خريجيها من الالتحاق فعلا بالمنظمات الدولية والإقليمية. (دليل المدرسة : 1-18)

300. العوامل المؤثرة في تنمية الترجمة

لأن الترجمة ليست مجرد عملية نقل لغوي، وإنما هي ضرورة حضارية وحركة ثقافية ونشاط علمي كذلك، كما ذكرنا، فإن العوامل المؤثرة فيها إيجابا وسلبا لا تقتصر على العوامل اللسانية، وإنما تتعداها إلى العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ويمكن تلخيص أهم هذه العوامل بما يلي :

1. الوضعية اللغوية في البلاد

ويشتمل هذا العامل على شقين أساسيين، هما :

أ- تعميم استعمال اللغة الوطنية

ب- تعليم اللغات الأجنبية

2. توفر العناصر البشرية المؤهلة

ويتطلب ذلك الإعداد التقني الجيد للمترجمين في معاهد متخصصة في تعليم تقنيات الترجمة.

3. وجود مؤسسات البنية التحتية للترجمة

والمقصود بها نوعان رئيسان من المؤسسات، هما :

أ- المؤسسات اللغوية والمعجمية والمصطلحية

ب- المؤسسات الوطنية للترجمة

4. التشريعات المشجعة على الترجمة

وتتناول هذه التشريعات جوانب مختلفة من عملية الترجمة أهمها :

أ- التشريعات المتعلقة بتعميم استعمال اللغة العربية وتنميتها

ب- التشريعات المتعلقة بحقوق المترجمين واتحاداتهم

ت- التشريعات المتعلقة بنشر الترجمات وتشجيعها

5. البحوث العلمية في نظرية الترجمة والترجمة الآلية

وستتناول هذه العوامل بإيجاز فيما يلي :

310. الوضعية اللغوية في المغرب العربي

311. تعميم استعمال اللغة العربية

لقد فرض المستعمر الفرنسي لغته الوطنية على بلدان المغرب العربي ، وعمم استعمالها في مختلف مرافق الحياة : في التعليم والإدارة والقضاء والجيش والقطاعات الاقتصادية ، بل ونجح في تشجيع الأسر المغربية على تلقيها لأطفالها منذ ولادتهم. كما أبعد اللغة العربية بوصفها لغة ميتة لا تصلح إلا في الصلاة في المساجد كما تُستعمل اللاتينية في طقوس العبادة في بعض الكنائس الأوروبية. وذهب إلى أبعد من ذلك عندما أصدرت السلطات الفرنسية في الجزائر مرسوما يوم 1938/3/8 أعلنت فيه أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر (الهاللي : 62). وهذا مجرد مثل يساعدنا على تصور الصعوبات التي واجهتها أقطار المغرب العربي في محاولاتها لاستكمال تعريب التعليم والإدارة فيها بعد الاستقلال.

ونظرا لأن هذه الأقطار - شأنها شأن أقطار المشرق العربي - لا تمتلك استراتيجية تعريب وطنية ثابتة، وإنما تمارس تعريبا ظرفيا معرضا للتغيير والتعديل حسب السياسات المتحولة، فإن عملية التعريب فيها قد انتكست عدة مرات. وهكذا يمكن القول إن الوضعية اللغوية في هذه الأقطار قد انتهت إلى ثنائية عربية فرنسية، على الرغم من أن دساتير أقطار المغرب العربي تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد[□]. وفي الوضع اللغوي الحالي في هذه الأقطار، لا يمكن وصف اللغة الفرنسية بأنها لغة أجنبية وإنما هي لغة ثانية تستعمل إلى جانب اللغة العربية في مجالات معروفة في الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. ففي الإدارة مثلا نجد الفرنسية تستعمل في الإدارات الاقتصادية والتقنية. وأما في التعليم فإن العربية هي لغة التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية وكليات العلوم الإنسانية، في حين تستعمل الفرنسية لغة في التعليم الجامعي العلمي والمهني والتقني، ما عدا تونس التي قصرت التعريب على المرحلتين الابتدائية والمتوسطة وبعض التخصصات الإنسانية في التعليم العالي.

وللوقوف على مدى صعوبة التعريب في هذه الأقطار يكفي إلقاء نظرة على المعارك الصحفية التي تدور حول التعريب باستمرار[□]. وقد تحدّث بالتفصيل عن مثل

1. ينص الدستور التونسي الحالي في فصله الأول على أن العربية هي لغة الدولة التونسية، وينص الدستور الجزائري الحالي (1996) - شأنه شأن سابقه دستور 1976 ودستور 1963 - على أن العربية هي "اللغة الوطنية والرسمية" للبلاد، كما ينص الدستور المغربي الحالي (1996) كالدساتير التي سبقته منذ سنة 1962 على رسمية اللغة العربية.

2. نضرب مثلا من إحدى المعارك الصحفية التي تدور باستمرار حول التعريب منذ استقلال هذه الأقطار قبل ما ينيف على أربعين عاما. فقد أحال مؤخرا وزير الوظيفة العمومية في المغرب على الأمانة العامة للحكومة مشروع مرسوم تصبح بمقتضاه الإدارة المغربية والجماعات المحلية والمؤسسات العمومية ملزمة باستعمال اللغة العربية، وإن عدم الاستعمال يعتبر خطأ مهنيا تترتب عنه المسألة التأديبية. وفي اليوم التالي تقريبا تصدى لهذا الأمر مقال المحرر المنشور في الصفحة الأولى من جريدة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية ليوم (2001/9/7) ومديرها السيد عبد الرحمان اليوسفي، الوزير الأول المغربي، وكاتب المقال هو السيد حسن نجمي، رئيس اتحاد كتّاب المغرب. وورد فيه ما يلي

: " يبدو الأخ محمد خليفة، وزير الوظيفة العمومية متحمسا لفرض صيغة قانونية تلزم الإدارات المغربية باستعمال اللغة العربية في مجموع إدارات الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العمومية. والوزير... يعلم جيدا أن هناك منشورا سبق وأصدره الوزير الأول الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي في نفس الموضوع يحتاج إلى تفعيل. لذلك تقدم الوزير... بمشروع مرسوم إلى الأمانة العامة للحكومة يعتبر فيه عدم استعمال اللغة الرسمية للدولة (أي العربية) "خطأ مهنيا خاضعا للمساءلة التأديبية"... لكنني أتصور أن الأمر ليس بنفس السهولة التي تصورها... هناك وضع ثقافي ولغوي معقد في المغرب. وهناك حساسية معلومة في الحقل اللغوي تحديدا تبلورت ضمن سيرورة تاريخية وثقافية واثنية. كما أن هناك مصاعب تطبيق لا ينبغي تجاهلها بحكم مكونات ونسيج الإدارة المغربية كما تمت "عصرنتها" خلال المرحلة الاستعمارية ومراحل تأسيس عهد الاستقلال..." (نجمي : 1) ●●●

●●● وفي اليوم نفسه (2001/9/7) صدر تعليق بعنوان "التعريب" في جريدة (ليكونوميست) وهي جريدة مغربية مفرنسة جاء فيه :

"إن كلمة التعريب لها رنة سيئة في آذان المغاربة وإنها مجرد شعار وطني كان له مغزى عند الاستقلال وبني عليه تعليم متدهور ودبلومات ضعيفة، وإنه مجرد ديماغوجية لا يمكن أن تغالط أحدا... وإن هناك موظفين، كبارا وصغارا، لا يشتغلون إلا بالفرنسية، لا لأنهم يحبونها أو متمكنون منها، وإنما لأن تخصصهم في الإعلاميات وفي قنوات المياه لا يوجد، سواء على مستوى التكوين أو التطبيق إلا بالفرنسية. فإذا فرضنا عليهم التعريب فإن أغلبيتهم ستصبح مجمدة ومضافة إلى صفوف الموظفين المتقاضين للمرتبات بدون أن يقوموا بأي عمل، الأمر الذي سيضعف مردودية الخدمات وبالتالي سيضر بالمواطنين."

وفي يوم 2001/9/18، صدر مقال طويل في جريدة (العلم) كتبه نقيب المحامين يرّد على الصحيفتين المذكورتين، جاء فيه :

"نرى أن مشروع المرسوم بالزامية استعمال اللغة العربية ما هو إلا تطبيق قانوني لمقتضيات الدستور المغربي الذي يعتبر أعلى قانون في البلاد... ورغم مرور أكثر من أربعين سنة على صدور أول قانون ينص على رسمية اللغة العربية، فإن الإدارة المغربية والمؤسسات العمومية التابعة لها ظلت ولا زالت تتعامل داخليا ومع بعضها ومع المواطنين بالفرنسية غير آبهة بالدستور ولا بالمنشورات العديدة المتوالية الصادرة من الوزراء الأولين (رؤساء الوزارات) التي تحثها على استعمال اللغة العربية ومن بينها، على وجه المثال المنشور رقم 1 الصادر في 1966/3/17 عن نائب الوزير الأول المكلف بالتنمية إدريس المحمدي، والمنشور رقم 69 المؤرخ في 1972/2/16 الصادر عن الوزير الأول محمد كريم العمراني، والمنشور رقم 122 الصادر في 1973/10/5 عن الوزير الأول أحمد عصمان، والمنشور رقم 58/98 المؤرخ في 1998/12/11 الصادر عن الوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي. كما لم تنفع حتى الآن عشرات من الأبحاث والمقالات والنداءات التي تدعو إلى استعمال اللغة العربية، كثرات وطني وحضاري وقومي في جميع مجالات الحياة بما فيها الإدارة... إن رسمية اللغة، أية لغة، مسألة قانونية ولا علاقة لها بالحساسيات. وغالبا ما تختار الدولة أو الأمة، عبر استفتاء، إحدى لغاتها الوطنية الأكثر رقيًا وتقدما، والأكثر معرفة وانتشارا بين مواطنيها من أجل ترسيخها وبالتالي استعمالها رسميا للتواصل داخليا ودوليا..." (بن عمرو : 6)

وفي يوم 2001/9/20، كتب مدير جريدة العلم الأستاذ عبد الكريم غلاب، في عموده اليوم المشهور "مع الشعب" مقالا حول الموضوع ختمه بالفقرة التالية : "فإلغاء العربية من الإدارة مخالفة دستورية وقانونية يعاقب عليها القانون. ولذلك أصبحت الحكومة ملزمة بأن تطبق الدستور الذي فرض وطنية اللغة العربية منذ نحو أربعة

هذه الصعوبات التي تحول دون التعريب الناجز في الإدارة والتعليم العالي لغويّ جزائريّ. (بلعيد: 238-268)

ويتساءل المرء ما إذا كان عدم استكمال تعريب التعليم، وخاصة التعليم الجامعي العلمي والتقني، هو نتيجة قصور في المنهجية وانتكاس في العملية التعريبية، أم أنه خيار سياسي معلن أو غير معلن. ويرى عبد اللطيف عبيد أن الثنائية اللغوية، في تونس مثلاً، هي خيار وطني قديم حتى قبل الحماية الفرنسية، وهدفه استخدام اللغة الأجنبية وسيلة لاستيعاب علوم الغرب وتقنياته. فعندما أنشأ المشير أحمد باشا باي مدرسة باردو الحربية عام 1840 استعملت اللغات الأجنبية في تدريس العلوم العصرية في تلك المدرسة، وعندما أنشأ الوزير المصلح خير الدين باشا المدرسة الصادقية عام 1875 جعل اللغة الفرنسية لغة لتدريس العلوم العصرية في تلك المدرسة (عبيد: 72-73)

وسواء أكانت الثنائية اللغوية في أقطار المغرب العربي اختياراً مسبقاً أو قصوراً في استراتيجية التعريب، فإن هذه الوضعية اللغوية، إضافة إلى عرقلتها للتنمية الاجتماعية الاقتصادية في هذه الأقطار، تلحق الضرر البين بالترجمة ذاتها، لأن المادة المترجمة سلعة ثقافية تخضع - كبقية السلع - لقانون العرض والطلب، فإذا تضاءل الطلب عليها لتمكن المستعمل من قراءة المادة بلغتها الأصلية، فإنه لا ضرورة لإنتاجها. ومن الضروري أن نضيف هنا أن تعميم استعمال اللغة العربية لا يعني تعريب الإدارة والتعليم فحسب وإنما يعني كذلك محو الأمية بحيث تستطيع نسبة عالية من أبناء البلاد القراءة والكتابة، فكلما ازدادت هذه النسبة ازداد الإقبال على قراءة الكتب موضوعة كانت

عقود، ولا تعبأ بأي فرنكفوني يدافع عن "رزه" بالتنكر للعربية. فليس من حق فرد يجهل العربية أن "يفتي" بعدم استعمالها أو يوجّه الحكومة إلى عدم تنفيذ المشروع الذي بين يديها لتعريب الإدارة. (غلاب: 1)

أو مترجمة. وتدلنا الإحصائيات التربوية أن نسبة الأمية عالية في أقطار المغرب العربي بحيث تناهز الـ 40٪ وتزداد هذه النسبة لدى النساء والكبار فتبلغ حوالي 50٪.

312. تعليم اللغات الأجنبية

تتطلب الترجمة في جانبها اللغوي إتقان المترجم اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها معاً، كما تتطلب في جانبها المعرفي تطلع المترجم في تخصص المادة المترجمة، أو كما قال أبو عثمان الجاحظ: "ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية." (الجاحظ 1:76)

وهكذا فإن تعليم اللغات الأجنبية في النظام التربوي إرهاب بظهور عدد ممن يتقنون هذه اللغات الأجنبية إلى جانب لغتهم الوطنية ما يساعدهم على الاضطلاع بالترجمة في المستقبل، إضافة إلى فتح نافذة لهم تطل على حضارات الناطقين بتلك اللغات. وهذا معنى متداول في الثقافة العربية حتى قيل: "كل لسان بإنسان" ونظمه بعضهم فقال:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوانُ
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا فكل لسان في الحقيقة إنسان
وقال آخر:

وإذا المترجم حاز أسرار اللغى روى عباداً من إناء عباد

وإذا نظرنا إلى الخريطة اللغوية في النظام التربوي في أقطار المغرب العربي، نجد أنه باستثناء اللغة الفرنسية التي تُدرس في التعليم العام (المرحلتين الابتدائية

والثانوية)، فإن عدد اللغات الأجنبية التي تُدرّس في التعليم الثانوي محدود كما أن الساعات المخصصة لها محدودة. وتنفرد تونس في تعليم لغتين أجنبيتين (الفرنسية والإنكليزية) في المرحلة الإعدادية. وفي المرحلة الثانوية (أي السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من التعليم العام) يُوجّه التلميذ في تونس والمغرب إلى تعلم لغة أخرى يختارها من بين اللغات التالية: الإنكليزية، الإسبانية، الألمانية، الإيطالية. ويتحكم في الاختيار عوامل متعددة منها، مثلا، تخصص الطالب، فطلاب الشعبة العلمية يميلون إلى اختيار اللغة الإنجليزية، ومنها توفر المدرسين المختصين بهذه اللغات في مدرسة الطالب، ومنها المنطقة التي ينتمي إليها، فطلاب شمال المغرب مثلا يفضلون اللغة الإسبانية لانتشارها هناك لأسباب تاريخية، ومنها وجود أقارب للطلاب هاجروا إلى أحد الأقطار الأوربية، وهكذا. أما في الجزائر فإن جميع الطلاب في المرحلة الثانوية يدرسون اللغة الفرنسية وبعضهم القليل يُتاح له إضافة الإنجليزية. وفي التعليم العالي، نجد أن تونس قد أحدثت عام 1964 "معهد بورقيبية للغات الحية" لتعليم اللغات الأجنبية للتونسيين وتعليم العربية لغير الناطقين بها. وفي عام 1976 أصبح هذا المعهد تابعا للجامعة التونسية (جامعة تونس 1 للآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية) وأضيفت إليه مهمة تنظيم التعليم في النقل والترجمة. وتُدرس في هذا المعهد اللغات الفرنسية، والإنكليزية، والألمانية، والإسبانية، والإيطالية، والروسية، واليابانية، والصينية، والتركية. ويمنح شهادات فيها. وإضافة إلى ذلك فإن كليات الآداب في جامعة صفاقس وجامعة الوسط (سوسة) وجامعة القيروان، تشتمل على أقسام لدراسة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية، وتمنحان الإجازة، والأستاذية، والدكتوراه في هذه اللغات.

أما في الجزائر فقد تأسس في جامعة الجزائر عام 1981 مركز التعليم المكثف للغات، وكذلك في جامعات أخرى، ولكن هذه المراكز لا تمنح الإجازة بل تقوم بهذه المهمة معاهد اللغات الأجنبية الموجودة في كل من جامعة تلمسان، وجامعة تيزي وزو، وجامعة عنابة، وجامعة فرحات عباس في سطيف، وجامعة العلوم والتكنولوجيا في وهران، وجامعة قسنطينة، وجامعة وهران السانية. وتدرّس في هذه المعاهد اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والروسية، والألمانية. ويستطيع الطالب الحصول على الإجازة الجامعية في إحدى هذه اللغات.

أما المغرب فلا تشتمل جامعاته على معاهد اللغات الأجنبية، ولكن كليات الآداب والعلوم الإنسانية في بعض هذه الجامعات تشتمل على أقسام لتدريس اللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والإيطالية، وتمنح شهادة الليسانس. كما تُعطى بعض الدروس الاختيارية في لغات أخرى من غير أن يحصل الطالب على شهادة الليسانس فيها وهذه اللغات هي الفارسية والعبرية والأردية والتركية واليابانية والروسية.

وخلاصة القول إن تدريس اللغات الأجنبية محدود في النظام التربوي في المغرب العربي، ويقتصر على عدد قليل من اللغات الأوروبية، ويغفل لغات آسيا وأفريقيا، ولا تدرس لغة بعمق وإحاطة إلا اللغة الفرنسية التي تبدأ دراستها من المرحلة الابتدائية، بحيث لا نتوقع وجود مترجمين من لغات غير الفرنسية إلا نادرا. ولهذا نجد أن معظم الكتب المعرّبة في المغرب العربي منقولة من الفرنسية.

320. توفر العناصر البشرية المؤهلة

بصورة عامة، بقيت الترجمة في أقطار المغرب العربي، لمدة طويلة، يمارسها مثقفون أتقنوا لغات أجنبية ولكنهم لم يتلقوا إعدادا خاصا في الترجمة وتقنياتها. وسنعرض هنا ثلاث تجارب مختلفة ذات أهداف متباينة نوعاً ما :

321. المدرسة العليا للترجمة في الجزائر

كانت الغاية من قرار إنشاء هذه المدرسة عام 1963 (أي بعد عام واحد من الاستقلال) هي إعداد المترجمين الذين سيعملون في مختلف مرافق الدولة الإدارية والتربوية للمساعدة على تعريب تلك المرافق. فقد نص مرسوم إنشاء هذه المدرسة على أهدافها على الوجه التالي :

1. تكوين هيئة مترجمين معربين من ذوي الأهلية العليا من حيث علم اللغة متوفرين على ثقافة عامة متينة، ومخصصين لمصالح العلاقات الخارجية والإرشاد الإداري والمصالح العمومية والمنظمات ولجان التسيير والمقاولات الصناعية والتجارية.
2. تكوين هيئة مترجمين اختصاصيين من ذوي الأهلية العليا من حيث اللغة حائزين على دراية من المستوى العالي في الاختصاصات العلمية الرئيسية، ومخصصين للمصالح الفنية ومصالح الإرشاد أو التبادل والمنظمات الصناعية العلمية ومراكز الأبحاث والمختبرات والمدارس الاختصاصية.

ولهذا كانت هذه المدرسة تمنح شهادتين : الأولى، أهلية الدراسات العليا للترجمان، والثانية أهلية الدراسات العليا للترجمان المتخصص. وكانت مؤسسة تعليمية شبه مستقلة وفي عام 1970، ألحقت هذه المدرسة بمعهد اللغات الأجنبية في جامعة الجزائر، وأصبحت دائرة من دوائر هذا المعهد، وأخذت تمنح شهادة ليسانس جامعية في الترجمة (بن عيسى : 47-48).

322. قسم الترجمة في معهد بورقيبة للغات الحية

أنشئ عام 1976 قسمٌ لتكوين المترجمين في معهد بورقيبة للغات الحية (الذي أصبح اسمه الآن المعهد العالي للغات وهو تابع حالياً لجامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس). والدافع لإنشاء هذا القسم هو الحركة الاقتصادية المتنامية في السبعينات من القرن العشرين التي كانت تستدعي التعامل مع المؤسسات الاقتصادية والمالية الأجنبية في الخارج والداخل. وكانت مدة الدراسة في هذا القسم، للحاصلين على شهادة المدرسة الثانوية، أربع سنوات، ينال الطالب بعدها على الأستاذية (الإجازة) في الترجمة. ومنذ عام 1993، أصبحت الدراسة في هذا القسم سنتين بعد مباراة دخول يتقدم إليها الطلاب الناجحون في المرحلة الجامعية الأولى في مختلف الاختصاصات (وهذه المرحلة تتكون من السنتين الأولى والثانية في الجامعة). وتستعمل في تخصص الترجمة اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، علماً بأن العربية هي اللغة الرئيسية ثم يختار الطالب اللغتين الثانية والثالثة. وإضافة إلى الدروس اللغوية وتقنيات الترجمة العامة، يدرس الطلاب الترجمة الاقتصادية والعدلية (القانونية)، والترجمة العلمية والتقنية. وقد تخرج في هذا القسم منذ إنشائه أكثر من ألف مجاز، ولكن أغلبهم يعمل في تدريس اللغات في المدارس الثانوية، بسبب الثنائية اللغوية السائدة في تونس وعدم حاجة المؤسسات الحكومية التي تستخدم الفرنسية إلى مترجمين (بن حميدة : 39-41، وعبيد : 86-87)

323. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة

لا علاقة لهذه المدرسة بالمدرسة العليا للترجمة التي أنشأتها الإدارة الفرنسية بالرباط عام 1912 لغايات مختلفة والتي انتهت مهمتها بانتهاء الحماية الفرنسية.

ولكن اختيار طنجة مقراً للمدرسة الجديدة يحمل دلالة خاصة إذ إنه يذكر بمدرسة الترجمة التي أنشأها السلطان الحسن الأول في طنجة أواخر القرن التاسع عشر. لقد تقرر إحداث مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة عام 1983 وافتتحت خلال السنة الدراسية 1986-1987 بوصفها مدرسة تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم أُحقت عام 1990 بجامعة عبد المالك السعدي في تطوان.

ويُقبل في هذه المدرسة - بعد النجاح في مباراة دخول - الطلاب الحاصلون على شهادة المرحلة الجامعية بتخصص لغات أو الحاصلون على الإجازة الجامعية في الآداب أو العلوم أو الاقتصاد أو الحقوق. وتتوفر المدرسة على ثلاث تشكيلات لغوية :

- عربية (أ) فرنسية (ب) إنجليزية (ج)

- عربية (أ) إنجليزية (ب) فرنسية (ج)

- عربية (أ) إسبانية (ب) فرنسية (ج)

ومدة الدراسة ثلاث سنوات لحاملي شهادة المرحلة الجامعية الأولى، أو سنتين لحاملي الإجازة الجامعية. ويحصل الطالب عند التخرج من المدرسة على دبلوم مترجم تحريري. ويشتمل البرنامج الدراسي على دروس في القانون والاقتصاد والقانون الدولي العام والعلاقات الدولية والمنظمات الدولية، إضافة إلى الدروس اللغوية وتقنيات الترجمة. وتعتزم المدرسة فتح سلك عال مدة الدراسة فيه سنتان وينتظم فيه خريجو المدرسة الراغبون بعد اجتياز مباراة دخول للحصول على دبلوم عال في الترجمة الفوقية أو دبلوم عال في الترجمة التحريرية. (نشرة المدرسة التعريفية).

وبصرف النظر عن الأهداف المسطرة في قرار إنشاء هذه المدرسة، فإن نظرة فاحصة على برنامجها الدراسي والجهات التي استخدمت خريجها، تدلنا على أن هذه المدرسة تعد المترجمين للعمل في المنظمات الدولية والإقليمية، ومكاتب الترجمة المهنية، ووكالات الأنباء والمؤسسات ذات الطابع الدبلوماسي، والبنوك وغيرها من مؤسسات القطاع الخاص. وتمكنت هذه المدرسة من تخريج 173 مترجما خلال السنوات العشر الأولى من عملها (أي من عام 1986 إلى عام 1996).

330. مؤسسات البنية التحتية للترجمة

المترجم كالبنا، لا يستطيع إنجاز عمله بالاعتماد على قدراته الذاتية فقط. وكما يحتاج البناء إلى ما تنتجه معامل الحدادة والنجارة والزجاج وغيرها لإمداده بأدوات عمله وبالمواسير والأبواب والشبابيك وما إلى ذلك، فإن المترجم يعتمد في عمله على ما تنتجه المؤسسات اللغوية والمعجمية والمصطلحية. ويمكن تسمية هذه المؤسسات بمؤسسات البنية التحتية للترجمة. وأهم هذه المؤسسات ما يلي :

331. المؤسسات اللغوية والمعجمية والمصطلحية

يُعدّ المعجم بأنواعه المختلفة، الأحادي اللغة والثنائية اللغة، اللغوي والمتخصص، الورقي والإلكتروني، وسيلة لا غنى عنها للمترجم. فهو أدواته الرئيسية في عمله. وكلما توفرت المعاجم وتعددت أصنافها، وجد المترجم ضالته فيها، وتيسرت عملية الترجمة. ويحتاج المترجم بصورة خاصة إلى المصطلحات العلمية والتقنية في عمله خصوصا إذا كان يترجم في ميدان متخصص. والمصطلحات توجد

عادة في معاجم ورقية أو إلكترونية (الصوري : 16-17 والقاسمي ، 1992 :
46-21)

وتقوم بإنتاج المعاجم المؤسسات اللغوية والمعجمية والمصطلحية ، مثل المجمع اللغوية والعلمية ، ومراكز الدراسات المعجمية والمصطلحية ، ودور النشر المتخصصة . وتقوم هذه المؤسسات عادة بتصنيف المعاجم ، وإصدار الدوريات اللغوية ، وعقد الندوات واللقاءات العلمية حول قضايا اللغة والمعجم والمصطلح .

ونلاحظ في المغرب العربي وفرةً في هذا النوع من المؤسسات وجودة في إنتاجها . ويمكن تفسير ذلك برغبة أقطار المغرب العربي في استعادة هويتها اللغوية بعد أن طمسها الاستعمار الفرنسي ، ومحاولاتها المتعددة لإنجاز التعريب الشامل وما يحتاجه من مصطلحات ومعاجم 82 . وفيما يلي عرض موجز سريع لأهم هذه المؤسسات في المغرب العربي :

أ- تونس

أنشأت وزارة الثقافة عام 1982 " المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة " التي كانت تشتمل على خمسة أقسام أولها وأهمها " المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات ". وفي عام 1992 أصبح اسمها " المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون - بيت الحكمة ". وقد نص القانون عدد 116 لسنة 1992 على أن مهام هذا المجمع " تأليف المعاجم والموسوعات وترجمة المؤلفات. " (عبيد : 82 وحميدة 42)

ب- الجزائر

وفي الجزائر اضطرت الدولة إلى إنشاء عدد من المؤسسات اللغوية لإحياء اللغة العربية وإعادة استعمالها في مرافق الحياة العامة. ومن هذه المؤسسات ما يلي :

- "المركز الوطني للترجمة والمصطلحات" الذي أنشأته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي عام 1980، وجاء في نظام تأسيسه أن من مهامه "إنتاج قواميس ومعاجم مناسبة للفروع والاختصاصات" و"ترجمة الكتب الوجيزة المنسوخة والدروس المقررة في البرامج الجامعية إلى اللغة العربية...". (بن عيسى 49)

- "مركز ترقية اللغة العربية" في جامعة الجزائر الذي تولى إدارته مدة طويلة اللغوي المعروف عبد الرحمن الحاج صالح والذي تبنى مشروع "الذخيرة اللغوية"، وهو مشروع يرمي أساسا إلى بناء قاعدة للمعطيات النصية، وإنشاء معجم آلي للألفاظ العربية المستعملة، ومعجم آلي للمصطلحات التقنية المستعملة بالفعل. (الحاج صالح : 33-53)

- وأنشأت رئاسة الجمهورية الجزائرية عام 1998 "المجلس الأعلى للغة العربية" للتنسيق بين الهيئات المشرفة على عملية تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها" (كاشة : 257). ويقوم هذا المجلس بنشاط أكاديمي مكثف، فهو يصدر مجلة فصلية عنوانها "اللغة العربية"، ويقدم مواسم ثقافية تلفى فيها محاضرات ودراسات ثم يصدرها في كتاب سنوي يحمل عنوان "أعمال الموسم الثقافي"، كما يعقد ندوات وطنية وعروبية[□]، وينشر المعاجم التي تساعد الإدارات

□. من الندوات الوطنية التي عقدها المجلس ندوة في مدينة عنابة صيف 1999 حول " إشكالية المصطلح الإداري"، وندوة أخرى عقدها في الجزائر العاصمة يومي 9 و10 أبريل 2000 حول " إتقان العربية في التعليم" وأصدر أعمالها في كتاب يحمل العنوان نفسه في العام

على التعريب[□]، إضافة إلى تنفيذ المهام المنوطة به. وتولى رئاسة هذا المجلس منذ تأسيسه حتى منتصف عام 2001، الأديب اللغوي المعروف الدكتور عبد الملك مرتاض، ثم أعقبه اللغوي الدكتور محمد العربي ولد خليفة.

هذا إضافة إلى مجمع اللغة العربية في الجزائر، الذي يتولى رئاسته الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح منذ سنة 2000

ج- المغرب

- في يناير / كانون الثاني 1960 أنشأت المملكة المغربية " معهد الدراسات والأبحاث للتعريب للمساعدة في تعريب الإدارة والتعليم في البلاد، أو كما ورد في نظام تأسيسه: " خدمة اللغة العربية وتحديث أدواتها باعتبارها عنصرا أساسيا في تحديد الشخصية الوطنية والهوية الثقافية لمغرب ما بعد الاستقلال" ويشتمل المعهد على "قاعدة المعطيات متعددة اللغات" التي تضم عشرات الآلاف من المصطلحات باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، أصدر قسم منها في معاجم ورقية. ويصدر المعهد دورية " أبحاث لسانية"، كما يجري عددا من الأبحاث اللسانية والمعجمية والمصطلحية، ويعقد الندوات واللقاءات العلمية لتطوير النظريات اللسانية والمعجمية والمصطلحية وتطبيقاتها. ويتولى إدارة المعهد حاليا اللغوي المعروف عبد القادر الفاسي الفهري.

نفسه. ومن ندواته العروبية الندوة التي عقدها في الجزائر العاصمة في المدة من 6-8 نوفمبر 2000 وأصدر أعمالها في كتاب يحمل نفس العنوان في السنة ذاتها.

□. من المعاجم التي أصدرها المجلس: " معجم المصطلحات الإدارية - عربي / فرنسي - فرنسي/عربي (الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية، 2000).

- وفي عام 1961، أنشأ المغربُ المكتبَ الدائمَ لتنسيق التعريب في الوطن العربي ليقوم بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، كي يستفيد المغرب منها في استعمال اللغة العربية في الحياة العامة. وفي عام 1969، ألحق المكتب بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية. وعندما تأسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في إطار جامعة الدول العربية عام 1972، ألحق المكتب بالمنظمة وأصبح اسمه " مكتب تنسيق التعريب. " (دليل المكتب: 6)

وإذا كان الهدف الأساس للمكتب هو تنسيق الجهود التي تُبذل في أقطار الوطن العربي لاستعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه في الحياة العامة، فإن المكتب يحقق هذا الهدف عن طريق توحيد المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي باتباع المنهجية التالية :

1. اختيار موضوعات المعجم المتخصصة التي تناظر المواد الدراسية في مراحل التعليم المختلفة.
2. تكليف خبراء بوضع مشروع المعجم المطلوب الذي يضم المصطلحات الإنجليزية ومرادفاتها الفرنسية ثم مقابلاتها المختلفة في البلاد العربية مع اقتراح المقابل الموحد
3. مراجعة مشروع المعجم من قبل مختصين أو ندوة متخصصة تضم خبراء في ميدان المعجم ومصطلحيين ولغويين.
4. عرض مشروع المعجم على أحد مؤتمرات التعريب لدراسته وتعديله وإقراره.
5. إصدار المكتب لذلك المعجم بوصفه معجماً موحداً لمصطلحات ذلك العلم.

ويشارك في مؤتمرات التعريب ممثلون عن حكومات الدول العربية، والمجامع اللغوية والعلمية العربية واتحادها، والمنظمات المعنية بالموضوعات المعروضة على المؤتمر، وعدد من اللغويين والمصطلحيين.

وقد عقد المكتب حتى الآن تسعة مؤتمرات للتعريب في الأماكن والسنوات المبينة في أدناه :

الأول، الرباط 1961 ؛ الثاني، الجزائر 1973 ؛ الثالث، طرابلس الغرب 1977، الرابع، طنجة 1981 ؛ الخامس، عمّان، 1985 ؛ السادس، الرباط 1988، السابع، الخرطوم 1994 ؛ الثامن والتاسع، مراكش 1998.

ونتج عن المؤتمرات توحيد آلاف المصطلحات في مختلف الموضوعات. وقد نشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب، في ما يناهز أربعين معجما تحمل عنوان " المعجم الموحد لمصطلحات — ". وتتناول هذه المعاجم مصطلحات الموضوعات التالية: الجغرافية والفلك، التاريخ، الفلسفة والمنطق، علم النفس، الصحة وجسم الإنسان، الرياضيات البحتة والتطبيقية، الكهرباء، هندسة البناء، التجارة والمحاسبة، النفط، الجيولوجيا، الحاسبات الإلكترونية، الفيزياء العامة والنووية، التربية، الاجتماع والانتروبولوجيا، الكيمياء، الزراعة، الإحصاء، السكك الحديدية، الاقتصاد، الموسيقى، الآثار، القانون، السياحة، الزلازل، الطاقات المتجددة، البيئة، التقنيات التربوية، الفنون التشكيلية، الإعلام، الاستشعار عن بعد، الأرصاد الجوية، علوم البحار، علوم المياه، المعلوماتية، الهندسة الميكانيكية. (دليل المكتب : 19)

ويتوفر المكتب على بنك مصطلحات له موقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وعنوانه : www.arabization.org.ma، ويستطيع المترجم وغيره أن يحصل منه على المقابلات العربية الموحدة للمصطلحات الإنكليزية والفرنسية، إلى جانب ببيوغرافية مفصلة للأعداد الخمسين من مجلة المكتب "اللسان العربي" وكذلك محتويات هذه المجلة ابتداء من العدد السابع والأربعين.

وما يهمنا هنا هو مدى تقيد المترجمين في المغرب العربي وغيره من أرجاء الوطن العربي بالمصطلحات الموحدة لدى قيامهم بأداء واجباتهم. فقد لاحظنا في دراسة ميدانية ستنتشر لاحقا أن قلة قليلة من المترجمين تلتزم بالمصطلحات العربية الموحدة أو تلتزم بأنساق مصطلحية ثابتة في المواد التي تترجمها.

ومن ناحية أخرى فإن المعاجم الموحدة التي أنتجها المكتب تفند الحجج القائلة بعدم توفر اللغة العربية على المصطلحات العلمية والتقنية اللازمة لتعريب العلوم والهندسة والطب في التعليم العالي.

332. المؤسسات الوطنية للترجمة

نعني بالمؤسسة الوطنية للترجمة تلك المؤسسة التي ترعاها الدولة والتي تتخصص في تعريب الكتب وتعريبها وفق خطة مدروسة وتتوفر على المترجمين المتفرغين والمتعاونين لتنفيذها. وبصورة عامة يمكن القول على أن أقطار المغرب العربي لا تمتلك مؤسسات وطنية للترجمة. ولكن مؤسسات ثقافية عديدة تضع الترجمة والتأليف جزءا من أهدافها أو مهامها.

ولقد أعلمني الأخ بدري عثمان عضو المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر في حديث هاتفني معه أثناء إعداد هذه الورقة، أن المجلس يعكف حاليا على إنشاء

مؤسسة وطنية للترجمة. كما أن فكرة تأسيس مثل هذه المنظمة في المغرب قد طرحت بإلحاح في عدد من الندوات المتعلقة بالترجمة.

340. التشريعات المشجعة على الترجمة

من العوامل التي تساعد على انتعاش الترجمة التشريعات التي تضمن تعميم استعمال اللغة الوطنية، وتحمي حقوق المترجمين، وتيسر نشر الأعمال المترجمة. ولكن وجود التشريع لا يعني بالضرورة العمل به بصورة تلقائية. فكثيرا ما تنص دساتير الدول الشمولية على الحرية والمساواة والعدل ولكن حقوق المواطن مهضومة وحريته مصادرة في تلك الدول. وسنتطرق هنا إلى ثلاثة أنواع من التشريعات المشجعة على الترجمة :

341. التشريعات المتعلقة بتعميم استعمال اللغة العربية

تنص دساتير الدول العربية وبضمنها أقطار المغرب العربي على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، كما توجد فيها بعض التشريعات المتعلقة بتعميم استعمال اللغة العربية. ولعل التشريعات الجزائرية في هذا المجال هي أكثر التشريعات المغاربية شمولا وتفصيلا. ولهذا سنتطرق إلى أهمها هنا على سبيل المثال.

1. الدستور

لقد نص دستور 8 سبتمبر 1963 في مادته الخامسة على أن "اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة." ونصت المادة 76 منه على ما يلي : "يجب تحقيق تعميم استعمال اللغة العربية في أقرب وقت ممكن في كامل أراضي الجمهورية، بيد أنه، خلافا لأحكام هذا القانون، سوف يجوز استعمال اللغة الفرنسية موقتا إلى جانب اللغة العربية."

أما دستور 22 نوفمبر 1976 فقد نصت المادة الثالثة منه على أن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية. تعمل الدولة على تعميم استعمال اللغة الوطنية في المجال الرسمي."

أما دستور 28 نوفمبر 1996 فقد نصت المادة الثالثة منه على أن اللغة العربية هي اللغة "الوطنية والرسمية."

2. قانون تعميم استعمال اللغة العربية

ويحمل هذا القانون الرقم 91-05 بتاريخ 1991/1/6. ومن مواده ما يلي

:

المادة 3 : يجب على كل المؤسسات أن تعمل لترقية اللغة العربية وحمايتها والسهر على سلامتها، وحسن استعمالها.

تمنع كتابة اللغة العربية بغير حروفها.

المادة 4 : تلزم جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللغة العربية وحدها في كل أعمالها من اتصال وتسيير إداري، ومالي، وتقني، وفني.

المادة 5 : تحرر كل الوثائق الرسمية والتقارير ومحاضر الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات باللغة العربية.

يمنع في الاجتماعات الرسمية استعمال أية لغة أجنبية في المداولات والمناقشات.

المادة 15 : يكون التعليم والتربية والتكوين في كل القطاعات، وفي جميع المستويات والتخصصات، باللغة العربية، مع مراعاة كفايات تدريس اللغات الأجنبية.

المادة 29 : تعدّ الوثائق الرسمية المحررة بغير اللغة العربية باطلة. تتحمل الجهة التي أصدرتها أو صادقت عليها مسؤولية النتائج المترتبة عليها.

المادة 36 : تطبق أحكام هذا الأمر فور صدوره.

ويجب استكمال عملية تعميم استعمال اللغة العربية في أجل أقصاه 5 يوليو 1998. غير أنه يتم التدريس باللغة العربية بصفة شاملة ونهائية في كل مؤسسات التعليم العالي والمعاهد العليا في أجل أقصاه 5 يوليو 2000 مع مراعاة أحكام المادة 23.

والمادة 23 تنص على ما يلي : " يُنشأ مجلس أعلى للغة العربية ويوضع تحت إشراف رئيس الجمهورية."

3. المجلس الأعلى للغة العربية

وقد أنشئ هذا المجلس بالمرسوم الرئاسي رقم 98-226 بتاريخ 1998/7/11. ويتضمن هذا المرسوم خمسة فصول تشتمل على 35 مادة. وتنص المادة الرابعة المتعلقة بصلاحيات المجلس على الفقرة الرابعة التي تنص على ما يلي :

"ينظر (المجلس) في ملاءمة الآجال المتعلقة ببعض التخصصات في التعليم العالي المنصوص عليها في المادة 7 المعدلة والمتتمة للفقرة الثانية من المادة 36 من القانون رقم 91-05 المؤرخ في 16 يناير سنة 1991 المعد والمتمم والمذكور أعلاه".

ويتساءل المرء ما إذا كانت هذه الفقرة هي الثغرة التي تسمح ببقاء التخصصات العلمية والتقنية في التعليم العالي تُدرّس باللغة الفرنسية، حتى الوقت المناسب. ولكن المادة الخامسة من قانون المجلس تنص على ما يلي :

”يجب أن يعمل المجلس على تطبيق التشريع والتنظيم المتعلقين بتطبيق استعمال اللغة العربية في الإدارات والمؤسسات والهيئات العمومية ومختلف الأنشطة لا سيما الاقتصادية والثقافية والاجتماعية“. (كاشة : 230-265)

342. التشريعات المتعلقة بالترجمين

يبدو أن التشريعات التي تنظم عمل المترجمين وتحفظ حقوقهم وتشجعهم قليلة في أقطار المغرب العربي. ومن هذه القوانين القليلة قوانين الملكية الفكرية التي تنص على أن حق التأليف يشمل المؤلفات المبتكرة أو المترجمة أو المقتبسة.

وكذلك توجد قوانين تنظم مهنة المترجمين المحلفين المعتمدين لدى المحاكم وغيرها، كالقانون رقم 80 لسنة 1994 في تونس. (عبيد : 88).

أما في الجزائر فقد صدر مرسوم بتاريخ 1969/2/8 يقضي بإحداث مكاتب للترجمة في مختلف الوزارات بحيث تقوم هذه المكاتب بالترجمة إلى اللغة العربية للوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية. كما صدر مرسوم في 1969/10/2 يحدد وضعية المترجم بوصفه موظفا في الدولة ويبين حقوقه وواجباته. وعلى إثر انتهاء أعمال الجمعية العامة للاتحاد الوطني للترجمة والمترجمين في الجزائر في الفترة من 11 إلى 13 فبراير 1971 صدر قانون بتأسيس هذا الاتحاد. (بن عيسى : 48)

وفي المغرب لا توجد جمعيات للمترجمين ما عدا ”جمعية المترجمين القضائيين“ أي المترجمين المحلفين، كما يسمونهم كذلك في المغرب وأصدرت وزارة العدل المغربية قانونا عام 2001 ينظم مهنتهم. كما توجد جمعية لخريجي مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة.

340. التشريعات المتعلقة بنشر الترجمات وتشجيعها

يخضع النشر في أقطار المغرب العربي لمقاييس السوق، وليس هنالك ما يلزم المؤسسات، أهلية كانت أم حكومية، بنشر كتب معينة كالكتب المترجمة أو غيرها. وإذا كان لكل مادة فكرية من منبر فإنه يمكن القول إن الترجمة قد وجدت منبرها في الدوريات. فقد لقيت الترجمة تشجيعا كبيرا من الصحافة في أقطار المغرب العربي. فمذ أن نشأت الصحافة في هذه الأقطار وهي تنشر بصورة منتظمة نصوصا مترجمة. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نجد جريدتي "الرائد التونسي" و"الحاضرة" في تونس وجريدة "المبشر" في الجزائر تنشر نصوصا مترجمة، سياسية وعلمية واقتصادية وأدبية. (مواعدة : 88-94) وتتجلى هذه الظاهرة كذلك في الصحافة المغربية الصادرة في مطلع القرن العشرين كما هو الحال في جريدة "السعادة" التي أنشأت سنة 1905 "والداعية إلى الحداثة وترجمة النصوص... وتخوض في ترجمة مقالات عن الجرائد الفرنسية مثلا، أو الاقتباس عن الجرائد الشرقية لترجمات قصصية وروائية ومقالاتية" (علوش 1990 : 25-29) كما اعتمدت جميع الصحف المغربية الطليعية في المغرب قبل الحماية وبعدها بتخصيص صفحة للمترجمات. وهذا ما نجده اليوم في صحيفة "العالم" وصحيفة "الاتحاد الاشتراكي" وغيرهما من الصحف المغربية التي دأبت، يوميا تقريبا، على نشر كتب مترجمة بصورة متسلسلة إضافة إلى المقالات المترجمة.

أما من حيث التشجيع الرسمي للترجمة فهو ضئيل. ويمكن أن يُشار في هذا الصدد إلى أن وزارة الشؤون الثقافية في تونس تخصص جوائز سنوية لأفضل الكتب التونسية وبضمنها الكتب المترجمة. كما أن وزارة الشؤون الثقافية في المغرب أحدثت عام 1993 جائزة سنوية للترجمة بعد أن كانت جائزة المغرب للكتاب تقتصر على الكتب الموضوعية

350. البحوث العلمية في نظرية الترجمة والترجمة الآلية

من المعروف أن ما يُخصص للبحوث العملية الأساسية والتطبيقية في الوطن العربي ضئيل جدا إذا ما قورن بما ينبغي عليه الحال أو بما تنفقه الدول المصنعة على البحث العلمي. وعلى الرغم من عدم توفر الاعتمادات البشرية والمادية اللازمة، فإن نظرية الترجمة قد استرعت اهتمام المجامع اللغوية والعلمية في تونس والجزائر والمغرب. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة - في تونس قد أصدرت في سلسلة البحوث والدراسات التي تنشرها كتابا قيما بعنوان " الترجمة ونظرياتها" [□] كما أصدرت كتابا عن " تأسيس القضية الاصطلاحية" [□]، وعقدت عدة ندوات عن الترجمة كان آخرها حول " ترجمة الأدب التونسي إلى اللغات الأجنبية" عام 1998. وفي محاولة لتوفير موقف تنظيري يحدد معنى الترجمة ويوظف دورها في التنمية، عقدت لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية ندوة في طنجة عام 1995 خصصتها لـ "الترجمة العلمية" [□].

ولكن الاهتمام بالترجمة لا يقتصر على المجامع في المغرب العربي، وإنما يمتد إلى الجامعات والمراكز والمعاهد وحتى الصالونات الأدبية. فجامعة محمد الخامس بالرباط تبدي اهتماما بموضوع الترجمة فقد نظمت مائدة مستديرة عام 1993 حول موضوع "الترجمة والتأويل" شارك فيها أساتذة من مختلف الجامعات المغربية

-
- . انظر المراجع تحت: بيت الحكمة 1989.
 - . انظر المراجع تحت بيت الحكمة 1989-2.
 - . انظر المراجع تحت: أكاديمية المملكة المغربية.

بحوث تتناول قضايا منهجية ومعرفية ومفهومية تخص الترجمة وعلاقتها بالفهم والتأويل والمرجع[□]. وتضمنت احتفالات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر بالذكرى العاشرة لتأسيسها عام 1994 عقد ندوة موضوعها "الترجمة في الآداب والعلوم الإنسانية: الواقع والآفاق"[□].

وفي عام 1994 خصصت الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي ندوة من ندوات صالونها الأدبي في الرباط لموضوع "الترجمة" وأصدرت دراسات الندوة مع دراسات ترجمية أخرى في كتاب بعنوان "الترجمة والتلاقح الثقافي"[□]. وعندما أُنبت جامعة سيدي محمد بن عبد الله في فاس أحد أساتذتها البارزين في اللغات والترجمة عام 2001 كان موضوع ندوة التأبين "تعليم اللغات الأجنبية والترجمة في خدمة قضايانا الوطنية"[□] أما مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، فإضافة إلى نشرها عددا من الأعمال المتعلقة بالترجمة مثل كتاب "خطاب الترجمة الأدبية: من الازدواجية إلى المثاقفة"[□] وكتاب "الشعر العربي الحديث المترجم: مقدمة وببليوغرافية"[□]، فإنها عقدت عدة ملتقيات دولية حول الترجمة منها "الملتقى الدولي حول الترجمة والعمولة" عام 2000، والندوة الدولية حول "ثقافة المترجم" في مارس عام 2002،

-
- . انظر المراجع تحت: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
 - . انظر المراجع تحت: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.
 - . انظر المراجع تحت: بيت آل محمد عزيز الحبابي.
 - . عُقدت هذه الندوة تكريما للمرحوم الأستاذ محمد أبو طالب وستُنشر وقائعها قريبا.
 - . انظر المراجع تحت: علوش.
 - . انظر المراجع تحت: الطعمة.

إضافة إلى أن تصدر منذ أبريل 1992 دورية نصف سنوية متخصصة في الترجمة عنوانها "ترجمان" [□].

وظهرت في المغرب دور نشر متخصصة في نشر كتب شهرية ذات طبعات شعبية لا يتجاوز سعر الكتاب الواحد عشرة دراهم (أقل من دولار واحد) وتطبع من كل كتاب بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسخة. وهناك الآن ثلاث دور نشر من هذا النوع هي : شرع، والزمن، والمعرفة للجميع. وفي سلسلة شرع صدر كتاب يبحث في نظريات الترجمة عنوانه "في الترجمة" وكتاب آخر بعنوان "أسئلة الترجمة" يتناول قضاياها النظرية والتطبيقية [□]. أما دار منشورات الزمن فقد خصت سلسلة شهرية للكتب المترجمة اسمها "سلسلة ضفاف" [□].

وفي المغرب صدرت "بيت الحكمة" وهي مجلة متخصصة في الترجمة في العلوم الإنسانية، بحيث تخصص ملفا في كل عدد لمدرسة معينة أو لشخصية علمية بارزة. وقد صدر العدد الأول منها في أبريل عام 1986، ولكنها توقفت، مع الأسف، بعد ثمانية أعداد فقط.

أما في مجال الترجمة الآلية، فلا توجد إلا مشاريع بحوث أكاديمية محدودة في نطاقها وإمكاناتها ونتائجها. ومن هذه المشاريع مشروع ترجمان للترجمة المدعومة بالحاسوب من الإنجليزية إلى العربية الذي يقوم به قسم التعريب بالمعهد الإقليمي للمعلوماتية والاتصالات بتونس، ومشروع مختبر المعلومات والعلاج الآلي للعربية بالمدرسة المحمدية للمهندسين بالرباط.

□. انظر المراجع تحت: مدرسة الملك فهد العليا للترجمة 2000.

□. انظر المراجع تحت : بنعبد العالي، وحزل.

□. سلسلة ضفاف تصدر عن منشورات الزمن، 153 شارع سيدي بن عبد الله رقم 7 العكاري -

400. إنتاج الترجمة من حيث الكم

إن من يقف على الإحصائيات المتعلقة بعدد الكتب التي تنجز ترجمتها سنويا يتأكد له ضعف المحصول كمياً، وهو أمر نلمسه في المغرب العربي كما هو الحال في المشرق العربي.

ففي تونس، مثلاً، يورد عبد اللطيف عبيد إحصائيتين عن عدد الكتب المترجمة :

الأولى، تتعلق بمطبوعات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون - بيت الحكمة - "الذي في مقدمة مهامه "ترجمة المؤلفات"، يتبين منها أن مجموع ما ترجمه من مؤلفات خلال عشر سنوات لا يتجاوز 23 كتاباً. وتيسيراً لعرض نتائج هذه الإحصائية نلخصها بالجدول التالي الذي يتناول جميع مطبوعات بيت الحكمة خلال الفترة 1982-1992 :

نوع الكتب	عددتها	نسبتها من المجموع %
المؤلفة	67	80.3
المترجمة إلى العربية	19	16.1
المترجمة إلى الفرنسية	2	1.8
المترجمة إلى الإنكليزية	2	1.8
المجموع	90	100

مطبوعات بيت الحكمة بتونس في الفترة من 1982-1992

والإحصائية الثانية مستقاة من دليل الأدب التونسي (الدخلي : 196)، وتتعلق بعدد الكتب التي ترجمت في تونس منذ استقلالها عام 1956 إلى أواسط الثمانينات حوالي 1985. ونلخص هذه الإحصائية بالشكل التالي :

المجال	عدد الكتب	نسبتها من المجموع %
الحضارة العربية الإسلامية	30	20.4
آداب ولسانيات	48	32.4

23.6	35	تاريخ وجغرافية واجتماع
8.1	12	فلسفة
16.6	23	علوم
٪100	148	المجموع

الكتب المترجمة في تونس، 1956-1985

ومن المغرب، تسوق لنا فاطمة الجامعي الحبابي إحصائية استقتها من لائحة أعدتها وزارة الشؤون الثقافية عما يصدر في المغرب من كتب مؤلفة ومترجمة لغرض انتقاء الكتب المرشحة لجائزة المغرب للكتاب منذ أن أحدثت الوزارة جائزة المغرب للترجمة عام 1993. وهذه الإحصائية ملخصة في الجدول التالي :

نسبة الكتب المترجمة %	نسبة الكتب المؤلفة	مجموع الكتب المؤلفة والترجمة	المجموع السنوي للكتب المترجمة	المجموع السنوي للكتب المؤلفة	العلوم والتكنولوجيا	العلوم الإنسانية والاجتماعية	النقد الأدبي والفني	الإبداع الأدبي	السنة
6,3	%93,7	207	13	194	7	109	36	42	92
12,3	%87,7	195	24	171	10	100	17	44	93
9	%91	214	19	195	12	100	21	62	94
10	%90	235	23	212	4	128	19	61	95
8	%92	336	27	309	3	143	33	13	96
6	%94	316	19	297	6	182	23	0	97
%8,3	91,7	1503	125	1378	42	762	149	425	المجموع الكلي

جدول الإصدارات المغربية والمؤلفة في مختلف الميادين : 1992 - 1997

والإحصائية الثانية التي تسوقها الحبابي تتناول تحليلا نوعيا للكتب المترجمة الصادرة خلال الفترة من 1986 - 1995 (الحبابي : 36). ونلخص هذه الإحصائية بالجدول التالي :

المجال	عدد الكتب	نسبتها المئوية%
الحضارة العربية الإسلامية	33	13.8
آداب وإبداع ولسانيات	87	36.4
تاريخ وجغرافية واجتماع	68	28.5
فلسفة	20	8.4
تربية وتعليم	25	10.4
علوم	6	2.5
المجموع	239	100%

الكتب المترجمة ومجالاتها في المغرب في الفترة 1985-1995

من هذه الإحصاءات ومن الدراسات المتعلقة بنقد الترجمة في المغرب العربي، يمكن رصد الملاحظات التالية :

1. إن نسبة الكتب المترجمة إلى الكتب المنشورة ضئيلة جدا. ففي المغرب لا تتجاوز هذه النسبة 8,3% من مجموع الإصدارات. فعدد الكتب المترجمة يتراوح بين 13 و 27 كتابا في السنة في حين يتراوح عدد الكتب المؤلفة بين 171 و 309 أي بنسبة 91%.

وإذا كانت نسبة الكتب المترجمة إلى مجموع الإصدارات في الإحصائية التونسية مرتفعة نسبيا إذ تبلغ 16,1٪، فالسبب يعود إلى أن هذه الإحصائية خاصة بمطبوعات المجمع التونسي للعلوم والآداب الذي وُضعت الترجمة على رأس مهامه.

2. إن معظم الكتب المعرّبة في بلدان المغرب العربي منقولة من اللغة الفرنسية، لأسباب مفهومة، فاللغة الفرنسية هي اللغة الثانية التي يتقنها كثير من الكتاب. ففي عام 1994، مثلا، كان مجموع الكتب المترجمة في المغرب 19 كتابا كلها من الفرنسية ما عدا ثلاثة تُرجم أحدها من الإنجليزية والثاني من الإسبانية والثالث من العبرية ويتعلق بنماذج من القصص العبرية. وفي الإحصائية التونسية نجد أن عدد الكتب المترجمة هو 19 كتابا، 14 منها تُرجم من اللغة الفرنسية والباقي موزع على ثلاث لغات : الألمانية 3، والإنجليزية 1، والإسبانية 1.

3. إن الأغلبية الساحقة من الكتب المترجمة هي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصة في الآداب والنقد الأدبي والحضارة العربية الإسلامية والفلسفة. وتبلغ نسبتها في المغرب حوالي 97,5٪ وفي تونس حوالي 74,5٪ في حين أن عدد الكتب العلمية المترجمة لا يتجاوز نسبة 2,5٪ في المغرب و15,5٪ في تونس. والسبب في تدني ترجمة الكتب العلمية إلى العربية يعود إلى الوضع اللغوي في هذه الأقطار حيث تستعمل اللغة الفرنسية لغة للتعليم في الكليات العلمية والتقنية في جامعاتها.

4. إن عدد الكتب المترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية ضئيل جدا. فطبقا للإحصائية المغربية لا يتجاوز عدد الكتب التي ترجمت من العربية إلى الفرنسية 15 كتابا، أي 12٪ من مجموع الكتب المترجمة. وفي الإحصائية التونسية الخاصة بمطبوعات بيت الحكمة، لا توجد سوى 4 كتب مغرّبة، نقل اثنان منها

إلى الفرنسية والاثنتان الآخران إلى الإنكليزية، أي أن نسبة الكتب المترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى لا يتجاوز 17,4% من مجموع الكتب المترجمة.

500. إنتاج الترجمة من حيث الكيف

510. أنواع الترجمة

في ضوء تعامل المترجم مع العقبات والمشكلات التي تثيرها الترجمة كالمشاكل المعجمية والنصية والتواصلية والثقافية والحضارية، يمكن تقسيم الترجمة إلى أنواع متعددة. ويقسم الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن الترجمة إلى ثلاثة أنواع هي:

1. ترجمة تحصيلية 2- ترجمة توصيلية 3- ترجمة تأصيلية (عبد الرحمن : 299-

405)

511. الترجمة التحصيلية

ويسمى بعضهم هذا النوع بالنقل (يفوت : 58-60) أو الترجمة الحرفية (عجينة : 277-279). وفي هذا النوع من الترجمة، يقدم المترجم الاعتبارات اللغوية على الاعتبارات المعرفية، فينشغل بالمطابقة بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، من حيث المعجم لتحقيق التناظر التصوري، أو من حيث التراكيب لتحقيق التناظر التصديقي. ويؤدي هذا النوع من الترجمة، في أحيان كثيرة، إلى انحراف المعنى وسوء الفهم والتفهم، كما يقود إلى غربة المفاهيم المترجمة في بنية اللغة المنقول إليها، ما يسبب إتعاب القارئ وإجهاد ذهنه وإضاعة وقته.

512. الترجمة التوصيلية

ويسمى بعضها بعضهم بالترجمة التقريبية (يفوت : 61-63) لسعي المترجم إلى إيجاد المعاني التي تقرّب النص المنقول إلى اللغة المنقول إليها. فيلجأ المترجم إلى إجراء التغييرات الشكلية بوسائل مختلفة كالتحوير والتكييف والاقتباس من أجل أن يتجنب المخالفة الصريحة لأصول لغة المتلقي، ولهذا يوصف هذا النوع من الترجمة بالترجمة غير المباشرة (عجينة : 278-279). ولكن هذا النوع من الترجمة يسعى إلى الإبقاء على المضامين المعرفية للنص المنقول حتى إذا بدت غريبة في لغة المتلقي. ويقوم المترجم في هذا النوع من الترجمة بفهم أفكار النص الأصلي، ثم التعبير عنها بما يقاربها في اللغة الهدف، ناسيا، أثناء النقل، كلمات النص الأصلي وتراكيبه. ومع إن هدف هذا النوع من الترجمة هو فهم المفاهيم وتفهمها للمتلقي، فإنه لا يرقى إلى استثمار تلك المفاهيم وتفعيلها في البنية المعرفية للحضارة المتلقية.

513. الترجمة التأصيلية

ويسمى بعضهم هذا النوع بالترجمة التأصيلية (يفوت : 65-66). ولا يكفي في هذا النوع من الترجمة أن يتوفر المترجم على الكفاءة اللغوية بحيث يتمكن من نقل الألفاظ، كما في الترجمة التحصيلية، ولا يكفي فيه أن يتوفر على الكفاءة اللغوية والمعرفة بالمضامين، بحيث يستطيع تبين المضامين وتحديدها، كما في الترجمة التوصيلية، فحسب، وإنما يُشترط فيه كذلك العلم بالمقاصد ووضوح الأهداف، بحيث يستطيع التفاعل مع النص المترجم والتحاوّر معه في إطار المجال التواصلية للمتلقي، ما ينتج عنه إدماج النص المترجم في البيئة المعرفية واللغوية للثقافة المتلقية لتكون قادرة على الإنتاج الفكري.

وإذا كان المترجم في الطريقة التحصيلية منشغلا في القضايا اللغوية للنص، فإن انشغال المترجم بالطريقة التأصيلية ينصب على الجوانب الاستشكالية والبناء

الاستدلالي للنص، ما يجعله يميل إلى التصرف في المضامين المنقولة لتناسب الخصائص التداولية لمجال المتلقي. (عبد الرحمان : 359)

إن المتلقي ينتفع من النص المترجم بهذه الطريقة انتفاعه بالنص الأصلي، بحيث يخلق النص المترجم فيه القدرة على التأمل والإبداع. وهكذا يفسح هذا النوع من الترجمة الهجرة الحقيقية للأفكار والنظريات والمناهج والأساليب.

520. أي نوع من الترجمة في المغرب العربي ؟

وإذا فحصنا الدراسات المتخصصة في نقد الترجمة في المغرب العربي وجدنا أنها تميل إلى هذه الترجمة في أطوارها الأولى لم تخرج عن كونها ترجمة تحصيلية تقرب من الحرفية، وأنها في أحسن أحوالها لا تعدو أن تكون ترجمة توصيلية، ولكنها بقيت في معظمها " وسيلة رمزية مفرغة من سلطتها الحضارية والثقافية والإنسانية" (علوش 1990 : 14)

ومن ناحية أخرى، فإن معظم الترجمات التي أنجزت في المغرب العربي تم بمبادرات فردية، وليس ضمن خطة منسقة هادفة تستجيب إلى الحاجات الفعلية ويتم في إطارها اختيار ما يُترجم. ويتجلى ذلك في غياب التوازن في تغطية المجالات المعرفية المختلفة. وهذا ينطبق حتى على الكتب التي اضطلعت بترجمتها مؤسسات وطنية، كالمجمع التونسي، وهذا ما حدا بعبد اللطيف عبيد إلى القول: " إن هذه الجهود، على قلتها، لا تخضع لتخطيط مسبق ومعايير اختيار مدروسة، وإنما تحكمها الصدفة والمبادرات الفردية." (عبيد : 84)

ومما يزيد في غياب التخطيط وسوء الاختيار ندرة الأعمال الببليوغرافية المتعلقة بالترجمة، وإن وجدت هذه الأعمال فإنها مجرد جرد لأسماء ومترجمات دون معالجة نقدية موضوعية. (ذاكر : 125). وينتج عن غياب التخطيط وندرة الأعمال

البيبلوغرافية، ترجمة العمل الواحد عدة مرات أحيانا. فكتاب "لذة النص" تُرجم إلى العربية خمس مرات في خلال أربع سنوات [□].

وإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد في تقاليد الترجمة في المغرب العربي ضرورة مراجعة الترجمة من قبل مراجع، أو اشتراك أكثر من مترجم في ترجمة النص الواحد. ويتجلى ذلك في إحصائية وزارة الشؤون الثقافية المغربية السالفة الذكر، إذ إن الأغلبية الساحقة من الكتب المترجمة اضطلع بترجمتها مترجم واحد وبدون وجود أي مراجع. فجميع الكتب الـ 125 الواردة في إحصائية الوزارة اضطلع بإنجازها مترجم منفرد ما عدا ثلاثة كتب اشترك في ترجمة كل منها مترجمان. وقد "تولد عن هذا الوضع تناول المترجم الواحد لمواد تنتمي إلى مجالات متعددة قد لا توجد بينها أي علاقة اعتمادا على ما يشكل ثقافته من مرجعيات معرفية قد تكون ضعيفة مما يترتب عنه انعدام الأمانة والدقة في نقل مضامين النص الأصلي، وعشوائية انتقاء المصطلح واستعماله، والغموض في مفاهيم النص المترجم وأساليبه." (الحبابي : 38)

600. الخاتمة (استنتاجات وتوصيات)

نستنتج من هذا العرض الموجز لتجربة المغرب العربي في الترجمة أن الثنائية اللغوية الموجودة حاليا في أقطاره، وضعف تعليم اللغات الأجنبية كما وكيفا، وغياب مؤسسات وطنية للترجمة ذات استراتيجيات وأهداف واضحة قائمة على مسح للحاجات الفعلية، وقلة التشريعات المنظمة لاتحادات المترجمين والمشجعة لهم على

□. تُرجم هذا الكتاب خمس مرات: ترجمة المحور الثقافي 19687، وترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان 1988، وترجمة محمد البكري 1988ن وترجمة محمد الرفرافي ومحمد خير بقاعي 1990، وترجمة محمد العربي هروشي 1990 (ذاكر : 123).

العطاء والنشر، - كل هذه الأمور تجعل من الترجمة عملاً فردياً تحكمه المصادفة، خاضعاً لأهواء هواة المترجمين وقدراتهم المحدودة، بحيث يتضاءل تأثير الترجمة في استنبات الأفكار والنظريات والمناهج والأساليب وحصد ثمارها، وفي تعريف العالم بثقافتنا وقضايانا وكسب تعاطفه معنا.

ولكي تقوم الترجمة بدورها الحقيقي الفاعل، نقدم فيما يلي بعض المقترحات :

1. تعميم استعمال اللغة العربية في مختلف مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مع العناية باللغات الأجنبية وتطوير تعليمها في مختلف مراحل التعليم كما وكيفا، بحيث يتوفر متخصصون في مختلف اللغات الغربية والآسيوية والأفريقية.

2. اضطلاع منظمة عربية قومية للترجمة بالعمل وفق استراتيجية شاملة للترجمة في الوطن العربي، بحيث تنبثق عنها خطط عمل طويلة ومتوسطة المدى، وخطط عمل سنوية. ومن الواجب هنا التذكير بأن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سبق أن وضعت "الخطة القومية للترجمة"[□]، وهي خطة جيدة بحاجة إلى تفعيل وتنفيذ.

3. تأسيس منظمات وطنية للترجمة في كل قطر من أقطار المغرب العربي، وأن توفر لها الإمكانيات البشرية والمادية.

□. انظر المراجع تحت : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1996.

- يشكر الكاتب الأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي من تونس والأستاذ الدكتور محمد عثمان بدري من الجزائر اللذين تفضلا بتزويده بما ينقصه من معلومات بالهاتف والناسوخ.

4. إعداد بيبليوغرافية جامعة للترجمة في الوطن العربي، تُحدّث سنويا، بحيث تستطيع المؤسسات القطرية للترجمة والمترجمون من الاطلاع عليها منشورة ورقيا أو إلكترونيا أو على موقع من مواقع الشبكة الدولية للمعلومات " إنترنت". ولا يخفى أن هنالك بعض الببليوغرافيات للترجمة في الوطن العربي مثل "ببليوغرافية الكتب المترجمة إلى العربية 1970-1980، التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وببليوغرافية "الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية" التي نشرتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، وغيرها، ولكن هذه الببليوغرافيات ليست جامعة ولا تخضع للتحديث بانتظام. ولهذا ينبغي أن تؤسس قاعدة بيانات ببليوغرافية للكتب والمواد المترجمة وأن تشرف عليها منظمة قومية للترجمة تتعهدا بالتحديث والتطوير والنشر بانتظام.

5. استكمال وتطوير التشريعات الوطنية المتعلقة بحقوق المترجمين واتحاداتهم وجمعياتهم، بحيث تتكون نقابة للمترجمين في كل قطر عربي، وتنضوي هذه النقابات في اتحاد المترجمين العرب.

6. تشجيع نشر المواد المترجمة، وتقديم مكافآت مجزية للمترجمين، وتنظيم معارض قومية ووطنية للكتاب المترجم بانتظام، ورصد الجوائز المتنوعة للأعمال المترجمة على اختلاف أنواعها، والإكثار من عقد الملتقيات والندوات العلمية حول نظريات الترجمة وتقنياتها ونقدها، وتمكين أساتذة الترجمة والمترجمين من المشاركة فيها.

7. تنمية معاهد إعداد المترجمين الموجودة حاليا في أقطار المغرب العربي، من حيث الأهداف والمناهج ولغات العمل.

8. إعداد خطط قومية وقطرية لتعريب روائع الفكر الإنساني في العلوم والتكنولوجيا والآداب والفنون إلى اللغة العربية لإغناء مكتبتنا، وخطط مماثلة لترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغات الغربية والآسيوية والأفريقية.

9. إنشاء شبكة اتصال عربية للترجمة تضم ثلاث قواعد بيانات هي: قاعدة بيانات ببليوغرافية للكتب المترجمة، المرّبة منها والمغرّبة، وقاعدة بيانات للمترجمين، وقاعدة بيانات للمؤسسات ودور النشر المعنية بالترجمة

10. إنشاء شبكة اتصال عربية لقواعد المعطيات اللغوية والمعجمية والمصطلحية مثل قاعدة المعطيات النصية في مركز ترقية اللغة العربية في الجزائر، وقاعدة المعطيات المتعددة اللغات في مركز الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط، وبنك المصطلحات في مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

المراجع

1. أحمد، نازلي معوض (1986) التعريب والقومية العربية في المغرب العربي. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.
2. أفسحي، محمد (1998) دليل للتعريف بمكتب تنسيق التعريب. الرباط: مكتب تنسيق التعريب،
3. أكاديمية المملكة المغربية. (1995) الترجمة العلمية الرباط : أكاديمية المملكة المغربية - وقائع ندوة علمية -
4. بلعيد، صالح. (1998) "قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها : رأي في التجربة الجزائرية". في مجلة اللسان العربي، 46 ص. 238-268.

5. بيت آل محمد عزيز الحبابي (1998) الترجمة والتلاقح الثقافي. الرباط: بيت آل محمد عزيز الحبابي، إصدار : فاطمة الجامعي الحبابي - وقائع ندوة علمية -
6. بيت الحكمة (1989) الترجمة ونظرياتها، تونس : بيت الحكمة - إعداد مجموعة من الأساتذة -
7. بيت الحكمة (1989-2) تأسيس القضية الاصطلاحية. تونس : بيت الحكمة- إعداد مجموعة من الأساتذة -
8. تاجر، جاك (1945) حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر. القاهرة : دار المعارف.
9. التازي، عبد الهادي (1997) "اهتمام الدولة العلوية بالترجمة العلمية : علم الفلك نموذجا" في الترجمة العلمية. الرباط : أكاديمية المملكة المغربية.
10. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان، تحقيق عيد السلام محمد هارون (القاهرة : الحلبي وأولاده، ب ت).
11. الحبابي، فاطمة الجامعي (2001) "تجربة المغرب : تأملات وآفاق"، ورقة مقدمة إلى مؤتمر عن الترجمة في الكويت.
12. بن حميدة، محسن (1985) "واقع الترجمة في الجمهورية التونسية" في دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص. 30-46.
13. حزل، عبد الرحيم (1999) أسئلة الترجمة. طنجة : سلسلة شرع، العدد 55.

14. خوري، شحادة (1992) دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب دمشق :
طلاس للدراسات، ط2
15. خوري، شحادة (1996) "واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي"
في مجلة الفيصل، 239 (سبتمبر/أكتوبر، ص. 57-62).
16. الديداي، محمد (1992) علم الترجمة بين النظرية والتطبيق سوسة : دار
المعارف.
17. الحاج صالح، عبد الرحمن، (2001) "مشروع الذخيرة اللغوية العربية
وإبعاده العلمية والتطبيقية" في مجلة اللغة العربية، 4 ص. 33-53.
18. الدخلي، عبد الوهاب (1990) دليل الأدب التونسي المترجم قرطاج : بيت
الحكمة.
19. ذاكر، عبد النبي (1999) "نقد الترجمة في المغرب المعاصر" في الترجمة في
الآداب والعلوم الإنسانية. أكادير : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص. 113-
127.
20. زيتوني، لطيف (1994) حركة الترجمة في عصر النهضة. بيروت : دار
النهار.
21. الصوري، عباس (1998) "في الدراسة المعجمية للمتن اللغوي" في مجلة
اللسان العربي 45 ص. 9-32.
22. الطعمة، صالح جواد (1993) الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية
: مقدمة وببليوغرافية. طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة.

23. عبد الرحمن، طه (1995) الفلسفة والترجمة. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.
24. عبيد، عبد اللطيف (2001) "حال الترجمة في تونس وعلاقتها بالوضعية اللغوية" في مجلة التعريب، 21، حزيران/يونيو، ص. 86.
25. عقاب، محمد الطيب (1985) حمدان خوجة : رائد التجديد الإسلامي. الجزائر : وزارة الثقافة والسياحة.
26. عجينة، محمد (1989) "نظريات الترجمة" في الترجمة العلمية قرطاج : بيت الحكمة، ص. 251-287.
27. علوش، سعيد (1990) خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة. طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة.
28. علوش، سعيد (1991) شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة.
29. بن عمرو، عبد الرحمن (2001) "حول مشروع مرسوم استعمال العربية بالإدارة" في جريدة "العَمّ" المغربية في عددها بتاريخ 2001./9/18.
30. بن عيسى، حنفي (1985) "واقع الترجمة في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية" في : دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
31. العميد، عبد الله (2000) "إعداد المترجمين في مواجهة متطلبات المرحلة الراهنة" في الترجمة والعودة. طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 103-114.

32. غلاب، عبد الكريم (2001) "مع الشعب" في جريدة العلم بتاريخ 20/9/2001، ص. 1.
33. القاسمي، علي (1991) علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض : جامعة الملك سعود، ط.2
34. القاسمي، علي (1970) مختبر اللغة. الكويت : دار القلم.
35. كاشة، بشير(2001) "وجوب تعميم استعمال اللغة العربية في قوانين الجمهورية الجزائرية" في مجلة اللغة العربية، 4، ص. 230-265
36. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير (1999) الترجمة في الآداب والعلوم الإنسانية : الواقع والآفاق. أكادير : كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
37. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (1995) الترجمة والتأويل. الرباط : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، - وقائع ندوة علمية -
38. ليفي، مارتن (1980) الكيمياء والتكنولوجيا في وادي الرافدين، ترجمة محمود فياض وجواد سلمان وجليل كمال الدين. بغداد : وزارة الثقافة، سلسلة الكتب المترجمة رقم 86.
39. ماجد، جعفر (1985) ببلوغرافية الكتب المترجمة إلى العربية. تونس : المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.
40. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة (2000) الترجمة والعولة. طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، - وقائع ندوة علمية -
41. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة (1997) نشرة تعريفية، ودليل الخريجين. طنجة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة.

42. المرزوقي، أبو يعرب (1992) "الترجمة والظرفية الراهنة" في مجلة الحياة الثقافية، 64-65 ص. 108-113.
43. المسدي، عبد السلام (1989) مراجع اللسانيات. تونس : الدار العربية للكتاب،
44. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1996) الخطة القومية للترجمة. تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
45. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1985) دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي. تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،
46. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب (1999) الترجمة والاصطلاح والتعريب الرباط : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، إعداد محمد الراضي وإشراف عبد القادر الفاسي الفهري - وقائع ندوة علمية -
47. موعدة، محمد (1986) حركة الترجمة في تونس طرابلس : الدار العربية للكتاب.
48. الهلالي، صادق (1997) "التجربة العربية في تعريب العلوم وعلوم الطب" في مجلة اللسان العربي، 43.
49. يفوت، الحسن (1999) "مراتب الترجمة في الفكر العربي الإسلامي" في الترجمة في الآداب والعلوم الإنسانية. أكادير : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 57
- 69- - ندوة علمية -

الموقف الملحمي في شعر مفدي زكريا

- قراءة استكشافية -

د. عثمان بدري

أستاذ بجامعة الجزائر

في حياة كل المجتمعات "معالم" متألقة تجسد عبقريتها وتميز كيائها وتحدد مواقعها الفاعلة، المنفعلة، في مجرى التاريخ البشري.

إلا أن أبرز وأهم "معلم مرجعي" في حياة الإنسان، فردا وأسرة ومجتمعاً، يتمثل في إشكالية "الحرية"[□] بوصفها هي الإشكالية المركزية الكبرى، التي تولدت منها أو تفرعت عنها كل الإشكاليات والمفاهيم المادية والمعنوية والروحية التي تنظم و"تنظم" صيرورة الحياة الإنسانية.

ولعله ليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إن كثيرا من الثورات الجذرية الكبرى، التي عرفها المجتمع البشري قديما أو حديثا، كان مبعثها - في الواقع - غياب أو "تغيب" الحرية، كقيمة إنسانية واجتماعية وحضارية ووجودية، بنفيها تفقد الحياة توازنها وعطاءها واستمرارها، وبإثباتها - أو على الأقل - بالطموح إلى إثباتها تكتسب الحياة المعنى الممتلىء، المتألق، الذي يجعلها جديرة بأن تعاش.

وانطلاقاً من هذا المنظور فإن من بين أهم المعالم المرجعية للمجتمع الجزائري معلم "الثورة التحريرية" الكبرى : ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، التي توجت مختلف أشكال المعاناة المادية والمعنوية والحضارية التي كابدها الشعب الجزائري مدة قرن وثلث قرن من الزمن المأساوي المقيت، الذي لا تزال آثاره ومضاعفاته المؤلمة، قائمة إلى اليوم في حياة المجتمع الجزائري.

□. موسوعة الفلسفة، ج 1، د : عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان 1984، ص. 458-462.

- فصول (دورية، مصرية متخصصة) (الأدب والحرية ج1) مجلد 11 : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ربيع 1992، ص. 12-34/48-52.

وبعيدا عن الاستطراد التاريخي لحقائق ووقائع هذه الثورة العملاقة، فإننا يمكن أن نختزل النعوت والتحديدات الخاصة بها قائلين : إنها تجسيد مادي ومعنوي وحضاري حي لإرادة شعب حر، أصر على رفض "الموت بالحياة" وطلب "الحياة بالموت" مطبقا بذلك المقولة التراثية الآمرة التي تقول : "أطلب الموت توهب لك بالحياة"، وكان عند حسن ظن شاعر العروبة الأكبر، أبي الطيب المتنبي (303هـ - 354هـ) عندما قال :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم	بين طعن القنا وخفق البنود □
لا كما قد حييت غير حميد	وإن مت، متّ غير فقيد
فاطب العز في لظى وذر الذل	ولو كان في جنان الخلود

وبقدر ما جذرت الثورة وعي المجتمع الجزائري بحتمية تقرير مصيره بنفسه، بقدر ما كانت انتصارا تاريخيا وحضاريا للقيم الإنسانية النبيلة في العالم كله بوجه عام، وللشعوب المغلوبة على أمرها بوجه خاص. ولذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن كثيرا من التجارب الأدبية والفنية خصوصا الشعرية المعاصرة لها في الوطن العربي متوهجة بقيم ووقائع وآفاق الثورة الجزائرية مباشرة حيننا، وضمنيا حيننا آخر □.

□. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان 1980 ص. 45-46.

□. لعل الدكتور عثمان سعدي من أبرز من اهتموا بجمع أشتات الشعر العربي الحديث الذي كانت الثورة الجزائرية موضوعا خصبا له، خصوصا في العراق وسوريا. انظر بهذا الخصوص : الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ج 1، د. عثمان سعدي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 12-152.

ونحن إذ نثمن كل الثورات والحركات التحريرية التي واجهت وفضحت الظاهرة الاستعمارية في العصر الحديث، فإننا نرى - دون ادعاء أو مزايدة - أن الثورة الجزائرية متميزة بكونها ثورة شعبية شاملة، منبعثة من العمق، وتستهدف التغيير الجذري في العمق، وليست كما زعم أعداؤها أو بعض المناوئين لها - مجرد "معركة" عسكرية، مؤسسة على فعل العدوان غير المشروع للمعتدي الفرنسي، ورد الفعل المشروع للشعب الجزائري في عقر داره فحسب، وإنما هي موقف ملحمي متفرد ورسالة حضارية أصيلة، تبناها ومكن لها الشعب الجزائري دفاعا عن هويته المادية والمعنوية والروحية والحضارية العينية، ونيابة عن كثير من الشعوب والمجتمعات العربية وغير العربية التي مازالت تعيش بمنطق سلطة التاريخ الرسمي المقلب الذي لم تساهم الشعوب في بلورته، إلا بالقدر الهين.

ومما لا شك فيه أن الأدب والفن بوجه عام، والشعر على وجه الخصوص، هو الذي احتضن الثورة الجزائرية، واستكنته أبعادها وقيمها الإنسانية المنظورة وغير المنظورة، وبالتالي هو الذي يفترض فيه تخليده لخصوصياتها في مجرى التاريخ الإنساني، محليا وقوميا وعالميا، بالرغم من انقضاء أسبابها ووقائعها الظرفية المحدودة في المكان والزمن.

وانطلاقا من هذه الإضاءة فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف "مثل" و"عبّر" معا، شعر الشاعر الجزائري الثائر (مفدي زكريا) (1908-1977) - رحمه الله - عن "وقع" (Effet) "واقع" الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى؟

ومن الواضح أن الصيغة التي طرحنا بها هذا السؤال، صيغة "كيفية" عمدنا إليها بعد أن تبين لنا أن "أدب الثورة" بوجه عام، وشعرها بوجه خاص، وشعر

مفدي زكريا، بوجه أخص - بما له وما عليه - لم يأخذ رغم كثرة ما كتب عنه - حظه من الدراسة الفنية، التطبيقية، التي تستطيع أن تستكشف - وقد تكتشف - خصوصياته التعبيرية الأصيلة أولا، وتستطيع تبعا لذلك - أن تموقعه في خارطة الشعر العربي الحديث ثانيا.

وفي هذا السياق علينا أن نسجل - بداية - أن شعر الثورة عموما، وشعرها عند مفدي زكريا خصوصا لم يكن - شأن الثورة نفسها - طفرة منبئة الصلة بما قبلها، أي بالشعر الجزائري الذي قيل عن الثورة أثناء مراحل اختبارها وغليناها الكامن[□]، إذ رغم ما يتصف به هذا الشعر من فقر في المخيلة الشعرية، فقد استطاع أن يؤدي الوظائف التي توخاها منه ناظموه، والتي تمثلت في الجمع بين الدعوة الاصطلاحية ذات المنظور التراثي السلفي، وبين النقد الاجتماعي والتربوي والحضاري العام.

لكن مع قيام الثورة ومباغنتها المخططة للاستعمار الفرنسي ولعملائه داخل أرض الجزائر وخارجها، وبوصولها - رغم الراجفة قلوبهم - إلى نقطة "اللا رجوع"، بدأت مخيلة الشعراء تتحرر من أسر النزعة الإصلاحية التي كانت سائدة عند البعض وبدأ الانطوائيون على ذواتهم المحبطة حيناً، وشعراء النظم المقلب بالمناسبات الظرفية المستهكلة، حيناً آخر ينزوون في الظل، لتبرز إلى الواجهة التجارب الشعرية المتوهجة بوهج الثورة والموقعة بإيقاعها والمشبعة بدلالاتها ومعانيها وقيمتها الإنسانية.

□. كأمثلة لذلك نذكر: محمد الأمين العمودي (1892-1957)، محمد العيد آل الخليفة، (1892-1979) عبد الكريم العقون (1918-1959)، الربيع بوشامة (1916-1959) مفدي زكريا-الشيخ أحمد الشبوكي (شبايكي) - الشيخ أحمد سحنون، الخ.

وبالطبع فإن الأساليب والرؤى (يات) الشعرية للثورة قد تفاوتت أهميتها من تجربة شعرية لأخرى، بل من نموذج شعري لآخر داخل التجربة الواحدة. فالتجربة الشعرية المواكبة للثورة، مواكبة كلية، من الداخل : مفدي زكريا - محمد العيد آل خليفة - الربيع بوشامة - عبد الكريم العقون - محمد شبايكي، تختلف عن التجربة الشعرية المواكبة للثورة من خارجها وبعيدا عن أضوائها الكاشفة مثل شعر الشعراء الشباب الذين كانوا يطلبون العلم ببعض جامعات المشرق العربي في ذلك الوقت، كالدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور محمد الصالح باوية والدكتور صالح خرفي ومحمد أبو القاسم خمار وعبد الله شريط، وغيرهم. لكن رغم هذا التفاوت فإن الملمح المشترك للشعر الجزائري الحديث، يتمثل في التزامه الفني بالتعبير عن الثورة الجزائرية، بوصفها موقفا ملحميا أصيلا وقضية إنسانية عادلة، مشروعة ترفع لواء الحرية المادية والمعنوية والحضارية عاليا.

ومن أخصب التجارب الشعرية الجزائرية المواكبة للثورة، مواكبة كلية من الداخل، تجربة الشاعر والمناضل العنيد منذ مطلع شبابه مفدي زكريا.

وبعيدا عن تبني المعايير التفاضلية للتجارب الشعرية الجزائرية الحديثة، فإن أهمية شعر مفدي زكريا تتمثل في كونه شعرا تخصص في تعميق الوعي الوجداني بالثورة، كبركان كامن محموم يتحفز للانطلاق في الثلاثينات والأربعينات، و"كلهب مقدس" يعلن عن الفداء والتضحية من أجل افتكاك الحرية المسلوبة، أثناء اشتعال الثورة المباركة.

وإذا كان من الإنصاف أن نقرأ شعر مفدي زكريا، بوصفه شعرا تقليديا، عمودي المبني والمعنى، في الوقت الذي حققت فيه القصيدة العربية الحديثة، خصوصا بمصر

وسوريا والعراق ولبنان، إنجازات فنية كبيرة على طريق التجديد والتحديث، فإنه من الإنصاف - أيضا - أن نتساءل: ألا توجد هناك خصائص فنية متميزة بهذا الصوت الشعري الذي لم يخرج عن الدوران في فلك القصيدة العربية التقليدية؟ وبصيغة أخرى، فإذا كانت الثورة الجزائرية التحريرية، التحررية الكبرى، تمثل "موضوعا" ملحميا أوليا خاما، فهل استطاعت التجربة الشعرية لمفدي زكريا أن تولد من "الثورة" كموضوع ملحمي "خارجي" موقفا شعريا ملحميا، ليس من الضروري أن نحكم فيه معايير "الملحمة" كنوع أدبي، له ظروفه وخصائصه وتقاليدته ونماذجه المتميزة في تاريخ الأدب الإنساني القديم؟[□]

ونحن إذ نطرح هذا التساؤل فإننا نعني - تماما - أن عملية استكشاف، تم اكتشاف خصوصيات الصناعة الشعرية عند هذا الشاعر أو ذاك لا تكمن في طبيعة "الموضوعات" أو "المضامين، التي تمثل المجال الوظيفي للقول الشعري، رغم ما "للموضوعات" من أهمية، وإنما تكمن في كيفية القول الشعري نفسها[□]، أي في الطريقة

□. انظر في ذلك: الأنواع الأدبية، مذاهب ومدارس، د. شفيق البقاعي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت - لبنان 1985، ص. 307-405، موسوعة نظرية الأدب، إضاءة تاريخية على قضايا الشكل، القسم الأول، ترجمة د. جميل نصيف التكريتي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق 1986، ص. 101-204.

□. على سبيل المثال تنظر المراجع الآتية:

- ROMANE JAKOBSON, Essais de linguistique générale T 1 (traduit de l'anglais, par Nicolas Ruwet, Paris, 1963, p.210-220.

- GERARD GENETTE, Figures 3, Ed du Seuil, Paris, 1967, p. 49-69.

MICHEL RIFFATERRE, Essais de stylistique structurelle, TRAD. Daniel Delas Paris, 1971, p. 27-62, et 182-240 / 261-364 ●●●

الفنية التي استخدم بها الشاعر اللغة الشعرية، على النحو الذي يجعلها تولد من "الموضوع" أو "المضمون" الخارجي "رؤية فنية" خالدة في مجرى الزمن، ليس لأنها "موضوعاً" مهماً أو "مضموناً" أكثر أهمية، وإنما لأنها "فن الموضوع" و"فن المضمون". وفي ضوء هذا فإننا لا نعني - كما قد يفهم - أن التجربة الشعرية الطويلة لمفدي زكريا تمثل ملحمة مناظرة/ جزئياً أو كلياً، للملاحم القديمة، التي تمثل "البطولة" المثالية الخارقة أحد أهم معالمها "الموضوعاتية" الأساس وإنما نعني بالموقف الملحمي أن مفدي زكريا الشاعر الملتزم، والمناضل السياسي المبدئي، والسجين المعذب، الذي يصنع سجنه وسجانه طقوس وشعائر حرّيته، قد تشرب بوجدانه وتمثل بوعيه الذهني وامتصت جوارحه الحسية، الصوت الملحمي لإرادة الجزائر الثائرة التي قرر شعبها أن يمحو التاريخ الاصطناعي، المزيف الذي أرادت له فرنسا ظلماً وعدواناً، وأن يكتب تاريخه الحقيقي بدمه ودموعه وأشلائه وآهاته وجراحه المادية والمعنوية.

ولا شك أن أبرز "معالم" الصوت ثم الموقف الملحمي - لا الملحمة - عند مفدي زكريا، يتمثل في "منظومته" الشعرية المطولة التي أريد لها، أن تكون "ملحمة" أو

••• بناء لغة الشعر، جون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء - القاهرة 1985، ص. 39-64.

نظرية الأدب، رينية ويللك، أوستن وارين - ترجمة: محي الدين صبحي، دمشق - سوريا 1972، ص. 179-204.

- عالم الفكر (دورية كويتية متخصصة) مج: 2، 1، أبريل- يونيو، الكويت 1971 (حضارة اللغة، د. أحمد أبو زيد ص. 11-31) اللغة والمنطق في الدراسات الحالية د. عبد الرحمن بدوي، ص. 65-90.

مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ترجمة د. مختار ظا (عالم المعرفة 221)، الكويت، مايو 1997، ص. 209-259.

"مستنسخا" ملحميا بعنوان دال على ذلك وهو: "إلياذة الجزائر"[□]. قياسا على العنوان الذي تحمله إحدى أكبر الملاحم في تاريخ الأدب الإنساني القديم، وهي: "إلياذة هوميروس". والواقع أننا إذ نتحفظ على اعتبار هذا العمل "ملحمة" فإننا نعتبره مطولة شعرية تنزع منزعا أسلوبيا تمثيليا، وتعبيريا، يتغنى فيه الشاعر "بمفاتن" و"بطولات" و"كرامات" الجزائر عبر التاريخ من موقع الإرادة الجماعية والجمعية التي تهيمن عليها صيغ الأصوات الملحمية ممثلة في تردد وترديد ضمائر الجمع بنسب كمية لافتة للانتباه عبر المطولة كلها، كما يتضح ذلك في النماذج الآتية:

وكان محمد صهرا ليعسى	أولئك أبأؤنا، منذ عيسى
غزا النبرات وراع النجوما	صمود الأمازيغ عبر القرون
وكم دوخوا المستبد الظلوما	فكم أزعجوا نائبات الليالي
ينير الحجى، ويشيع اليقيننا	ومرحى لعقبة في أرضنا
وكننا الألى يطعمون الطعاما	وجاءت فرنسا فكنا كراما
وكم تبطر الصدقات اللثاما	فأبطرهم قمحننا الذهبي
تباركننا معجزات السما	بلونا السنين الطوال جهادا
ننذود، ونأنف أن	مضت مائة وثلاثون عاما
نهزما [□]	

□. مجلة الثقافة، وزارة الثقافة - الجزائر ع: 1994/104، ص. 208-226.
 □. إلياذة الجزائر، مفدي زكريا، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1972 ص.
 31-30/20/19/17

إن هذه المطولة الشعرية التي يتوشحها الوعي الملحمي ، وإن لم تكن ملحمة ، تناظر في هيكلتها ومجالها "الموضوعاتي"¹ (Domaine thématique) مطولات كثيرة في الشعر العربي القديم والحديث ، منها - على سبيل المثال - مطولة الشاعر المصري أحمد شوقي (1868-1932) بعنوان تاريخي ملحمي الإيقاع وهو "كبار الحوادث في وادي النيل"[□] ، ومطولة الشاعر المصري ، الرومانسي المتأمل ، (محمد عبد المعطي الهمشري) ، الذي استغرقتة جدلية الموت والحياة ، بعنوان أسطوري دال على ذلك ، وهو: "شاطئ الأعراف"[□]. نعم إننا لا نستطيع أن ننكر "وقع" و"إيقاع" الصوت الملحمي القائم في هذه المطولة التي تستعرض التاريخ البطولي الأبعد للجزائر، من مركز قول شعري أساس ، يتمثل في اللازمة المترددة[□] (refrain) عبر المنظومة كلها ، وهي :

شغلنا الورى ، وملاًنا الدنيا

□ انظر :- Gerald Prince, Revue Poétique N° 64 , Ed du Seuil, Paris, 1985, P. 495-497

مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (عالم المعرفة ، 221) سا ، ص. 117-161.

□. الشوقيات، ج 1 ، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان (د،ت) ص. 33-17.

□. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع 52، صيف 1995، الشاعر والموت، قراءة في ملحمة الهمشري شاطئ الأعراف" د. عبد الله المهنا، ص. 10-131. □. في سياق هذا المصطلح انظر :

- المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني، الشركة العالمية للنشر لونجمان، القاهرة 1966، ص. 91.

Iouri lotman, La structure du texte artistique, trad. par Henri Meschannic. Ed Gallimard, Paris, 1973, p. 162-181.

G. Genette, figures, 3 Ed du Seuil, Paris, 1972, p. 145-182.

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر[□]

إلا أن الموقف الملحمي عند مفدي زكريا لا يتحقق في هذه المطولة التي قالها الشاعر عن الجزائر أثناء الاستقلال بإيعاز من المرحوم (مولود قاسم نيت بلقاسم) (1927-1992)، وإنما نجده أكثر ترددا وأبلغ تأثيرا وأعمق دلالة في القصائد والأناشيد التي نظمها مفدي زكريا عن الجزائر من داخل أعمق أعماقها (السجون)، ومن موقع الشاهد والمشهود، أو قالها عن المشرق والمغرب العربيين انطلاقا من تشبعية بالموقف الملحمي للجزائر الثائرة أرضا وشعبا وقضية وحضارة. وكما فعل عملاق المسرح العربي، توفيق الحكيم (1898-1987)، في عمله الروائي التأسيسي المتميز: "عودة الروح"، حين عمد إلى بناء فكرة: "الكل في واحد" روائيا، فقد طبق الشاعر مفدي زكريا المبدأ نفسه شعريا، حين جعل من صوت الإرادة الجماعية، الجماعية، للثورة الجزائرية مركزا وهاجا للقول الشعري، مركزا تنبعث منه وترتد إليه كل الأصوات والتراكيب والصيغ والدلالات الشعرية وربما هذا ما جعل كل القصائد والأناشيد الشعرية لمفدي زكريا متماثلة، تماثلا، يكاد يكون كليا، سواء كان ذلك على مستوى طبيعة ووظيفة اللغة الشعرية والصور الشعرية والإيقاع الموسيقي أم كان على مستوى البنى الدلالية والمعنوية.

□. تمثل هذه اللازمة المترددة أهم مظهر للصوت، فالموقف الملحمي عند مفدي زكريا في هذه المطولة. فمن الناحية الكمية نجد أنها تردت إحدى وستين مرة بشكل متجانس صوتيا وإيقاعيا ونحويا وداليا، ومن الناحية القيمة نجدها قد حققت كثيرا من خصائص القصيدة الحديثة كوحدة الموضوع ووحدة "الوقع" و"الإيقاع".

وبما أن المقام هنا لا يتسع للإحاطة بطبيعة ووظيفة كل المدارات الشعرية والصور الشعرية لمفدي زكريا، فإننا سنكتفي بوصف وتحليل بعض النماذج الشعرية الأكثر تمثيلا (ل) وتعبيرا (عن) الموقف الملحمي في شعر هذا الشاعر.

وقبل ذلك يستحسن أن نستأنس بما قاله مفدي زكريا نفسه عن "الموقف الملحمي" في شعره، وذلك من خلال البطاقة التعريفية الإجمالية التي وضعها لديوانه أو - بالأحرى - لديوان ملحمة الثورة الجزائرية "واللهب المقدس"، هو "ديوان الثورة الجزائرية" بواقعها الصريح، وبطولاتها الأسطورية، وأحداثها الصارخة، وهو (شاشة تلفزيون) تبرز إرادة شعب استجاب له القدر".[□] وإذا تركنا هذه الإضاءة الخارجية واقترنا من المادة الشعرية لمفدي زكريا، سنجد أن أول واجهة فنية يرتسم فيها الموقف الملحمي هي واجهة العنوان الشعرية التي انتقاها وارتضاها الشاعر "وسما" و"تسمية" لخطابه الشعري.

ولا نود هنا أن نفضل الحديث عن الأهمية الفنية، الوظيفية والدلالية للعنوان، ولكن يكفي أن نشير إلى خلاصة ما انتهت إليه الدراسات النقدية المعاصرة بهذا الخصوص، حيث أجمعت كلها على أن عنصر العنوان من بين أهم العناصر النصية المفتاحية الأساس، التي تتيح للمتلقي أن يتمثل الآليات والآفاق الدلالية الأولية التي من شأنها أن تستكشف هوية النص الأدبي الدفينة، مهما كان نوعه وشكله واتجاهه ودلالته.[□]

□. ديوان اللهب المقدس، مفدي زكريا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص.

□. انظر بهذا الخصوص :

- اللغة والإبداع الأدبي : د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987، ص. 13-51.

ورغم افتقار الشعر الجزائري العمودي الحديث إلى العنونة الفنية الجاذبة التي نجدها في شكل "القصيدة الجديدة"، فإننا نجد في شعر مفدي زكريا كثيرا من العناوين الشعرية التأسيسية، المدارية، التي يمكن وصفها بـ"بؤر" الإشعاع الدلالي المركزي. وفي هذا السياق فإن أول عنوان تأسيسي، معلمي، لافت للاهتمام، هو العنوان الخارجي "الكلي" الذي تفنن مفدي زكريا في وسم ديوانه الشعري به، وهو "اللهب المقدس". ذلك أننا إذا أردنا أن "نمركز" الخطاب الشعري لمفدي زكريا كله، لقلنا إن عنوان "اللهب المقدس" هو الذي يمثل مركز القول الشعري للشاعر في كل المدارات الشعرية له. فكل العناوين الشعرية الداخلية التي بلغ عددها أربعة وخمسين



عنوانا (54) جاءت في شكل مدارات "موضوعاتية" حلزونية تسلم إلى بعضها البعض في حالة انتشارها باتجاه الخارج، وفي حالة العودة بها باتجاه الداخل، انطلاقا من البؤرة الشعرية المركزية المشعة لعبارة، "اللهب المقدس"، كما يمكن أن نمثل لذلك بهذا الشكل المداري الحلزوني فمن تمثّلنا الكلي لمنظومة العناوين الشعرية عند مفدي زكريا، كما هي مبنية في الشكل الحلزوني السابق، نلاحظ أن الأهمية الفنية للكثير منها تبدو محدودة العطاء بالقياس إلى طبيعة العنونة في الشعر العربي الحديث لدى "جماعة الديوان" وجماعة "أيوللو" و"الشعراء المهجريين" بوجه عام، ولدى "الشعراء الجدد" الذين استعاضوا عن الشكل العمودي الأفقي بالشكل الدائري، اللولبي، المؤسس على "رؤية" مركزية غالبا ما يكون العنوان هو العنصر المولد لها. إلا أننا - رغم هذا - لاحظنا أن عناوين مفدي زكريا، على وجه الخصوص، تمتلك خصائص فنية متميزة، اقتضاها سياق الموقف الملحمي الذي يتميز به شعره، ومن أبرز هذه الخصائص ما يأتي :

1. أن كل عناوين مفدي زكريا متجانسة، جزئيا أو كليا، في المجال الوظيفي "الموضوعاتي"، الأكبر لها، متمثلا في "الثورة الجزائرية"، بحيث تبدو الموضوعات الجزئية الفرعية بالديوان متولدة عن بعضها من جهة ومفسرة لبعضها من جهة ثانية.
2. أن جل عناوين مفدي زكريا تتماثل - بدرجات متفاوتة - في نزوعها بوعي المتلقي منزعا حكائيا غيريا لا تستغرقه الخصائص الوصفية الساكنة للأشياء بقدر ما تستغرقه الوظائف المتحركة، التي تحفها حيناً وتسكنها حيناً آخر دلالات أسطورية روحية تتفاوت في الظهور والضمور.

3. أن جزءاً كبيراً من العناوين الشعرية عند مفدي زكريا، خصوصاً تلك التي تمثل المدار الأول والثاني - انظر المجسم الدائري الحلزوني السابق - تمتلك خاصية التصاعد اللفظي والإيقاعي والدلالي بوعي المبدع والمتلقي معاً، إلى الأعلى المفتوح الذي لا يتناهى عند حد معين أو يرتبط بزمان معين. بل إن إرادة الأعلى المنشود في سياقاته وصيغته المتنوع: (الله - القدر - الأنبياء والرسول - الرسائل - السماء - الخ) تبارك إرادة المريد من الأسفل وتتلاحم معها لصنع الموقف الملحمي الأكبر الذي تلاشى فيه الصوت والموقع والموقف الذاتي الفردي للمعبر والمعبر عنه والمعبر به.

ويتجلى ذلك - لأول وهلة - في العنوان الجامع "اللهب المقدس" الذي جمع في آن واحد بين منطق "الإشارة" □ (Signal) و"الأيقونة" □ (Econe) و"الرمز" □ (Le symbole) والذي ينزع بوعي المتلقي منزعا أسطورياً مفارقاً، وإن لم يحلله على أسطورة بعينها، ثم في عناوين المدار الأول التي تمثل توهج وعنقوان الموقف الملحمي الاحتفالي في شعر مفدي زكريا، مثل "الذبيح الصاعد" □ "وقال الله... □ "حروفها حمراء" □ "اقرأ كتابك..." □، "فاشهدوا" □، الخ.

□. Oswald Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed du Seuil, Paris, 1972, p. 131-138.

□. Ibid, p. 115.

□. انظر :

- الرمز الشعري عند الصوفية، د. عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1983، ص. 58-120.

- عالم الفكر (الرمز والأسطورة) مج 16 ع 3، أكتوبر - ديسمبر 1985، الكويت ص. 58-120.

عالم الفكر، مج 25 ع 3 يناير - مارس 1997 (سا) ص. 9-43.

□. اللهب المقدس (مص : سا) ص. 9-19.

فعبارة "اللهب المقدس" التي تمثل اللافتة الكبرى المعلنة عن الموقف الملحمي للثورة في شعر مفدي زكريا، تستحضر معها صورا وظيفية ودلالية لموضوع "النار" كقوة أسطورية عقائدية خارقة تبعث على الرهبة والرغبة في سياق المعلوم والمجهول معا، ففي القرآن الكريم نجد أن تجلي الله لموسى - عليه السلام - كان بوساطة النار بدليل قوله تعالى: "هل آتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما أتاها نودي يا موسى إنني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى"[□]. ومن الصور الغائبة التي يومض بها هذا العنوان "الصورة والموقف"، التي جاءت بخصوص سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - في مواجهته وتحديه برسالة السماء، للمشركين الذين ألقوا به في النار فكانت عليه بردا وسلاما، وعليهم خزيا وانكسارا: "فقلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"[□].

ويومض عنوان قصيدة "الذبيح الصاعد" بصورة السيد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - الذي شبه لأعدائه أنهم صلبوه، وما صلبوه، ولكن الله رفعه إليه[□]، والقول عن الثورة المجددة التي باركها الله في العنوان الزمني: "وقال الله... يحيلنا - مباشرة - على كلام الله الذي هو منتهى الحجة واليقين والحق، والجملة الزمنية

□. نفسه ص. 30-41.

□. نفسه ص. 53-54.

□. نفسه ص. 57-67.

□. نفسه ص. 71-72.

□. سورة طه الآيات 7-13.

□. سورة الأنبياء الآية 69.

□. سورة النساء الآية 157.

الآمرة بالقراءة في العنوان : "اقرأ كتابك"، هي جزء من قوله تعالى: "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا"[□]. ومن الواضح أن مفدي زكريا الشاعر، لا يعني بهذه "التناصات" سياق يوم النشور في عالم الغيب، خصوصا في العنوان الأخير، وإنما هو عبر بذلك عن الموقف الملحمي للثورة الجزائرية، بوصفها شبيها من أشباه يوم النشور، ولكن في عالم الشهادة.

وكما هو واضح في الشكل المداري، الحلزوني السابق، فإن أقرب مدار لمركز التجربة الشعرية الوهاجة عند مفدي زكريا، هو مدار الموقف الملحمي للثورة في العمق، كما جسده في العين وطبعته في الأذن ومركزته في الوعي الذهني والوجداني للمتلقي القضاة الخمس الأولى المنبعثة كالتعاويذ والتسابيح المقدسة حيناً، وكالحمم البركانية حيناً آخر، من أعماق سجون العذاب والموت، التي يبدو أن أبشعها وأرهبها السجن المعروف باسم "بربروس" بالجزائر العاصمة.

وإذا كان مفدي زكريا لم ينفرد بالشعر الذي صور وعبر عن المعاناة المادية والمعنوية التي تولدت داخل السجون والمعتقلات والمنافي أثناء الثورة الجزائرية بوجه خاص، فإنه قد تفرد في كيفية التعبير الفني عن هذا الموضوع المأساوي، الملحمي في التاريخ الحديث للشعب الجزائري. فنحن نعلم أن وظيفة مطلق السجون والمعتقلات التي أنشأتها فرنسا بالجزائر عموماً، ووظيفة (سجن السجون) "بربروس" بالجزائر العاصمة، خصوصاً، قد تجاوزت مجرد الأسر والاعتقال والحد من الحرية الفردية والجماعية، إلى التفتن في تجريب واختبار مختلف أساليب التعذيب والتنكيل وإلى صناعة أبشع وأفظع أشكال الموت. إلا أن الموقف الملحمي في الخطاب الشعري لمفدي زكريا يقلب وعينا بهذه الوظائف المأساوية رأساً على عقب، كما يظهر ذلك بشكل

خاص، في القصائد الخمس الأولى بالديوان. فهي جميعا قد صيغت صوغا شعريا ملحميا، غريبا تحتفل فيه لغتها وصورها وإيقاعها بتجذر وتوهج إرادة الثورة الجزائرية، بوصفها امتدادا لقوة إرادة القدر التي لا مرد لنفاذ قضائها. وكمثال تطبيقي لذلك فإن أروع روائع شعر مفدي زكريا بعنوان: "الذبيح الصاعد" التي تصدرت الديوان، لا تعبر عن حالة التشبع الذهني والوجداني والحسي للشاعر بالحدث الإجرامي الفظيع، الشنيع، الذي يتمثل في قطع زبانية العذاب لرأس البطل، الشهيد، (أحمد زبانا) أو (أحمد زهانا) فحسب، وإنما هي - في كل أبياتها الثمانية والستين بيتا - تمثيل (ل) وتعبير (عن) موقف ملحمي مؤسس على "مفارقة" (PARADOXE) فنية مقلوبة، تشبه كثيرا من المفارقات الفنية الغربية التي كانت تستهوي المتنبي، في مثل قوله :

يحاذرنني حتفي كأني حتفه وتنكرني الأفعى فيقتلها سمي

ويظهر ذلك - ابتداء - في عنوان القصيدة : "الذبيح الصاعد". فرغم أن الصورة الصوتية والمرئية لكلمة "الذبيح" لا تحيل على إنجاز وظيفة القتل أو الموت وانتهى، وإنما تحيل على تبيان حال القتل ذبحا إمعانا في التعذيب والتنكيل بالمفعول به، وتعبيرا عن الإرادة الحاقدة للفاعل، فإن المخيلة الشعرية الملحمية للشاعر تتصاعد بذبيحه إلى الأعلى وتقلب المنطق النحوي الدلالي المفترض في هذا "الحدث الموقف" الذي يصير فيه "الذبيح الصاعد" هو الذي يحتل موقع الفاعل بينما يشغل "الذابح" موقع المفعول به، وبذلك يجد المتلقي نفسه بصدد موقف ملحمي احتفالي مفارق،

□. المفارقة والآدب، دراسات في النظرية والتطبيق، د. خالد سليمان دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص. 13-36

ينتفي فيه حكم الإعدام المادي المنفذ من قبل جلادي سجن "بربروس" ومن ثمة من قبل الجلاد الأكبر، متمثلا في فرنسا، ليس لأن روح هذا الذبيح النبيل قد صعدت إلى بارئها انسجاما مع ملفوظ الآية الكريمة: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"[□]، وليس لأن الوضعية المكانية لهذا الحدث تقتضي أن يصعد "الذبيح" الرمز الذي يحمل في كيانه المادي والمعنوي والروحي رسالة إنسانية مقدسة، متسامية بطبيعتها إلى الأعلى ونعني بذلك رسالة الحرية التي ترفع الجزائر الثائرة لواءها عاليا خفاقا بوساطة الموقف الملحمي الاحتفالي المؤطر شعريا للشهيد "أحمد زبانا"، بما يعني أن ذبح رموزها الفاعلة ليس وأدا لها كما يتوهم السجان أو الذابح أو المعذب الفرنسي، وإنما هو إذكاء لجذوتها وبعث مادي ومعنوي وروحي لشعلتها المتألقة دوما إلى الأعلى.

وانطلاقا من هذا المعنى المركزي الذي تتحرك في فلكه كل المدارات الشعرية لمفدي زكريا، يمكن أن نحلل بعض المظاهر الفنية الأساس التي بموجبها تشكل الموقف الملحمي الاحتفالي في هذه القصيدة التي بلغت روعة التصوير الفني فيها ما لم تبلغه إلا نادرا في نظائر كثيرة لها في الشعر العربي الحديث.

فكل العناصر الفنية التعبيرية والتصويرية تتفاعل فيما بينها، تفاعلا وظيفيا ودلاليا "لتملحم" و"تؤسطر" الموقف الثوري البطولي الذي تشبع به الوعي الذهني والوجداني لمفدي زكريا، واستقطبه الكيان المادي الموضوعي لشهيد الحرية والكرامة والمجد أحمد زبانة. ولذلك فالشاعر - منذ البداية - لا يصور ذبيح الحرية المنشودة بالنيابة عن صوت الشعب وإرادته، في السياق الانفعالي السلبي، الذي يستشير في

□. سورة آل عمران، الآية 169.

الملتقى بواعث العطف والتعاطف (على) و(مع) الشهيد أحمد زبانة، بوصفه "مفعولا به" وإنما هو يحشد له صورا تمثيلية وتعبيرية (زمكانية) [□] (CHRONOTOPE) في السياق الانفعالي الاحتفالي الذي تتعزز فيه بواعث الفخر والإكبار والإعجاب، من موقع "الفاعل" الذي ينشد الموت بإرادة تلقائية واثقة يتحدى فيها جلادية، بزهو وخيالاته وترانيمه وبشره وبراءته وحلمه وصعوده وتساميه وتلاوته وتهاديه :

قام يختال، كالسيح وئيدا	يتهادى، نشوان يتلو النشيدا
باسم الثغر، كالملاك، أو كالمط	فل يستقبل الصباح الجديد
شامخا أنفه، جلالا وتيها	رافعا رأسه، يناجي الخلودا
رافلا في خلاخل زغردت تماأ	من لحنها الفضاء البعيدا!
وتسامى كالروح في ليلة القدر	سلاما يشع في الكون عيدا!
وتعالى مثل المؤذن يتلو...	كلمات الهدى، ويدعو الرقودا!

وقد يتساءل البعض قائلا : أليس السياق المفترض في هذا المقام هو سياق الموقف المأساوي، الباكي، الحزين، الذي يستلزم أن تأتي هذه القصيدة أوثق ارتباطا بغرض "الثناء" منها بأي غرض آخر، ومن ثمة، ما الذي جعل المشهد الدرامي الأليم يتحول إلى مشهد احتفالي بهيج؟!

الواقع أن الشاعر لا تعنيه في العمق، شخصية الشهيد، البطل، أحمد زبانة، العينية، الموضوعية، بوصفها هي الموضوع الخارجي المدرك والمشهود، كما لا يعنيه أيضا أن يعبر ويعرب عن تأثره هو شخصيا، بوصفه شاهد (على) تنفيذ حكم الإعدام

□. Joelle Gardes, Tamine Marie, Claude Hubert, Dictionnaire de critique littéraire, MASSON, Paris, 1996, p. 35 – 36.

الفردى، وذلك لأن مدار القول الشعري كله في هذه القصيدة، وفي شعر مفدي زكريا كله، هو أن الجزائر كلها في حكم هذا الموقف الدرامي الملحمي لأحمد زبانه. ولذلك فالشاعر جعل من مأساته التي هي عرسه، مجرد مناسبة تتيح له أن يلتحم بما يعنيه في العمق وليس في السطح، وما يعنيه في العمق أجل من أن يتوسل له بصيغ الخطاب الباكي أو المستبكي، وإنما الطريق إلى ذلك هو أن يمعن الشاعر "كشاهد" "مشارك" ومعبر، وأحمد زبانه، كمشهود، معبر عنه وبه في آن، في الاحتفال المادي والروحي المتألق بقصص ومواقف الفداء والتضحية والاستشهاد الكبرى، التي طهرت الإنسان من تبعيته للإنسان، وحررت وجدانه وعقله وكيانه المادي، العضوي، من مركبات النقص أو الضعف البشري، ومن عقد الخوف التي كرسها فيه شبح الموت الجبان، الذي يصدر - غالبا - عن الظالمين والطغاة والمستكبرين في الأرض.

ولذلك فإن المدار الدلالي الذي تتحرك فيه القصيدة كلها يتمثل - كما أشرنا مرارا - في إرادة الحياة بالموت، إثباتا وتثبيتا للحرية مقابل الموت بالحياة حيث الحرية المنفية بل المؤودة على كل المستويات. ولكي يجذر الشاعر هذه المعادلة المركزية المفارقة، فقد جعل الموقف - أو فلنقل - المواقف الملحمية لإرادة الجزائر في عالم الشهادة تتنفس بقوة الإرادة الخارقة للمطلق في عالم الغيب.

ولا أود أن يفهم من هذا أن صوت الشاعر مفدي زكريا، صوت تجريدي غيبي، وإن كان القدر، الغيب، المطلق، الدين، أحد أبرز معالم ثقافته، وإنما هو صوت شاعري إرادي، كوني، يستثمر كثيرا من المواقف الغائبة المشعة بدلالة الحرية في التراث الديني والروحي الذي لا ينحصر فقط في دائرة الإسلام وإن كانت هي الأظهر، وفي هذا السياق، ومن باب المثال لا الحصر، فإن أهم الصور الشعرية التراثية التي استدعاها الموقف الملحمي المتصاعد من أجل الحرية، تتمثل في :

1. الصورة السردية الزمنية التشبيهية الأولى التي ركبت للشهيد، المشهود، أحمد زبانة، وهو يقبل على المقصلة من موقع تهافت وزيف أسطورة صلب السيد المسيح عليه السلام :

قام يختال كالمسيح وثيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا

2. الصورة التشبيهية الحالية الثانية، المركبة، التي يتماثل فيها أحمد زبانة مع ثلاثة عناصر أو أطراف متجانسة من حيث طبيعتها ودلالاتها، هي :
(الملائكة، الطفولة، الصباح الجديد) :

باسم الثغر، كالملاك، أو كالطفل يستقبل الصباح الجديد

3. الصورة الوصفية الحالية السمعية المركبة لأحمد زبانة في سياق العرس المتولد عن المأتم :

رافلا في خلاخل، زغردت تملأ من لحنها الفضاء البعيدا

4. الصورة التشبيهية الحالية المعنوية، المركبة، لحلم أحمد زبانة، في الحاضر و(لكليم) لله موسى - عليه السلام - في الماضي السحيق، بالشطر الأول "حالمًا، كالكليم، كلمه المجد"، والسردية السببية المتصاعدة "زماكانيا" إلى الأعلى : "فشد الحبال يبغي الصعودا."

5. الصورة السردية الحالية التجريدية الأكثر تركيباً لأحمد زبانة، "كمشبه" و"الله" و"الروح" و"القرآن" و"ليلة القدر"، "الملائكة"، "كمشبه بها" :

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر سلاما، يشع في الكون عيدا

6. الصورة السردية المركبة ل (أحمد زبانة - الرسول صلى الله عليه وسلم) -

ليلة الإسراء والمعراج - البراق - المسجد الحرام - المسجد الأقصى) :

وامتطى مذبح البطولة معراجا ووافى السماء يرجو المزيد

7. الصورة السردية التشبيهية (الصوتية) المركبة لأحمد زبانة، كإرادة

متماثلة في الحاضر، مع إرادة غائبة في الماضي التاريخي، ولكنها كمعنى للحربة

تبدو فوق الزمن التاريخي، ونعني بذلك إرادة أول مؤذن في تاريخ الدعوة الإسلامية

(بلال الحبشي)، الذي أعلن عن تحرير عبوديته من موقع الانتصار ليس بالسيف

وبما هو من جنس القوة المادية، وإنما بالعذاب والألم والمعاناة، أولا، وكما أعلن -

نتيجة لذلك - عن قلب مفهوم السادة والعبيد على إطلاقه، ثانيا. وكل ذلك بواسطة

الشعار الشمولي الأساس للدعوة الإسلامية : " الله أكبر" وتعالى مثل المؤذن يتلو . .

. كلمات الهدى، ويدعو الرقودا."

إن كل هذه الصور الوظيفية والدلالية الأساس في قصيدة "الذبيح الصاعد"

ليست مجرد صور بلاغية، تشبيهية، غالبا، وإن تذرعت "بالتشبيه" □

(Similitude) بحيث لا تتجاوز وظيفتها - الصور البلاغية - الإعراب والتعبير عن

□. انظر :

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1975، ص. 224 - 271.

- البلاغة، المدخل لدراسة الصورة البيانية، فرانسو موروا، ترجمة : محمد الولي، عائشة جرير، الحوار الأكاديمي والجامعي، المغرب 1989، ص. 15-25.

مصادقية ونبيل الموقف الملحمي الذي ولدته المخيلة الشعرية لمفدي زكريا من المشهد المأساوي الأليم، الذي يتمثل في إعدام القتلة والجلادين الفرنسيين للمناضل الشهيد أحمد زبانة، فهذا التفسير البلاغي، وإن كان مؤسسا ومشروعا في الشعر الجزائري التقليدي عموما وفي شعر مفدي زكريا خصوصا، فإنه لا يتجاوز بنا إطار الواجهة الخارجية للنص الشعري، والواجهة الخارجية للنص الشعري على ما لها من أهمية، لا تتيح للمتلقي أن يتشرب "بلاغة الموقف الشعري"، وإن وقفت به على "شعر البلاغة".

وإلى أن يتاح لنا أو لغيرنا، اختبار مقولة إن جزءا كبيرا من شعر مفدي زكريا تكمن أهميته في استثمار مفهوم "التناس" [□] (INTRE-TEXTUALITE) فإن البؤرة الدلالية التي تتوزعها علاقات الحضور والغياب المتناصة في هذه القصيدة تتمثل في معنى الحرية، كقضية وطنية وإنسانية، يرفع الشاعر لواءها عاليا وهو حبيس مقيد ويحيا بسببها ومن أجلها الشهيد البطل أحمد زبانة بالإعدام ذبحا، وكقيمة مادية وروحية وحضارية خيرة، باركها الله في السيد المسيح عيسى بن مريم، وفي كلیم الله موسى، وفي رسالة الهدى للعالمين كافة، التي نزلت على رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) مختزلة جوهر كل

□. انظر :

- المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني (سا) ص. 46-47.

- Dictionnaire de critique litteraire, *Ibid* p. 101.

- مجلة اللغة والأدب (أكاديمية علمية)، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر، ع 12، ديسمبر 1997، ص. 38-111 / 303-232 / 355-371.

الرسالات الروحية التي عرفتها الإنسانية. ولذلك فليس بغريب أن يجعل الشاعر من التغني بالموت، شنقا، وصلبا، من أجل الحرية، صوتا ملحميا آنيا، دافئا ينبعث على لسان الذبيح الصاعد إليها (أحمد زبانة) :

”اشنقوني، فلست أخشى حبالا واصلبوني، فلست أخشى حديدا“
 ”وامتثل سافرا محياك جلادي ولا تلتئم، فلست حقودا“
 ”أنا وإن مت، فالجزائر تحيا حرة مستقلة، لن تبيدا“

كما أنه ليس بغريب أيضا أن يحل صوت ”الشاهد“ (الشاعر) و”المشهد“ (أحمد زبانة) في الموقف الملحمي الأكبر الذي يتسع فيه مجال الاحتفال بالفداء والتضحية والاستشهاد، ليشمل الجزائر، كل الجزائر، بوصفها هي البطل الملحمي الأكبر، الذي يحتل في شعر مفدي زكريا موقع ”الراوي“ و”المروي عنه“ و”المروي له“، لأنها – ببساطة – هي ”اللهب المقدس“ الذي تهون في سبيل حريته وعزته ومجده كل القرايين.

يا زبانا ويا رفاق زبانا عشتم في الوجود دهرا مديدا
 كل من في البلاد أضحى ”زبانا“ وتمنى بأن يموت شهيدا !
 أنتم يا رفاق، قربان شعب كنتم البعث فيه والتجديدا !!
 فاقبلوها ابتهالة صنع الرشاش أوزانها، فصارت قصيدا !!
 واستريحوا إلى جوار كريم واطمئنوا، فإننا لن نحيدا !!

وبعد، فهل إننا فعلا لم نحد، أم أن ذلك موضوع آخر؟!

تيسير النّحو عند المجمعين

د. صالح بلعيد

أستاذ بجامعة تيزي وزو

تقديم

ليس عيباً أن تطرح قضايا اللغة العربية على بساط البحث، ويتناولها المختصون بالدراسة، وليس عيباً كذلك أن تشكو اللغة العربية من بعض النقائص الداخلية أو الخارجية، فلا كمال لغوي لأية لغة في الوجود لكن العيب أن نَصِف هذه اللغة بالكمال وهي تشهد فقراً في بعض المستويات. ومن هنا فإنّ البحث في اللغة العربية يعني وجودَ وعي في نشاط الأمة، وإدراكاً لضرورة التغيير. وأنّ تقويم الوضع اللغوي يعني إصلاح الغلط، والعمل على الحفاظ على أصول اللغة وجمالها وتحبيبها إلى النفوس، وتمكينها من أداء وظيفتها في كل المجالات. ومسألة المراجعة والتقويم أو الإصلاح اللغوي¹ مسألة قديمة وكلّ الأمم تراجع منظوماتها اللغوية فهي ظاهرة صحيّة تدلّ على حيوية اللغة واستعدادها للتجاوب مع متطلبات المرحلة. واللغة كما نعرف بقدر ما يكون فيها خلط، بقدر ما يكون فيها أخطاء، وبقدر ما تتوسّع تتعرّض بعض خصائصها إلى التصدّع، ويكون ذلك مجلبة للاضطراب في تحقيق مسايرة الوضع. وهكذا كان الحال بالنسبة للغة العربية في عمومها؛ فنتيجة البحث الجدّي الذي عرفته في أوائل حياتها، والتحكّم المنهجي الدقيق في أساسياتها، ونتيجة لمرونتها وكثرة متلاغيها وطول عمرها الزمني، ومواقفنا المتردّدة تجاه تعميم

□. ظهرت كتب التصويب اللغوي منذ العصور الأولى للدولة العربية، أمثال: ما تلحن فيه العوام للكسائي/ ما تلحن فيه العامة لكل من الفراء وأبي عبيدة والأصمعي/ إصلاح المنطق لابن السكيت/ ما يلحن فيه العامة للمازني/ لحن العامة لحاتم السجستاني/ أدب الكاتب لابن قتيبة/ لحن العوام للزبيدي/ درّة الغواص للحريري/ تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي/ تقويم اللسان لابن الجوزي/ دفع الإصر عن كلام أهل مصر ليوسف المغربي... وهذه الكتب تستهدف التثقيف في بعد آخر وفق نموذج حدّده علماء اللغة، وبناءً على معيارهم في الفصاحة. كما تتصدّ ظواهر الخطأ وردّها إلى الصواب، فبمعرفة الصواب تعصم من الزلل، وهذا كله بغية إعطاء التداول أهميته في المجتمع، وذلك ما تسعى إليه مناهج اللغة العربية في عصرنا الحاضر.

استعمالها، نتجت ظاهرة البعد عن التماس القياس القريب من الطبيعة اللغوية، وعدم اعتماد التأويل المحسوس، والعلل التعليمية التي تجيب عن الملموس اللغوي. "برع العرب القدامى في تععيد لغتهم وضبط أحكامها، وصولاً إلى بنية صالحة للأخذ بها والسير على مثالها واعتمدوا في الأساس على المنهج المعياري، ولكنهم في وسط الطريق كانوا يلجؤون إلى مناهج فرعية أخرى لصعوبة تطبيق هذا المنهج في كل الأحوال. عادوا إلى النظر المنطقي والفلسفي وإلى التأويل والافتراض"[□] وكان ما كان في صعوبة هذه اللغة، وانعكس في الوقت الحاضر على أحد مكوّنات الهوية، بحيث نرى من يشعر بالنقص تجاهها على أنّها ما تزال لغة الدين والحصير واللوح والصلصال، وليست لغة الحاسوب والاتّصال، فارتيمينا في أحضان لغات المال. فكان الحال الذي عليه الآن وهي الآن تصنّف في خانة اللغات المتخلّفة. رغم ما حقّقه على الصعيد المعرفي ذات وقت. ولكن نشهد أنّها غير متجانسة في بعض أبعادها الحيوية، وتلك مشكلة ينبغي النظر فيها، والعمل على إزاحتها.

وفي مسألة تيسير النّحو العربي ماذا عساني أقول في هذا الموضوع الذي نال كفاية علمية[□]، وأكثر من جهد ودراسة وملتقيات وندوات، ونُصّبت له لجانٌ متخصصة وورشاتُ عمل تحت سلطة جمعية تشريعية، بله الحديث عن تلك المؤتمرات التربوية

1. كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، القاهرة 1999، دار غريب، ص. 11.
 □. ما يحضرنى من الملتقيات والندوات: ندوات مجمع اللغة العربية المصري، واتّحاد المجامع للسنوات 1947-1947-1958-1976/ ملتقى تيسير النّحو في عمان سنة 1974/ وندوة الخرطوم سنة 1976/ وندوة الرياض سنة 1977 / وندوة 1978-1979/ ندوة تقويم تدريس اللغة العربية في الأردن لعام 1983/ ندوة تعليم اللغة العربية في الجزائر سنة 1976/ ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة 1984/ ملتقى تيسير النّحو للمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر سنة 2001.

والجامعية التي أُقيمت في أكثر من بلد عربي، إلا أنه بقي يراوح مكانه ولم تسكت الشكاوى من المناذاة بالتيشير، أو التجديد، أو إعادة النظر في طرائق تلقيه، أو في منهجية تصنيفه. وماذا أقول وأنا مدرك كثيراً من الصعوبات التي يعانيتها معلّم النّحو ومتعلّمه، ممّا يجعل الشكوى والنفور منه متلازمين[□]. وتجديني أنطق ما أكون إذا لم أنطق، بل إنّ المرور على بعض القضايا أفصح من التفصيل. وماذا أقول في الموضوع الذي لو تُجمع كتب التيسير النّحوي قديماً وحديثاً[□] وما تراكم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة من تقارير لضاقت بها المكتبات. ومن وراء كل هذا كان عليّ توضيح القصد من هذا البحث الذي ليس من ورائه الطعن في النّحو العربي الذي هو علم نفيس لعلماء عباقرة وكبار، ولن أكون مثل ذلك الذي يريد تغيير النافذة فهدم بيتاً، بل أصرح بأنّ الخطاب النّحوي في مسائل الخلاف كان كبيراً وضخماً، والمتتبع لتاريخه وخطابه المعرفي ومرجعياته التوثيقية يقرّ بأنّه استمد بعض الملامح ممّا كان يدور في فلك الدولة الإسلامية وتأثيراتها الخارجية، ولم يعالج ذاتياً دون أن تجتلب له مفاهيم خارج سياقه التاريخي والثقافي، وكان كل ذلك سبباً في ظهور الممارسات الخطابية التي سمحت ببعض الخلط مثل : عدم استخلاص القواعد من كل ما تكلم به العرب، وذلك بظهور هيمنة لهجات على أحر، فبدأ النّحو معيارياً، وعدم مراعاة أصل القاعدة في الخطاب وليس في اللغة، فأين محلّ الاستعمال من الوضع، كما لم يقم التصحيح على

□. صالح بلعيد "شكوى مدرس النّحو من مادة النّحو" عدد خاص بتيسير النّحو. الجزائر : 2001، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ص. 417-431.

□. من الكتب القديمة نذكر : الجمل للزجاجي/ الواضح للزبيدي/ الإيضاح لأبي علي الفارسي/ اللّمع في العربية لابن جنّي... ومن الكتب الحديثة نذكر : إحياء النّحو لإبراهيم مصطفى/ تجديد النّحو/ تيسير النّحو التعليمي و تيسيرات لغوية لشوقي ضيف/ محاولات التيسير النّحوي قديماً وحديثاً لعبد الكريم خليفة ...

الحسّ اللغوي، وذلك ما ظهر في رفض بعض الشعراء للمعيارية الانتقائية للنّحاة مثل
فعل الشاعر الفرزدق مع الحضرمي النّحوي...
ونظراً لهذا التشعّب، كان عليّ إلاّ تحديد موضوعي في هذا العنوان: تيسير
النّحو عند المجمعين. بالتركيز على مجمع اللغة العربية المصري، واعتماد قراراته
ومجلته وبعض ما كتّب عنه، وذلك للاعتبارات التالية :

- مجمع لغوي قديم.
- في المجمع لجنتان تعملان في الأصول والإصلاح اللغوي.
- مجهودات المجمع معتبرة في مجال التيسير النّحوي.
- المجمع الذي له حقّ التشريع اللغوي.
- أعماله تزكّي من قبل اتّحاد المجامع اللغوية العربية.

1. دواعي التيسير النّحوي : اهتمّ العرب بلغتهم اهتماماً كبيراً لا مثيل له في لغة
من اللغات، وأولوها بالبحث عناية صارمة بدءاً من كتّب النّحو إلى كتّب فقه اللغة،
وكتّب التشريع الفقهي. فلقد كان كتاب سيبويه المصدر العلمي الأساس في اللغة
باعتباره قرآن النّحو، وبحر العربية، ومن يبتغ أن يضع كتاباً بعده فليستح. إلاّ أنّ
هذا المؤلّف العلمي الهام صعبت مسالكه، فعُمل على شرحه، وشرح شواهده، وبُنيت
عليه مصنّفات ضخمة. ومع تطوّر الحياة ظهرت هذه المصنّفات [□] على شكل ملخصات
وتفسيرات للكتاب، بعنوانين : مختصر في النّحو/ الهداية في النّحو/ المقدمة/ التوطئة/
أوضح المسالك/ قطر النّدى وبلّ الصدى... وكلّها تبحث عن صيغة تعليمية لكون المادة

□. حازم سليمان الحلبي "تيسير النّحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي" مجلة اللسان العربي.
الرباط : 1996، مكتب تنسيق التعريب العدد 41، ص. 52-53.

التي يحملها دسمة وكثيرة، لكن بعضها ليست وظيفية. وتبدأ المشكلة تتعقد بعدما زاد التأليف المختلط دفعاته، ومن حينها تعاني اللغة العربية أزمة لغوية[□] رغم ما يزخر به تراثها من جهد جبّار. وهذا نتيجة ما علق بها وبخاصة نحوها. فبدءاً من الخليل بن أحمد "الذي غرس مبادئ علم الحساب في أذهان النحاة الذين تتلمذوا عليه، واستمر منهجه عبر قناة سيبويه، مما يقطع الشك باليقين على أنّ النحاة الأوائل أخذوا بأصول علم الحساب، وهم يستخرجون أصول أحكام نحوهم"[□] إلى المنطق[□] الذي فشا في النحو بعد ذلك، وهذا باعتراف النحاة الذين قالوا بأنّ بعضاً من تلاميذ المدرسة الخليلية قد أدخلوا المنطق في النحو العربي، مشيرين إلى الرّماني الذي أفاد بالمنطق النحو في رسم حدوده واستنباط العلل وصياغة الأقيسة. ويقول أبو علي الفارسي[□] في

-
- . عائشة عبد الرحمن، لغتنا والحياة، ط 2. القاهرة : 1969-1972، ص. 191.
- . محمد كشاش : الفكر الرياضي والنحو العربي "مجلة اللسان العربي. الرباط" 1996، مكتب تنسيق التعريب، العدد 41، ص. 38.
3. وقد تناول هذه القضية عبد الفتاح الدجني في كتابه : النزعة المنطقية في النحو العربي، الصادر سنة 1982.
4. ما يعرف عن أبي علي الفارسي أنّه كان متشددًا، وهو الذي يقول : (ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأنّ في ذلك فساد وبطلان حقائقها) ولكنّه ينكر على الرّماني هذا الابتعاد عن صلب النحو، والصبغة المنطقية التي حملها على النحو. فيقول أحد الباحثين : وقد بلغ هذا التأثير بالأسلوب المنطقي حدّاً جعل النحاة أنفسهم يضيّقون به ذرعاً مثل أبي علي الفارسي وهو المعروف بالتماسه للقياس والأخذ به، ينكر على الرّماني مذهبه النحوي الذي يغرق في استعماله طريقة الجدل عند المتكلمين والمناطقية. محمد بدوي مصطفى "النحو العربي، نقد وبناء للدكتور إبراهيم السامرائي" مجلة أبحاث لسانية. الرباط : 2001، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المجلد 6، العدد 1، ص. 67.

هذا الأمر "إن كان النَّحو ما يقوله الرِّماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النَّحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء" وإلى أقوال متى المنطقية الذي يؤكد ذلك: إنَّ المنطق آلة من الآلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفساد المعنى من صالحه، وإنَّه بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة". وفي موضع آخر يرى: لا حاجة بالمنطقي إلى النَّحو، وبالنَّحوي حاجة إلى المنطق، لأنَّ المنطق يبحث عن المعنى، والنَّحو يبحث عن اللفظ، فإنَّ مرَّ المنطقي باللفظ فبالعرض، وإنَّ عبَّر النَّحوي فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضح من المعنى". وفي موضع آخر يقول: يكفيه من اللغة الاسم والفعل والحرف، فإنَّ هذا القدر يبلغه إلى الأغراض التي هدَّته له اليونان". وبهذا التفلسف حجَّروا اللغة بما التزموه من قواعد حكموها بالمنطق[□]. وكان السير في منهج المناطقة قد خلق فكرة العامل نتيجة التوسُّع في الجدل، والتِّماس أوجه الأعراب المحتملة. وهناك من الباحثين من يرى بأنَّ النَّحو العربي لم يتأثر فقط بالفكر المنطقي بل حتى بالمؤثرات الإغريقية، إضافة إلى غفلة النَّحاة عن خصائص المنهج الإسلامي، وخلطهم ما هو إسلامي بما هو إغريقي فمكَّن ما ليس إسلامياً[□]. وهناك من جانب آخر من ينكر ويرفض منتقداً كل من يقول بأنَّ النَّحو العربي متأثر بالمنطق الأرسطي، فيرى بأنَّ النَّحو صورة صحيحة للمناخ الفكري العام في الحياة الإسلامية بكل تجلياتها العقلية والعقلية[□]. أضف إلى ذلك جملة التعليقات الواهية التي أثقلت كاهل النَّحو

□. حسني محمود حسين "بين الكوفيين والبصريين جواز تأكيد النكرة معنوياً" مجلة مجمع

اللغة العربية الأردني. عمان : 1981 العدد 14/13، ص. 76.

2. ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النَّحوي.

3. عبده الراجحي، النَّحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج. الإسكندرية: 1977،

دار نشر الثقافة.

العربي بمختلف الآراء والتعليقات التي هي عَرَضِيَّة وخاصة وحسب المعطيات المحيطة بالمشتغل بالنحو وهي ليست ملزمة "اعلم أنّ عِلل النّحويين - وأعني بذلك حدّقتهم المثقفين لا ألافاهم المستضعفين - أقرب إلى عِلل المتكلمين منها إلى عِلل المتفقيين وذلك أنّهم إنّما يحملون على الحسّ ويحتجّون فيه بنقل الحال وخفّتها على النفس" [□]. وهذا ما يؤكّده ابن جني عندما يقول : لسنا ندّعي أنّ عِلل أهل العربية في سِمت العِلل الكلامية البتّة، بل ندّعي أنّها أقرب إليها من العِلل الفقهيّة [□]. أليس هذا إغراق في أسلوب الجدل الكلامي الفلسفي الذي أدخل النّحو في جدل لا رواء منه. دون أن ننسى الخلافات النّحوية بين الكوفيين والبصريين؛ فلقد كان الكوفيون أرحب فكرياً، وأهل قراءاتٍ واسعةٍ، وكل ما ثبت عن العرب فهو صحيح عندهم "وتشعبت مناهج البحث عند هؤلاء النّحاة، حتى ضاعت الغاية من وضع النّحو، فقد جعل الكوفيون كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه، فانتشرت عليهم قواعدهم، ولم يعد لها ما يملكها من نظام أو منطق" [□]. ورأى البصريون أنّ اللغة ما سمع عن الأعراب وهي قياس على كلامهم واعتبروا كل ما خالفهم شذوذاً، واقتصروا على قبائل محدودة. وكان ذلك سبباً في أن يشتغل بعض النّحاة بالشواهد الغريبة أو الشاذة أو ينتحلوها لتأييد قواعدهم غير ملتفتين إلى قيمة الشاهد وتأثيره في النفوس والأذهان "عني النّحاة بذكر ما خالف القواعد في الشعر، ونصوا أبياتاً تتجلّى فيها ألوان الخلاف وعدوا ذلك من الضرورات

□. عبد الراجحي، دروس في المذاهب النّحوية. بيروت : 1988، دار النهضة العربية، ص. 218.

2. ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار. بيروت، الجزء الأول، ص. 51.
□. عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط 1. عمان : 1986، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 31.

الشعرية، حتى لقد أطلقوا عليها اسماً خصّ بها وعُرفت به، وذلك هو اسمُ الضرائر[□]. ويمكن ذكر الصراع بين النّحاة أنفسهم، أو بين المعجميين والنّحاة[□]، أو بين النّحاة والفقهاء، وكل ذلك ساهم في البحث عن المبررات غير العلمية التي أوجدت سوقاً للتفريغ اللغوي، وكان بعضه مهلكة للنّحو العربي، ويمكن الرجوع إلى كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لترى كيف ضيّعت العقول العربية اهتماماتها في أشياء غير مجدية آنذاك، وكانت سبباً في أن نختلف في هذا العصر.

كما يتفرّد النّحو بالإعراب، ويصبح الشغل الشاغل، ويتحوّل عن جوهر أمره، فيصبح معنياً بالمظهر وبالشكل، ويهمل فيه جانب المعنى[□]. وكان ديدنهم يقضي بالتوسّع في التفريع والتقسيم والإفراط في الاعتماد على المنطق والمبالغة في التعليل.

□. محمد شوقي أمين "قول في النّحو" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة : 1975، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء الخامس والثلاثون، ص. 63.
2. أشير هنا إلى مسألة الخلاف التي حدثت بين نبطويه النّحوي، وبين ابن دريد المعجمي. فتذكر لنا المصادر بأنّ نبطويه استنكر على ابن دريد وضع جمهرته بأنّه مسروق من كتاب العين للخليل، فقال :

ابن دريد بقرة	وفيه عيّ وشره
ويدعي من حمقه	وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين	إلا أنّه قد غيرّه

ويردّ عليه ابن دريد قائلاً :

أفٍ على النّحو وأربابه	قد صار من أربابه نبطويه
أحرقه الله بنصف اسمه	وصير الباقي صراحاً عليه

□. أحمد عبد الستار الجوّاري "رأي في تيسير تعليم النّحو" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة : 1984، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء الثالث والخمسون ص. 163.

وتكبر المسألة بعدما قوي نفوذ النحاة فأصبحوا يشرعون، فرفضوا الاحتجاج بالحديث وبالقراءات الشاذة؛ لأنهم أصحاب معايير، واستطاعوا النيل من الدراسات القرآنية، وتناولوا على القراءات السبعية[□]. ويزاد الأمر استفحالا في أن الإجماع لم يحصل في قضايا نحوية أساسية وبسيطة مثل: أصل الاشتقاق والعامل والمعمول وعلّة رفع الفاعل ورفع المبتدأ والخبر، وفي باب التنازع والاشتغال ونصب المضارع بعد فاء السببية وبعد واو المعية. كما يحدثنا ابن الأنباري عن اهتمام رجال الفقه بالنحو، ودخول القياسات الفقهية في القياس النحوي، وكل ذلك عمل على تعقّد المادة النحوية إلى حدّ الألغاز، وظهرت اجتهادات جدلية لا تمتّ إلى قواعد النحو بصلة. وتستفحل القضية في القرن الخامس بقوة عندما كان همّ النحاة وضع القاعدة، دون مراعاة البيان، وما ترمي إليه هذه الخلافات من أساليب، فتحتلّ القضية اللغوية أزمة في فكر الواعين، ويحدث التفكير في إحياء النحو وتيسيره وتخليصه من العامل والعلّة. ويظهر مؤلّف عنيف يحمل ردة على النحاة وهو (الردّ على النحاة) لابن مضاء القرطبي[□] الذي يقول في مقدمته: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه" وهذا تأثر

□. أحمد علم الدين الجندي "الصراع بين القراء والنحاة" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة :

1984، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء الثالث والثلاثون، ص 159.

2. وعلى ذكر ابن مضاء نجد شبه بيبليوغرافية هامة للكتب التيسيرية قبل عصره، حاملة لمختلف المصطلحات التيسيرية، ومنها: المختصر/ مختصر في النحو/ الموجز/ الجمل/ التفاحة/ النحو الكبير/ الأوليات/ الإيجاز/ اللع/ لمجل في النحو/ الكافية. ينظر حازم سليمان "تيسير النحو إلى عصر ابن مضاء" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1996، مكتب تنسيق التعريب، العدد 41، ص. 50-59.

بمذهبه الفقهي الذي يرفض العلل والقياس، ويأخذ بظاهر النّص. وبطموحه إلى التغيير وإسقاط العامل الذي يراه باطلاً شرعاً ويعتبر العلل الثواني والثالث غير مفيدة فلا بدّ من إلغائها. ويجد معارضة من بعض نّحاة عصره، ومن بعض الفقهاء الذين أدلوا بدلوهم في مجال النّحو، لأنّه لم يأت ببديل نوعي يقضي على مشكلة العامل أو العلة التي يفترض أن تلتصبا بغية تدبّر القواعد التي تعصم اللسان من الخطأ لا غير. وفي نفس الفترة يدعو ابن رشد إلى تيسير النّحو من خلال مخطوطه: الضروري في كليات النّحو. واستهدف من خلاله المحافظة على الكليات اللغوية التي تحفظ كلام العرب من اللحن وصيانتها عن التغيير، وأما غير الضروري فهو من باب التزيين، فليس ملزماً به أحد به لأنّه يدخل في باب العلل. ومن وراء ذلك يخالف ابن مضاء في دعوته؛ حيث يبتغي من دعوته حفظ الكليات وإرساء منهج بنائي على منهج قديم يحتاج إلى تطوير، عكس ابن مضاء الذي أراد نقل ثورة الظاهرية من عالم الفقه إلى النّحو، وقصد هدم القديم لبناء الجديد. وهكذا فبواسطة ذلك الخلط أدّت المذاهب الفقهية إلى انصراف النّحاة إلى كثير من المسائل النظرية، علماً أنّ القرنين الرابع والخامس الهجريين قد شهدا وضع المصنّفات التعليمية التي تهدف إلى تيسير العربية وتسهيل تعلّمها، وكذلك وضع أهمّ المعايير النظرية للمفهوم التعليمي للنّحو وقواعد العربية. وهذه المصنّفات تكوّن بحق الإطار الواقعي لجمع الدراسات التي جرت من ذلك حتى العصر الحديث من أجل تيسير النّحو وتسهيل تعلّم العربية[□]. ولم تهدأ الثورة النّحوية في العصور المتأخّرة، لأنّ المصنّفات تشهد ظهوراً باستمرار وكلّها تنبئ عن صعوبة النّحو. ونشهد نفس الثورة في العصر الحاضر مع ظهور

□. عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط 1. عمان: 1986، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 78.

(التُّحفة المكتبية لتقريب العربية) للطهطاوي و (المقدمة الأزهرية في علم العربية) لعبد الوهاب الشعراني و (إحياء النَّحو) لإبراهيم مصطفى و (النَّحو الواضح) لعلي الجارم... وكل هذه الكتب تشهد على صعوبة العربية نتيجة أخطاء النَّحو والصرف، وأخطاء الألفاظ والتراكيب، وأخطاء النُّطق والكتابة. ومع تأسيس المؤسسات الثقافية مثل المجامع اللغوية لم تحلَّ العقدة النَّحوية، وقد ساهم فيها كل من البيت والشارع والمدرسة والجامعة والإعلام والإنتاج المسموع والمكتوب.

وهذه الأمور المعقّدة كلها تركت آثاراً جُدرية على وجه اللغة العربية الجميلة التي حباها اللغة بقرآنه، فعانت مشكلة سوء إتقانها[□] من جراء التُّخمة النَّحوية، وهذا بشهادة المختصين وغير المختصين. وبقيت المشكلة بحيث ما يزال الكتاب المدرسي عندنا يحمل إسقاطات لغوية من تلك العصور، ونجد مؤسساتنا تخرِّج إطارات بتكوين لغوي متدن، ويعود السبب في كثير من الأحيان إلى صعوبة النَّحو التربوي. ولم نفرق بعد بين النَّحو المتخصِّص، الذي يهتم به الباحثون المتخصصون، والنَّحو التربوي الذي يحمل الأصول التي يجب أن تلقن للتلميذ؛ وعن طريقه يتحكَّم في اللغة بصفة طبيعية. فمتى تخف مؤونة النَّحو، ويصبح القليل صالحاً ووظيفياً وغنياً! ومتى نعمل على إعادة قواعد اللغة العربية إلى مجراها الطبيعي، ونتخلَّى عن التعليقات في مواطن الأعراب "ثمَّ إنَّ العربية بالإضافة إلى كونها لغة وظيفية مادياً وروحياً تتميز بكونها لغة رشيقة جميلة تخاطب الذوق والحسَّ الفني، مثلما تخاطب العقل والفكر والوجدان، وهي بذلك تقوم إلى جانب قواعدها الظاهرة على معايير باطنية لا تدرك إلا بالحدس والشعور والحدب وطول الألفة. والعلاقة بين هذه المعايير وتلك القواعد قائمة وإن في غير ظهور يلفت الأنظار على نحو ما نجد في أنواع

1. ينظر: محمود أحمد السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النَّحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم. تونس: 1987، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الإعراب التي تقدر أو تخرج عن المقرّر بسبب الاستثقال الذي نصادفه تعليلاً في غير قليل من مواطن الإعراب، والذي لا شك أنّ الميل عنه إلى الخفة أحسن وأجمل¹.

2. الفرق بين النّحو والقواعد: وقع خلط بين مفهوم النّحو، ومفهوم القواعد، وهذا ما سمح بظهور بعض المباحكات الكلامية والتعليقات الكثيرة، والصناعة النّحوية. ويجب أن نفرّق ونعرف من البداية بأنّ النّحو ليس هو القاعدة، والقاعدة غير النّحو. النّحو عرّضي وهو أعمال الفكر في الخلافات والجوازات؛ ظهر مع تفشّي اللحن. وأما القواعد ضمنية في اللغة ودائمة فيها، ولا تتغيّر باجتهادات الأفراد. النّحو متغيّر وملك للمستعمل وخاص، بينما القواعد عامة ومشاركة لا تيسر ولا توجز وتتدرّج في التلقين، ولذا نجد تيسير النّحو ولا نجد تيسير القواعد. أعود لأكرّر القول بأنّ النّحو من وضع الأئمة النّحاة ومن المجتهدين في اللغة؛ وفق مناهج اجتهادية وقد تكون حينية تتغيّر وتتبدل، بينما القواعد من جوهر اللغة لا يمكن أن تتغيّر بحكم الجماعة الناطقة بها التي ترفض كل تغيير وهذه الجماعة في أي مجتمع ترفض كل خروج عن القواعد إلا لضرورات تستدعيها حركة التغيير في اللغة. وهكذا نعلم أنّ القواعد العربية وُضعت لتعليم العربية، لا لسجنها في أطر محدودة وبنيت على التواتر لا على الشاذ؛ وهي موجودة في وعي كلّ من المتكلم والسامع، والنّحو في بعد له إنجاز لها فقط، وذلك ما يجعل الجملة أصولية. "ومما ينسب إلى الحضرمي أنّه فرّق منذ وقت مبكّر بين الصناعة والمعرفة، أي بين العربية واللغة، أو بعبارة

□. عباس الجارري "اللغة العربية بين التطور والتقييم" منشورات الأكاديمية الملكية المغربية. الرباط: 1993، عدد: قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، ص. 32.

أخرى : بين النَّحو وفقه اللغة" □ ؛ لأنَّ النَّحو صناعة وضرب من التَّكَلُّف ، وأما الإعراب فهو من النَّحو وليس من القواعد وهو مراعاة مواقع الحركات معنوياً لا شكلياً. كما أنَّ لكل لغة قواعد ونحو، وليس لكل اللغات إعراب. ودليلنا على ذلك وجود القواعد في كلِّ اللغات ولا يوجد الإعراب في كلِّ اللغات. كما أنَّ عدم الإلمام بالإعراب لا يمنعنا من معرفة اللغة والنطق على الصواب، متى علمنا الأغراض من العبارات من نفي وإثبات وتقديم وتأخير واستفهام وجواب وأمر □ . ويجب التفريق كذلك بين الشاهد الذي يأتي لإثبات قاعدة، والمثال أو النموذج أو التدريب الذي يؤتي به للفهم، وينبع من بيئة الطالب، ومن مجال اهتمامه. فالشاهد ليس القاعدة، وليس النَّحو. الشاهد محصور وقليل ومعدود ولا يتجدد، ولم يكن في المطرد من الكلام، بينما المثال أو النموذج لا نهائي ومتغيّر، ولكل عصر أمثله ونماذجه. كما يجب أن نميّز بين العلل النَّحوية وهي غير واجبة؛ لأنّها من وضع البشر³ فهي من النَّحو، وليست من القواعد، وبين العلل التعليمية التي تلتبس ضمناً في التعليم، وكذلك يمكن إيجاد علل غير تلك التي أوجدها السابقون. وهذا شاهد على أنَّ المتن

□. تمام حسان "وضع المصطلح العربي في النَّحو والصرف" الموسم الثقافي الثاني عشر. عمان : 1964، منشورات مجمع اللغة العربية، ص. 131.

□. ينظر : يوسف الصيداوي، الكفاف، ط1. دمشق : 1999، دار الفكر المعاصر، الجزء الأول.

□. وقد روي عن الخليل أنّه سئل عن العلل التي يعتلّ بها في النَّحو، فقال: إنَّ العرب نطقت على سجيته وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي إنّه علة لما علته، وإنَّ أكن أصبت العلة فهو الذي التمس... ولغيري أن يلتبس غيرها. ع/ الزجاجي، الإيضاح في علل النَّحو، تحقيق: مازن المبارك. بيروت: 1973 دار النفائس، ص 95-96.

اللغوي العربي مثله مثل القرآن الكريم؛ فهو واحد وعليه قراءات، النصّ ثابت في حروفه، ومتغيّر في دلالاته وفي تأويله، وكأثنا نقول: إنّ القرآن قاعدة ثابتة، والشروح والقراءات اجتهادات، فهي من البشر.

وفي هذه النقطة يجب أن نعي بأنّ اللغة أياً كانت ليست أزلية، فاللغة العربية - وهي محور حديثنا - لغة ورثناها عن آباء صدق، فلهم سبق الابتداء، فنحن نورثها لغيرنا بعد موتنا، فيحقّ لنا، كما يحقّ للذين يأتون بعدنا التصرف في هذه التركة، فهي ليست ملكاً لزمان ما، ولا لأفراد معينين باعتبارها كائناً حياً متطوراً يضعف ويقوى، ينقص ويزيد بضعف الفكر والوعي الحضاري[□]. وعلى هذا فإنّه لا يجب أن تأخذنا العزّة بأنّ اللغة العربية لا يجب أن تمسّ، ولا يجب أن يحدث تغيير في النّحو العربي.

3. التيسير النّحوي عند المجمعين : لقد مرّ اجتهاد المجمعين بمرحلتين

متميّزتين هما :

1.3. المرحلة الأولى : ويمكن أن نحددها بالثلاثين سنة الأولى من تأسيس

المجمع اللغوي المصري، وهي مرحلة التيسير المشروط أو المقيد، فنجد أنّ معظم التيسيرات النّحوية لم تمسّ قضايا جديرة بالمسّ، اللهمّ قضايا التنازع والاشتغال والاشتقاق والأضداد والمجاز وأصول القياس، والنظر في بعض مسائل أصول النّحو العربي وتغيير تصنيف القواعد، أي لم يعالج المجمع كل القضايا الشائكة في الصرف

1. محمد السويسي "دور المصطلحات العلمية التراثية في عملية التعريب المعاصرة" مجلة الموسم الثقافي الحادي عشر. عمان 1993، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 31.

والنحو في هذه المرحلة[□]. إنَّ النحو - كما نعرف - قد ضاقت به السُّبُل، فأصبح يقتصر على مسائل الإعراب وأحواله وفروعه، وأصبح محوراً للدراسة. فلما نصَّبت وزارة المعارف المصرية في الثلاثينيات لجنة للنظر في تيسر القواعد لم تقل بشيء يعمل على التيسير. ولقد تمعنّت هذه اللجنة في اللغة العربية واعتبرتها مقدسة وكاملة، فأغفلوا النظر في كثير من الفروع، ولم يمساوا الأصول. فعهدت بالقضية إلى المجمع، ومن حينها اتّصلت جهود المجمعين في المادة النحوية بميدان التعليم وتنسيق بعض الأبواب، وإلغاء بعض الفروع، وعملوا على الفصل بين النحو التخصصي والنحو التعليمي. لكن ظهر تعلقهم بالنحو التقليدي وبالمنهجية القديمة، وبإصلاح نظري بعيد عن الواقع، وأدّى بهم ذلك إلى وضع مبادئ نحو متصوّر، إضافة إلى بعض المسائل النظرية التي لا صلة لها بتطوّر النحو العربي. وتشهد المرحلة تشدداً معتبراً من المجمعين، وكانوا ينظرون إلى اللغة بأنّها عربية القرآن ونحو سيبويه، ولذلك كان همّهم تقديس فعل القدامى لا غير، فإنّ القدامى لم يخطأوا في اجتهاداتهم؛ باعتبارهم وضعوا قواعد اللغة، ومن خلالها استنبطوا النظام النحوي الذي له أهميته الخاصة، ويعبّر عن بنية اللغة العربية. وعلى العموم فإنّ هذه المرحلة لم يقع الاهتمام إلا بالعربية المكتوبة. واهتموا كثيراً بالشكل (الرسم) الذي صرفوا فيه جهدهم المعتبر ولم يقدّموا حلاً إجرائياً لإصلاحه. وفي كل هذا كانت نظرتهم هي قتل القديم فهماً، ثمّ يأتي الإصلاح من خلاله. كما يجب الإشارة إلى أنّ هذه الفترة طغى فيها الأزهريون المتمسكون ببداوة لغوية، وكان لهم تأثير في قرارات المجمع، فنظروا في

1. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط 1. بيروت : 1988، دار الغرب الإسلامي، ص. 296.

بعض مسائل النّحو، وأخرجوا قرارات سلفية في مجال النّحت والاشتقاق وما يتعلّق بهما، وكأنّني بهم أغلقوا باب الاجتهاد في النّحو، فحبّهم للغة وقدسيّتهم أعمت بصيرتهم عن تطوّرهما، ولذلك لم تحظ قراراتهم بالعناية، بقطع النظر عن كون بعضها أصبحت تهكّمات على جهودهم.

ومما غاب عن هؤلاء المجمعين أنّ التقدّم في البحث اللغوي يحصل بالصراع بين القديم والحديث، وأنّ المجايلة حتمية لا مفرّ منها، فكلّ جيل ينتصر لعصره، فكيف تمسّك هؤلاء المجمعون بعصر مضى! ولم يدركوا بأنّ سنة التغيير ضرورة لا بدّ منها والثابت هو الله، ومحاولات الإصلاح يعني إيجاد السبيل التي تستطيع بها اللغة استيعاب العصر، وما وُجد فيه من حضارة.

2.3. المرحلة الثانية : وهي مرحلة الستينيات وما بعدها، وفيها نشهد مرحلة الطموح إلى النّقد الذي يقوم المعوّج، ويعين على درك الحقيقة وقصد الصواب، بحيث أبان المجمعون عن كثير من المرونة، وهذه المرونة تعدّ دعفاً للغة في أن تعبّر عن واقعها، لأنّهم يدركون تماماً اختفاء سِمت كلام العرب في أساليبهم، لبعدها عن السليقة اللغوية، فهم الذين يرون أنّه يحقّ أن تكون لنا لغتنا الخاصة، ذات الأساليب الوسطى، ونجدها في اللغة المتأدّبة؛ باعتبار اللغة تتجدّد؛ فلها أهلها، ولكل عصر لغته وأساليبه، وهذا ما يستدعي النظر في نحو هذه اللغة. وفي هذه المرحلة ركّز المجمع جهوده على مشاريع النّحو التربوي[□]، إلى جانب الاهتمام بفقّه النّحو وفهم وظيفته على حقيقتها، ونظروا إلى النّحو باعتباره قائمة من الأخطاء يجب أن تصحّح، كما أنّ القرارات الجمعية السالفة مدعاة للمراجعة، أضف إلى

1. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط 1. بيروت : 1988، دار الغرب الإسلامي، ص. 375-402.

ذلك بعض المسائل اللغوية التي لم تُعالج. ولم يضرهم الخلاف القائم الذي أباح وأجاز لكثير من النحاة القياس على الشاذ أو النادر، فهم نظروا من منطلق العصر على أنّ الأصول العرقية والعناصر البيئية لها دور في وجود خصوصيات على مستوى اللهجات، وهي متباعدة فيما بينها، وهذا شيء طبيعي، وتنزل كثيراً عن مستوى الفصحى. وانطلاقاً من ذلك لفتوا النظر إلى بعض الصعوبات وتحسيس المعنيين للبحث عن أفضل الحلول. وهكذا تشهد هذه المرحلة اجتهادات في تيسير النحو بصورة مكثفة، في الوقت الذي فتح ملف تيسير النحو سنة 1934، ولم تعالج القضايا الهامة التي تعطي نظرة أصيلة للنحو مرتبطة بالواقع، بحيث يصبح مؤالفاً لمتطلبات الاستعمال الحديث، وهكذا صرف المجمعيون جهوداً معتبرة في معالجة الطرائق اللغوية المختلفة المعتمدة في المصطلحات اللغوية من خلال الاشتقاق، فكانت قراراتهم في غالبها إيجابية، رُغم بعض المعارضة من قبل صفوي المجمع. ونعلم أنّ المجمعيين في هذه المرحلة قدّموا مقاربات متميّزة، بنظرتهم إلى النحو الذي ينبغي أن يكون معاشاً ويظهر في ثقافتنا، وتزخر به استعمالاتنا، كما يتطلّب الوضع مساندة الواقع بوصف الوضع الحالي؛ أي تشخيص الوضع، ثمّ جمع اللغات المستعملة في المحيط. ولذلك عملوا في مجالات نقد النحو وتصحيح الأساليب ولغة الصحافة، وبعض الأخطاء الشائعة. ومن نافلة القول، فإنّ لجان المجمع قدّمت تفسيرات لغوية ومستندات من الشواهد تدعّم بها هذه التيسيرات، كما وضعوا بعض القوانين على أساس الأساليب لا على أساس العامل. ولو نتصفح كتاب (في أصول اللغة) بأجزائه الثلاثة نجد أنّ كل القضايا اللغوية عولجت، وقدّمت لها حلولاً مبدئية، بعضها بالإلغاء، وبعضها بالجواز، وبعضها بالتقديم، والأخرى بالتأخير، وبعضها يحصل فيها تعديل كلي، والأخرى تعديل جزئي. وأما كتاب (الألفاظ والأساليب) والذي نظرت فيه لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب، وعرض على مجلس المجمع

ومؤتمره ومّر على كثير من مراحل التصفية، وقد حويا أساليب قديمة وعصرية، وبُنيت على أنماط مستحسنة.

3.3. التيسيرات المجمعية : لا أريد أن أعالج كل القرارات التي نصّت عليها دورات المجمع، وما أوصت به مؤتمرات التعريب ومؤتمرات اتحاد الجامعات العربية، والندوات العلمية المتخصصة، فهي أكثر من أن تسعها هذه المقالة، بل أركّز على جملة المقترحات المجمعية، وآراء بعض المجمعيين الذين سجّلوا حضوراً أكاديمياً في مسائل التيسير النّحوي.

لقد عالج المجمع المصري سنة 1934 قضية تيسير النّحو، لكنّه تركها لغزاً، وأبى أن يفصل فيها باعتبارها تمسّ جوهر اللغة الذي لا يجب أن يمسّ، ومن هنا أخذت بعداً آخر بين معارض ومؤيد للتيسير، وكأنّها بيضة الديك، فظهرت صعوبة البتّ في هذه المسألة باعتبار النّحو يلعب دوراً رئيساً في تعلّم اللغة وضبطها، وهو صورة اللغة، وصعوبته تعود إلى صعوبة اللغة، ومن هنا لم يقفوا على أشياء هامة، كما لم يفرّقوا في المرحلة الأولى بين النحو التربوي الذي يوجّه للناشئة، والنّحو المتخصّص الذي يتعلّق بالبحث في أمور اللغة، ولم يفرّقوا كذلك بين بناء النّحو وطريقة تدريسه. وأمام هذه الأمور كان الحديث طويلاً عن العربية ونحوها، فظهر القلق اللغوي والاصطلاحي معاً، كما نعى المثقفون بأنّ سبب خراب الفكر اللغوي يعود إلى النّحوي الذي رصد الظواهر اللغوية لا تقويم ألسنة الناس، واللغة ملك للمبدع، ولذا نقرأ عن عداوة المبدعين للغويين، وبخاصة من وظيفته للمجمعين. ونادى المبدعون بأن يخرج الحوار في اللغة من أبراج المجمع فيكون عاماً؛ لأنّ اللغة ملك للعامة، وهي وضع واستعمال. وفي هذا الاتّجاه عمل المجمع المصري على تقديم

تنازلات لغوية مستفيضة وأحياناً متناسبة مع الوضع الحالي. فالمتصفح لـ (محاضر جلسات المجمع) يجدها كثيرة، والمتتبع لـ (مجموعة القرارات العلمية في ثلاثين عاماً) أو (مجموعة القرارات في خمسين عاماً) يذهل من ذلك الثقل الذي رماه المجمعيون في التيسير النحوي. وهذا بعد الدراسات العلمية التي أخرجوها في مجلة المجمع؛ والتي تشير إلى ما علق بالتراث النحوي من تعليقات واهية لا يسندها قانون لغوي، والإشارة إلى بعض التفسيرات الخاطئة، وتحمل أفكاراً وأوهاماً فردية لا تستند إلى دليل، وكذا قياس التوهم. فمن الضروري - في رأيهم - تبسيط كثير من قضايا النحو خاصة النحو التربوي (المدرسي) فركّزوا على قضايا الإعراب، وأخرجوا مجموعة من القرارات، ونشير إلى بعضها :

- 1- وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديري في الأسماء المقصورة والمنقوصة والمضاف إلى ياء المتكلم والإعراب المحلي في الأسماء المبنية.
- 2- وجوب إلغاء ما يسمى بالعلامات الفرعية في الأعراب.
- 3- الاستغناء عن ألقاب البناء والاكتفاء بألقاب الإعراب.
- 4- يعدّل في تسمية ركني الجملة عن الموضوع والمحمول اللذين اقترحتهما اللجنة إلى المسند والمسند إليه.
- 5- ما عدا ركني الجملة والمضاف إليه يسمى تكملة.
- 6- الأخذ برأي اللجنة السالف في إلغاء الضمير المستتر جوازاً ووجوباً، وإلغاء فكرة ضمائر الرفع المتصلة البارزة الدالة على العدد.
- 7- الاتفاق مع اللجنة في أفراد مجموعة من الأساليب وسماها المجمع التراكيب بعرض طرق استعمالها على الناشئة، وعدم التعرّض لتحليلها وطرق

تخريجها، وهي عشرة أبواب : التوكيد/ القسم/ التعجّب/ اسم التفضيل/ نعم
وبئس/ النداء/ الاستغاثة/ الندبة/ الاختصاص/ التحذير والإغراء.

8- الاتّفاق مع اللجنة في حذف الإعلال والإبدال وبيان تنقل الكلمة في موازين مختلفة، تخفيفاً وتيسيراً على الناشئة[□].

ومن هذه المنطلقات الكبرى رغب المجمعيون في أن تقوم الدراسة أولاً على النَّحو التربوي، ليكون وظيفياً ولحلّ أزمة التعليم المدرسي للغتنا القومية، وكذا البحث عن طريقة تجسيد القرارات المجمعية منهجها في التطبيق، فعالجوا بجديّة مسألة تيسير النَّحو والصرف[□]، بالتركيز على :

- 1- تيسير قواعد النَّحو والصرف كما أقرّه المجمع في الدورة الحادية عشرة.
- 2- الرغبة إلى الوزارة في وضع كتاب في النَّحو والصرف.
- 3- تأليف لجنة في المجمع لوضع كتاب النَّحو والصرف.
- 4- تيسير النَّحو كما أقرّه المجمع في الدورة الثالثة والأربعين : الإبقاء على باب كان وأخواتها/ الإبقاء على باب كاد وأخواتها/ وضع باب ظن وأعلم وأرى في باب الفعل المتعدي/ ما ولا ولا ولامات العاملات عمل ليس/ التنازع/ الاشتغال/ التمييز/ التحذير والإغراء والترخيم والاستغاثة والندبة/ إلغاء الإعرابيين التقديري والمحلي/ ألقاب الإعراب

□. شوقي ضيف "محاولات تيسير النَّحو التعليمي قديماً وحديثاً" مجلة الموسم الثقافي الثاني. عمان 1984، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 52-54.

□. ينظر مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً. الباب الرابع (في تيسير النَّحو والصرف والكتابة). القاهرة: 1934-1984 الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ص. 267-

والبناء/ العلامات الأصلية والفرعية للإعراب/ الاستثناء/ أدوات الشرط/ لا سيما/ المفعول المطلق/ المفعول معه/ الحال/ كم الاستفهامية والخبرية/

– تيسير تعليم اللغة العربية (توصيات ندوة الجزائر عام 1976).

– تعليم اللغة العربية في ريع القرن الأخير (توصيات ندوة عمان عام 1978).

ومن وراء هذا فقد قامت فلسفة التيسير عند المجمعيين على هذه النقاط :

1. وضع قواعد مشتركة تقوّم اللسان، والبعد عن كل ما يرمي إلى التوسّع والجواز. وفي هذه النقطة يقع التركيز على الدراسة الخاصة بنظام الجملة، ووظائف الكلمات في داخل الجمل، وعدم الابتعاد عن الواقع اللغوي إلى الافتراض؛ لأنّ نظم الكلّم ليس الأمر فيه كذلك (لا اعتباطية) لأنك تقتفي في معظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتّب المعاني في النفس.

2. إعمال الفكر أساس في صحة الجملة ومقبوليتها ومعقوليتها وموافقته دلالة الحال، وتقوم على رعاية النّحو حفاظاً على الصحة النّحوية والدلالية، أي أن تؤخذ العربية من المنطق الاستعمالي، لأنّها كلية يحكمها منطق، ومن النّصوص والتوظيف، لا من القواعد.

3. التركيز على التراكيب في بداية الدرس النّحوي. وهذا باعتبار التماسك السياقي شرطاً أساسياً بين كل وحدات اللغة المعتمدة على كل ما يحيط بها في السلسلة الكلامية على تتابع أقسامها.

4. الاهتمام بالأساليب، مثلما اهتمّ القدامى بالفروق اللغوية في حديثهم عن الكلام المقبول وعن الحسن وعن الضعيف وعن المردود وعن المهمل، وما يجوز وما ولا

يجوز. واعتماد الأساليب المقبولة لغوياً وحسب السياقات الكلامية، والتي تقبلها الجماعة الناطقة بذات اللغة.

5. عرض المادة التعليمية عرضاً حسناً عصبياً.

6. اعتماد الأمثلة من واقع التلميذ، والابتعاد -قدر المستطاع- عن الشواهد القديمة.

7. إباحة حق الوضع اللغوي للمحدثين، وبخاصة كبار الكتّاب والشعراء والمثقفين ثقافة لغوية[□] وأدبية واسعة.

8. الابتعاد عن الترقيعات ونقل فصول من باب إلى باب.

9. غلق أبواب النحو الأساسي (التربوي) والاتّجاه إلى مشاغل حديثة معاصرة لمجaraة التقدّم العلمي الذي تعيشه اللغات الأجنبية. وفي هذه النقطة يسجل الدكتور طه حسين وقفة عظيمة سنة 1964 ليقول: هناك أمنيّتان أتمناههما مخلصاً. الأولى أن يريحنا المجمع من الضمائر المستترة التي لا معنى لها مطلقاً، وأن يريح المتعلمين من الضمير المستتر وتقديره كذا، كل هذا لا معنى له. الثانية أن يعاد درس النحو بالقياس إلى القرآن الكريم"[□].

ولتحقيق هذه التيسيرات النّحوية في لغتنا العربية، وما دامت هذه اللغة هي الأمة في حالي التقدّم والتأخّر وفي حالي القوة والضعف، وما دامت قواعد اللغة

□. محمد حسن عبد العزيز، الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ط 1. القاهرة: 1992،

دار الفكر العربي، ص. 9.

□. البحوث والمحاضرات التي ألقيت في ذات الدورة، ص. 78.

وقوانينها تمثل جوهر كلامها، فلا عجب أن نجد المجمعين يهتمون بتطوير نحو هذه اللغة، ولكن كل هذا يحتاج إلى:

- إلزامية الأخذ بقرارات المجمع.
- الاتفاق مرة أخرى على طرائق التيسير.
- إعطاء صفة القيام بالتيسير لمؤسسة مجتمعية عربية واحدة.

4. دعاة التيسير النحوي : ليس القصد هنا الادلال بجهد عالم ما، بقدر ما أبتغي التنويه بعمل بعض المجمعين الذين كانت نظراتهم إيجابية تجاه التيسير النحوي:

1.4. أحمد عبد الستار الجواري : هذا العالم الذي أَلّف كتاباً في تيسير النّحو، وعنوانه (نحو التيسير) وأخرجه في العراق 1962 وطرح فيه إصلاح الدراسات اللغوية، وإعادة الحياة إلى النّحو الذي سلبته الكتب المتأخرة جماله. فيرى "إنّ دراسة العربية لغة ونحواً، في ما وقع لها من مصطلحات تحتاج إلى شيء من معاودة النظر فيها وتحريك ما استقر منها في الأذهان والأفهام، حتى تعرف حقيقة ذلك الاستقرار"[□]. ويعود ليقول إنّ صعوبة النّحو تكمن في ابتعادنا عن أصول العربية، وإهمالنا للتحليل اللغوي المتمثل في معاني النّحو التي اهتمّ بها الأوائل، لكنّه يقرّ بأنّ الصعوبة في النّحو تكمن في الشواهد والأمثلة التي يؤيد بها النّحاة قواعدهم ويبررون تمحّلاتهم في كثير من الأحيان. وفي مجال التيسير يأخذ المسألة بحذر، ويعتبر النّحاة رقباء على اللغة، فيرى بأنّ التيسير المرغوب هو الذي يظهر في

□. أحمد عبد الستار الجواري "الوصف نظرة أخرى في قضايا النّحو العربي" مجلة المجمع العلمي العراقي. بغداد 1982 الجزء الرابع، المجلد الثالث والثلاثون، ص. 41.

كتب التدريس فقط، ولا يجب أن يكون اختصاراً، ولقد سبق أن حصلت التيسيرات على مستوى قراءة القرآن على لغات القبائل، وهناك أوجه الاختلاف بين القراءات التي هي صورة من صور التسهيل، وهي أقوى من تراث الشعر، وباب من أبواب التيسير والتوسعة، فما الخلل أن تصحح العربية بالقرآن؟ ونجد نفس الأفكار تقريباً عند المجمع محمد حسن آل ياسين في كتابه مسائل لغوية في مذكرات مجعية[□].

2.4. أحمد شوقي عبد السلام ضيف: لقد تحدّث شوق ضيف عن وضع المختصرات النّحوية، وعن ثورة ابن مضاء، ثمّ عرج على محاولة إبراهيم مصطفى في إحياء النّحو[□] وانتقدها نقداً لازعاً، ثمّ تحدث عن مقترحات لجنة وزارة التربية والتعليم سنة 1938، وقرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية لسنة 1945م. ونظر إلى النّحو في صيغته التعليمية[□]، ورأى ضرورة تيسيره⁴ وإعادة تصنيفه. فتيسير النّحو عنده يمرّ بتيسير اللغة؛ لأنّ النّحو هو اللغة، ومن هنا ألف كتاباً حوى هذه الأفكار،

□. محمد حسن آل ياسين، بغداد 1992، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

□. ينظر: محمد المختار ولد أباه، تاريخ النّحو في المشرق والمغرب. الرباط: 1996، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص. 566.

3. أوكدّ هنا الصور التيسيرية التي أكدّها في أكثر من موقع، وهي ستة صور: أولها تنسيق النّحو تنسيقاً جديداً، بحيث تلغى طائفة من أبوابه الفرعية مع ردّ أمثلتها إلى أبوابه الأصلية. وثانيهما إلغاء الإعراب التقديري والمحلي. وثالثهما أن لا يشغل الناشئة بإعراب كلمة لا يفيدها إعرابها لها أي فائدة في صحة النطق بها. ورابعها وضع تعريفات وضوابط دقيقة لبعض أبواب النّحو التي يعسر على الناشئة فهمها فهماً سليماً. وخامسها حذف زوائد كثيرة لأبواب لا تمسّ إليها حاجة. وسادسها إضافات جديدة ضرورية تتمثل الصياغة العربية تمثلاً دقيقاً.

□. ينظر مجلات مجمع اللغة العربية: العدد 41 = الفصحى المعاصرة/ العدد 45 = لغة المسرح بين الفصحى والعامية/ العدد 47 = تيسير النّحو.

وهو تيسيرات لغوية ، كما قدّم عدة مذكرات في عدد من المسائل اللغوية وأخرجها في كتاب (مسائل لغوية) وساهم بجهود معتبرة في لجنة الأصول ولجنة اللغة العربية في مجمع مصر باعتبارهما تهتمان بتقعيد القواعد والفتوى في الصحيح والغلط من الصيغ والتراكيب والألفاظ المتداولة بين الناس ، كما قدّم مشروع تيسير النحو لتعليم النحو للناشئة ، فأقرته اللجنة وعرضته على مجلس المجمع ومؤتمره اللذين وافقا على معظم بنوده[□]. وفي كتابه : تجديد النحو تحدّث عن أسس تجديد النحو في الأقسام الستة التي حواها الكتاب ، فلم يترك باباً إلا وعالجها ، فكتابه بحقّ كتاب مدرسي يجدر أن ينال موقعاً في منظوماتنا التربوية. وفي كتابه : تيسيرات نحوية نجده يعمل في الاتجاه الذي يقوم على :

1- تصحيح بعض القواعد.

2- صيغ وتعبيرات صحيحة.

3- تسويغ ألفاظ دارجة.

وعلى العموم فإنّ التيسير النحوي الذي دعا إليه شوقي ضيف يعتمد الأسس

التالية :

1- تصنيف النحو تصنيفاً جديداً تنسّق أبوابه بحيث تتمكّن الناشئة

من استيعابه وتمثّله.

2- إلغاء الإعرابين المحلي والتقديري في المفردات والجمل ، كما اقترح

المجمع واللجنة الوزارية.

□. محمد مهدي علام ، المجمعيون في خمسين عاماً. القاهرة : 1986 ، الهيئة العامة لشئون

3- أن لا تعرب كلمة في الصيغ والجمل ما دام إعرابها لا يفيد في صحة النطق وسلامته.

4- وضع ضوابط دقيقة لبعض الأبواب النّحوية □.

- الحذف من الكتب التعليمية إعراب أيّ كلمة لا يفيد إعرابها أي فائدة في صحة نطقها وسلامته على نحو ما يتّضح في بعض أدوات الاستثناء وأدوات الشرط الاسمية واسم الاستفهام والخبرية ولا سيّما □.

وفي مواقع أخرى نجده يؤكد على ضرورة وضع أسس للنّحو التعليمي، ويقدم ستّة ملاحظات في هذا المجال وهي :

1- تنسيق جديد لأبواب النّحو يلغي منه ثمانية عشر باباً تُرهق الناشئة وتوهن قواها العقلية.

2- الاستضاءة بآراء ابن مضاء وبمقترحات لجنة وزارة التربية والتعليم وبقرارات مجمع اللغة العربية.

3- إلغاء الإعراب وكل ما لا يفيد الناشئة صحة في النطق ولا سلامة في الأداء.

4- وضع تعريفات وضوابط لبعض أبواب النّحو المبهمة بحيث تساعد الناشئة على تصوّرها تصوّراً دقيقاً.

5- حذف زوائد كثيرة من شأنها أن تعقد النّحو وتجعل الناشئة تحس في تمثله غير قليل من العسر والصعوبة.

-
- . محمد المختار ولد أباه، تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب. الرباط : 1996، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص. 568-569.
- . شوقي ضيف "تيسير النّحو" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1981، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء السابع والأربعون، ص. 114.

6- زيادات إضافات ضرورية في النحو للناشئة حتى تتمثل أوضاع الصياغة العربية تمثلاً سديداً □.

وفي الأخير كان مقتنعاً بأن التيسير النحوي أكثر من ضرورة. ففي محاضرة له برحاب مجمع اللغة العربية الأردني قال : اقتنعت بمحاولة تيسير النحو الجديدة التي عرضتها على حضراتكم، ولا ريب في أن الباب سيظل مفتوحاً لمحاولات أخرى قد تكون أكثر دقة وفائدة في تيسير النحو التعليمي للناشئة. كما ظلّ مفتوحاً - أكثر من ألف عام- أمام الأسلاف لرسم الصورة المثلى لاختصار هذا النحو وتبسيطه □.

3.4. عبد الكريم خليفة : يرى هذا المجمع أن أسباب تعقد النحو بدأ منذ ظهور الموسوعات والمنظومات وكتب العلة، وظهرت انحرافات خارجة عن سنن الفصاحة، فينذهل من تلك الزوائد التي حوتها كتب النحو من فروع وتفصيلات واستثناءات، وخلوه من الاستقراء الكامل، أي اقتصره على ستّ قبائل دون غيرها، وقد فوّت على العربية الشيء الكثير من كلام العرب، كما يحول دون محاكاة الفصاحة، ويبعث على الإعجاب، كما ينصّ على أن النحو تسلّطت عليه مناهج ليست من بيئته فزادت عسرته، ومن هنا يؤلف كتاباً بعنوان : تيسير العربية بين القديم والحديث طارحاً وجهة رأيه في التيسير النحوي الذي يقوم على :

- إمكانية إضافة أشياء أخرى للنحو.

1. شوقي ضيف "محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً" مجلة الموسم الثقافي الثاني. الأردن: 1984، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 61-66.
2. شوقي ضيف "محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً" مجلة الموسم الثقافي الثاني. الأردن: 1984، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 67.

– عرض النَّحو عرضاً حديثاً مبنياً على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة.
 – التدرّج في العرض، ويستشهد بقول الجاحظ في "أن لا يجب أن ينشغل قلب الصبي إلا بمقدار ما يؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وعويص النَّحو لا يجدي في المعاملات ولا يضطر إليه في شيء".

– هناك قرارات عدة في تيسير النَّحو للناشئة، لو أخذ بها في كتب التعليم لحلّت صعوبات النَّحو.

– رسم العدّة والعتاد لكتب النَّحو التعليمي، بحيث ينبغي أن تنسّق تنسيقاً جديداً تُحذف منه بعض الأبواب الفرعية.

– إدخال الأصوات الأجنبية من الضرورة بمكان، وقد عرض لها سيبويه في قوله: "فالبديل مطّرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدّل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية"[□].

– لا بدّ من تصفية النَّحو وتنقيته.

كما يركّز الأستاذ عبد الكريم خليفة على المعلم، فيرى أنّ العقدة في عدم تلمّس الدواء للنَّحو لا تكمن في اللغة، بل في معلم هذه اللغة؛ هذا المعلم الذي يفصل بين المادة النَّحوية وبين معناها، فيعطي أمثلة من بعض المرفوعات، فمثلاً تعليم نائب

□. عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط1. عمان 1986، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

الفاعل، مسألة نحوية. أما لماذا تصرف البنية النظر عن الفاعل وتأتي بما يقوم مقامه، فهذا من علم المعاني، كما أن رفع المبتدأ ورفع الخبر مسألة نحوية، وأما دواعي التقديم والتأخير فيدخل في باب المعاني. ونتيجة للعزل الشاذ بين الإعراب والمعنى، كان سبباً في الصنعة النحوية، وهي لا تكسب التلميذ الملكة اللغوية المرهونة بالوقوف على أساليب راقية. وينتقد في أكثر من موضع منهجية المعلم الذي لا يعلم أغراض النحو، بل فلسفة النحو، مثل المبني للمجهول، فكيف نقنع التلميذ بأن فُتِحَ البابُ. البابُ : نائب فاعل مبني للمجهول، وهو مفعول به، وحلّ محلّ الفاعل الذي اختفى لغرض من الأغراض.

وهكذا يطرح هذا المجمع جملة القضايا التي تلقي أضواء كاشفة على زوايا مجهولة في النحو العربي ويقترح بديلاً نوعياً في مجال التيسير، وهذا بعد تصفيته من الشوائب التي علقته به، وكأنني به يزكي قول رمضان عبد التواب : أما آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوي من هذه الشوائب. وهو الذي يعزي صعوبة النحو إلى :

1. عرض المادة بطرائق مختلفة.
2. قصور المعاجم في الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً.
3. التضخم الملحوظ في المؤلفات المتأخرة[□].

□. رمضان عبد التواب "تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة 1983، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء الثاني والخمسون، ص. 35-

4.4. محمد شوقي أمين : إنّ هذا المجمعي تشهد عليه كتبه : أسرار العربية/ السماع والقياس ، كما يشهد له نشاطه العلمي ومساهمته الكبيرة في لجنّتي الأصول والألفاظ والأساليب سواء بمتابعة أعمالهما أو بالمذكرات العلمية في تسويغ الألفاظ والأساليب الشائعة على أقلام الكتّاب المحدثين. ومن خلال كل ذلك كان يركّز جهوده النّحوية في مجال النّحو التعليمي ، باعتبار الخلل يكمن في المادة التعليمية ، أو في المتلقي ، أو في المدرس ، أو في المنهجية. ولكنّه يعطي طرائق التدريس أهمية كبرى ؛ فإنّها ما تزال بالية تعتمد الحفظ، ولا تركّز على التراكيب وأمثلتها لم تخرج عن ضرب موسى عيسى ، بعيدة عن الواقع ، وكيف يمكن أن يكون اللسان العربي حياً في الوطن العربي ، متفتحاً على اللغات متطلعاً إلى بناء حاضره ومستقبله ، ونحن نتقيّد بالنموذج القديم... ويعرض مجموعة من القضايا ذات الصلة بالموضوع ، من مثل الاعتماد على المادة الأولى (المادة المعجمية) للنّحو التعليمي لا عموم النّحو ، ثمّ يطرح فكرة تدوين وتقنين ما هو جارٍ في الاستعمال بعد تهذيبه ، ويطرح سؤالاً : ماذا نفيد من إيثار المذهب الكوفي؟ فيجيب إنّنا نختصر باباً طويلاً عريضاً من أبواب النّحو يعاني المتعلمون في دراسته جهداً ، وينفقون في استيعابه وقتاً[□] فنراه ينحو منحى المذهب الكوفي الميسّر ، ويقترح بأن يغلق باب كان وأخواتها ، ويلغى الإعراب التقديري للمنقوص والمقصور والإعراب المحلي ، والعلامات الإعرابية الفرعية وإلغاء الإعراب التقديري للمضاف إلى ياء المتكلم.

□. محمد شوقي أمين ، مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة 1977 ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الجزء الأربعون ، ص. 38.

ولهذا العالم نظرات حديثة في مجال ربط النَّحو باللسانيات التي لا يستغني عنها طالب النَّحو، وخاصة المدرس؛ فعليه أن يعرف علاقات الاشتقاق والتداخل الصرفي والتطور اللغوي، ومدى إسهام النظريات اللغوية في تطوير النَّحو، وفي وضع قاعدة بيانات، وتخزين النصوص الفعلية التي تمثل اللغة الأصلية. ويؤكد في أكثر من موقع على أن تكوين المعلم بصورة جيدة يستطيع أن يدرك ذلك ويتمثله في ذهنه.

ومع كل ما قدم في مجال القرارات والآراء الفردية والمشجعة في الآن نفسه، فإنَّ المشكل قائم، بل يزداد حدة، فلم تستطع هذه الاجتهادات القضاء على الخطأ في أداء اللغة لدى المتعلمين "عدم قدرة الدارسين على الاستخدام الصحيح للعربية من حيث بنية الكلمة وتركيب الجملة وقواعد الإملاء"¹. ولم تستطع المؤسسات العلمية الأخرى التي أوجدت لتعليم العربية لغير الناطقين بها² الحد من ظاهرة الخطأ وتبليغ العربية سليمة لغير أهلها. والأدهى من كل هذا أننا في عصر التحديتات، وكيف بالعربية - وهي لغتنا ولغة حضارتنا - أن تعيش هذه التحديتات وتفرض خصوصياتها، وهل بإمكانها توفير الأمن اللغوي بالقرارات والاجتهادات التنظيرية التي لا تجد أرضاً للتطبيق، أما كفانا قراراتٍ وكتب النَّحو!

5. نقد آراء المجمع التيسيرية : يصعب عليّ نقد ما قرره المجمعيون وفصلوا فيه، ولكن هناك أفكار يجب التعرّض لها في نقاط التيسير النَّحوي، علماً أن بعضاً من المجمعيين لم يرضوا بتلك التيسيرات المفرطة، ولم يقبلوا بذلك التسامح اللغوي

□. زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي. الأردن 200، مؤسسة الوراق، ص. 74.

□. نشير إلى : معهد الخرطوم الدولي بالسودان/ معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالسعودية/ معهد تعلّم العربية بجامعة ابن سعود الإسلامية بالسعودية/ مركز تعليم الكبار في (سرس الليان) بمصر/ معهد بورقيبة للغات بتونس...

والجواز النحوي، واعتبروه إسرافاً، وأعلنوا عدم التزامهم بها، وهنا نعلم أنّ جهودات معتبرة اصطدمت بعقبات تقليدية، ومجهودات أخرى أراها دعوات في وادٍ لأنّها لم تلقَ الصدى في المؤلفات المدرسية. ومن هنا رأيت أن أوضح بعض النقاط التي أخلّت بالأداء العلمي لمهام المجمع.

1.5. مسألة القرارات المجمعية : ما لوحظ على المجمع اللغوي المصري أنّه أسرف في التساهل في كثير من قضايا النحو العربي، فانتقل من نقيض لآخر لدرجة التسيّب، وما ينعى على المجمعين أنّهم بعيدون عن لغة العامة، فلقد كانوا منغلقيين على أنفسهم وفي أبراجهم، حتى تناول عليهم المختصون، ورأوا البون شاسعاً بين ما يقرّرون وبين المحيط، فنزلوا نزلة شاقولية بتيسيرات واهية أحياناً، فأصبحوا غير متشددين، وعملوا بطرائق الجواز والتعديل، والإضافة، ومكّنوا الذوق أحياناً، ورخصوا قضايا لغوية كان يجب التحرّز منها. فما أحوجنا إلى قرارات معتدلة لا إسراف فيها، حتى تجد مكاناً للتطبيق لا يخلّ بالأصل، وما كان حتمياً في الماضي قد يصبح حتمياً الآن، مع إجراء بعض من التعديلات البسيطة، وما أحوجنا إلى تبسيط بقدر حاجتنا إلى تطبيق المنهج العلمي ودراسة اللغة ونحوها على أسس سليمة. فبدعوى الترخيص والتيسير لم ينظروا في الحلّ الذي يضمن احترام هذا التراث الذي تراكم عبر خمسة عشر قرناً، والمعطيات العصرية، فكان لا بدّ من التزام الحدّ الأدنى الذي تكون القرارات الصادرة عنه محافظة لأصول اللغة، وإلا تُصبح كلاماً في كلام، وكيف يكون للقرارات دور إذا لم تكن صارمة أحياناً وملزمة !

2.5. أخذ القواعد اللغوية من القرآن فقط، واستبعاد ما دون ذلك: هذا شيء جميل، باعتبار القرآن نزل بلغة العرب جميعها. ولكن إذا أردنا العودة إلى القرآن،

فأيّ قراءة قرآنية تُعتمد، وإذا أردنا اعتماد قراءة ما فنقع أحياناً في الخلط بينها، أضف إلى ذلك إمكانية الاتفاق وهي ضئيلة جداً، فكل متعصب إلى قراءته، و"القراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومجتمعهم في الاهتداء إلى سواء الصراط"□ لا غير. كما أنّ القرآن ليس كتاب لغة هو كتاب تشريع، والقراءة فيه متبعة، تؤخذ رواية وسماعاً لا قياساً وتطبيقاً. فكيف يُطرح مثل هذا الكلام في ذلك المحفل العلمي الذي يجب أن يتفهّم الأمور، فإن كان الأقدمون قد وسّعوا اللغة واستخدموا الكثير من الأساليب، فكيف بالواقع الحالي الذي هو أكثر اضطراباً وتداخلاً، فهل يعقل أن تطغى قراءة ما على القراءات الأخرى، في الوقت الذي نعرف أن أوجه الاختلاف بين القراءات، باب من أبواب التوسعة، واختلاف القراءات وتنوعها حكمة يراد بها التخفيف على الأمة الإسلامية التي كانت أمية في غالبها، واحترام لهجاتها، أو يقصد بها الاختصار، وأحياناً الكشف عن الفروق ولمح دقائقها.

3.5. اشتغال المجمعيين بقضايا قديمة، وبوسائل تقليدية: إنّ المجمعيين لم يتحدثوا في مؤلفاتهم وفي جلساتهم عن النحو المحوسب، كأننا ما نزال نعيش العصور المتأخرة، ونحن في عصر المعلومات التي نحتاج فيها إلى نحو آلي، فتتوقف المعالجة الآلية على تطوير أساليب الصرف والنحو، هذا النحو الذي "يتسم بخصائص عديدة تجعل من أمور معالجته آلياً بواسطة الحاسوب موضوعاً مثيراً على المستوى اللغوي أو المستوى العام".□ كما ينسى المجمعيون أنّ لغتنا الآن لغة عالمية،

□. لطف الإشارات. د. ت، الجزء الأول، ص. 171.

□. نبيل علي "الحاسوب والنحو العربي" مجلة الموسم الثقافي الرابع عشر. عمان 1996، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص. 145.

فما أحوجنا إلى مسaire الواقع مثل اللغات الحيّة، وهذا باعتماد آخر الصيحات في مجال الاتّصال اللغوي. فأين استغلال الوسائل الحديثة في تجديد النّحو؟ وما أحوجنا إلى أن نخوض هذا الميدان، وإنّ عجزنا عن توليد آليات لمعالجة نحونا، يمكن استغلال ما هو متوفّر في اللغات الأجنبية ذات الفصيحة الواحدة.

وهكذا تسعى الأمم الآن إلى مراجعة لغاتها بصورة شاملة، لربطها بتكنولوجيا المعلومات، وتتوثق العلاقة بين اللغة والحاسوب، وتشهد نقلات نوعية، في إطار ما تسعى إليه برامج إشكالية اللغة بكل ما يكتنفها من لبس واستعارة وحذف واقتضاب وإطناب، ونرى لغتنا متخلفة تعجيباً، ومتقدمة تنظيراً، وهذا التخلّف لا محالة سيؤدي إلى انزوائها إلى درجة دنيا، فأين علاقتها بالمنظومة التربوية والثقافية والتكنولوجية، بل الاقتصادية والسياسية ونحن في عصر المواجهة؟ وأين توصيف منظومة النّحو العربي بصورة رسمية Formel وذلك لدخول مصاف العلوم المنضبطة؟ وأين علاقة ربط اللغة بتكنولوجيا المعلومات ؟

4.5. إهمال المجمع للغات الوظيفية: لقد ركّز المجمعيون جهودهم على اللغة الفصحى، وهم يطمحون في تجسيد اللغة السليبية الأدبية نوعاً، وأهملوا الاهتمام بلغة الشارع وبلغة الحقل، وبلغة الورشة، وبلغة الحرف وبلغة أهل الشرطة وبلغة الصحافي... وأين حقّ العامة من السّواد الأعظم من اللغة الوظيفية التي يوظفها يومياً، ألا يحقّ لهذه الطبقات الرقي بلغتها أن تكون لغة الكتابة، وتجسّد اهتماماتها. وأين العمل على الرفع من مستوى هذه اللغات لتكون متقاربة مع الفصحى العصرية. وإنّه لا يمكن أن ننشد الفصحى فزمانها قد ولى، كما ولى انتحاء عصر الفصاحة، فأين نجد السّمت الأعلى للفصحى في هذا العصر؟ وكيف ينسون أنّ هناك مستويين لغويين

في عصر الفصاحة، وهما: المستوى الأفصح أو الترتيلي، ويتواجد في لغة الكتابة، ويستعمل في مواقف الانقباض فقط، وهناك المستوى الأدنى وهو فصيح ويستعمل في مواقف التراخي والألفة وهو الطاغي والأكثر ويستعمل في مواقف الاستثناس[□]. فإذا أراد المجمعيون العودة بنا إلى لغة العصور الأولى فإنهم يبعثون القبض على الريح، ألا يمكن أن يفكروا أولاً في كيفية القضاء على آفة الأمية والعامية[□]. ولهذا أرى أننا بحاجة إلى الأخذ والاستثناس بلغة المحدثين من مبدعين وكتّاب، لأن اللغة تتجدد بما يستعملونه وما يوظفونه من أساليب وألفاظ؛ باعتبارهم يلتصقون من الألفاظ ما لم يكن متوعراً ولا حوشياً، ولا ساقطاً سوقياً. وما أوسع العربية للأديب كي يعبر شعراً أو نثراً، ولكي يغير مفردة بأخرى، أو يطاوع أسلوباً بأسلوب جديد مهذب وسهل. كما أن صفاء اللغة - في الحقيقة - من مهام المبدع قبل النحوي؛ فالنحوي معياري يضع القوانين، لغته محدودة جداً، بينما المبدع لغته متجددة، فما المانع من أن نقيس على لغة المبدعين المعاصرين، وهل اللغة حكر على القدامى، ونحن ليس لنا أن نقول أو نتحدث بلغة تتناسب ومعطياتنا التي لم تكن في عصر الأولين.

6. شيء في قلبي : إن القضية اللغوية قومية فتعني المجتمع العربي في المقام الأول، كما تمسّ المجتمع الإسلامي، ومن هنا فإننا بحاجة إلى جلسة صفاء تطرح فيها القضية دون حساسية وتعالج بجدارة، وليس ذلك بمستحيل إذا عقدت العزيمة. وهكذا فإنه رغم ما رصد لهذه اللغة من مؤسسات لغوية وعلمية، وما ظهر

□. هذا مصطلح أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح.

□. علي النجدي ناصف "آفة الأمية والعامية" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة 1982، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الجزء التاسع والأربعون، ص. 122.

في مجال الحدّ من ظاهرة الخطأ، فالمشكلة تراوح مكانها، ومن هنا تطرح مصداقية هذه اللغة التي تقرب إلى اللغة الميّتة ما دامت لغة الكتابة والقراءة فقط، فهي لغة صناعية إذن، لأنّها ليست لغة الحديث العام. وإنّ غياب الحمام اللغوي (الانغماس) Imerssion يجعلنا نتساءل عن حصول الملكة اللسانية أمام اللهجات التي ترسم مناويل حديثة وعن طريقها يتمّ احتذاء أساليب من صنع العامة تتطوّر، والعربية بعيدة عنها " ... لغتنا القومية مضطربة اضطراب أهليها فكرياً وعلمياً وثقافياً واجتماعياً. فصحي أو فصيحة (لغات العرب) محشورة في ركن ضيق من الساحة اللغوية، وعاميات ذات لهجات ورطانات تسيطر على الجو العام، أو خليط من هذا وذلك [□] وما يلاحظ أنّ القضية أعمق من قواعد النّحو، فهي جزء من المشكلة اللغوية، فهناك صعوبات على مستوى مجارة هذه اللغة للعصر، على مستوى نظام الكتابة والاصطلاح العلمي، والإنتاج المعرفي، واستيعاب تقنيات العصر. دون أن نتغاضى عن النظرة الاجتماعية للفصحى والدعوة إلى التغريب والعاميات التي تجد ساحاتها في كل الأوساط وتتسع على حساب الفصحى، والضعف الذي نشهده يزداد يوماً في تباين هذه اللغة لأهلها، ولغير الناطقين بها. أليست هذه مشكلة جديرة بالتوقّف ملياً لاستخلاص معيقات الأداء!

وإنّ الفصحى لا تُتعلّم من الكتب أو بالتعصّب، بل بالاستعمال، وأسلم طريق إلى تعلّم الفصحى هي الفصحى ذاتها، ويقول ابن خلدون: "وحصول ملكة اللسان العربي إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزّل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط

1. كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم. القاهرة 1999، دار غريب، ص. 8.

عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم¹. فهل يمكن أن نرسم لأولادنا الملكة الصحيحة أمام اللهجات المحلية والتي لم نعمل على الرقي بمستواها، في الوقت الذي نعرف أنّه من الضروري بمكان الاهتمام بهذه اللهجات العربية باعتبارها مستوى من مستويات الفصحى، وقد اختصّت برواية بعض الموضوعات². والمطلوب هو العمل على الحدّ من ظاهرة التباعد بينهما. ولكننا وللأسف نعمل على محاربتها حتى في هذه المؤسسات اللغوية.

ومن هنا نراها لغة دينية غائبة عن تطوّرات العصر ومنتوجاته، تحلينا على الماضي أكثر مما تحلينا على الحاضر، بعيدة عن المستقبل، لغة صناعية، فهي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع ولا يحكمها عملاً. أضف إلى هذا التطوّرات المعاصرة التي نشهدها، والتي يجب أن نعي أنّنا في الألفية الثالثة، لنا ظروفنا التي تختلف عن ظروف أجدادنا في عصور غابرة. وهذا لا يعني التساهل في هذه اللغة

□. ابن خلدون، المقدمة، ط 6. بيروت 1986، دار القلم، ص. 559.

□. مما تذكره الكتب عن الموضوعات التي تختص بها اللهجة: "... وجدنا من العلماء من كان يرى بعض الموضوعات لا تصطلح إلا بالعامية، فما رواه (يوهان فك) أنّه وجد في كتاب (نقد النثر) المنسوب إلى قدامة بن جعفر ت 907م كيف أنّ حكاية النوادر والمضحك ونوادر العوام إذا رويت بلغة معربة بردت وخرجت عن معنى ما أريد لها وخبت حيويتها" ع/ عباس الصوري، في بيداغوجية اللغة العربية (البحث في الأصول). المغرب: 1998، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ص. 92.

كما يروى عن حماد أنّه كان يخالف قواعد اللغة أحياناً، فقليل له لم؟ فأجاب: إني رجل أكلّم العامة، فأكلّم بكلامها" ع/ حسن محمود، اللهجات العامية، لماذا؟. القاهرة: د ت، ص. 25.

ونقلًا عن الجاحظ الذي قال: "إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظاً حسناً، فإنّ ذلك يفسد الإمتاع ويخرجها من صورتها" ع/ عبد العزيز مطر، لحن العامة. القاهرة 1967، دار الكتاب العربي، ص. 40.

التي هي قدرنا ومصيرنا، وهي لغة رائعة، وتعلّقنا بها غير محدود، ولكننا نأسف كل الأسف لتأخرها، وهذا عبر "المجرى الأول هو ظاهرة العجز الشامل في مسألة إتقان اللغة العربية، والمجرى الثاني هو ظاهرة الارتباك اللغوي حتى في أرفع مستويات الإتقان"[□]. وإنّ قصورنا عن إتقان اللغة العربية قضية شائكة، وحلّها يكمن في مجموعة من المعطيات. وليس من الضروري بمكان أن نقدّم كلّ الحلول الآن، بل يمكن تقديم حلول جزئية، وهي أولى خطوات النجاح. وأتحسّر ثانية على هذه اللغة التي ليس لها رب يحميها، ولا عشيرة ترافع عنها، بل إنّ أهلها ضعاف، في بلاد عجاف، فما زالت تطرح فيها قضية النَّحو وبإلحاح؛ فيعني أنّ خلافاً ما يزال يعلق بهذه اللغة، ولذا من الضروري الفصل أولاً في السياسة اللغوية، وإلا ستظلّ الشكوى قائمة وتزداد بروزاً إذا لم تدخل العربية المنظومة الاقتصادية وعالم البنزسة والمال ومجالات الاتّصال.

وأدعو من خلال هذه المداخلة إلى عقد جلسات صفاء عربية لأخذ القرار اللازم بشكل نهائي في مسألة تيسير النَّحو؛ لأنّ المسألة ليست سهلة كما يبدو للبعض، بل إنّ المسألة تكبر يومياً، والشرح بين الفصحى والعامية يزداد، وتحتلّ فيه العاميات موقعاً متميزاً، لأنّ اللغة توظيف، واستعمال في الخطابات المحلية والعائلية، كما أنّ النفور من اللغة الفصحى يبرز، وهذا كلّ في ظلّ غياب الآليات الأساسية لتفعيل مادة النَّحو العربي والقواعد اللغوية الأساس التي يجب أن تلقن، ويركّز فيه على

□. حسام الخطيب، اللغة العربية والمشكل اللغوي. القاهرة 1995، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 17.

الحدّ الأدنى[□] والقاسم المشترك. فالإ متى يبقى أوصياء اللغة يعتمدون المرجعية التاريخية المتشدّدة، وهي لا تعطي خبزاً ولا ماءً.

7. التيسير المقصود : أسجل بكل افتخار بأنّ البدائل المقدّمة في مجال تيسير النّحو ذات نوعية ممتازة، لكنّها لم تنته إلى رأي حاسم أو خط واضح يخلصنا من هذا التلوّث اللغوي، ولم تجد أرضية للتطبيق، فأين المشكل؟ وما هو التيسير المبتغى؟ ومن هنا أتأسّف على تلك الاجتهادات التي لم ترّ النور بحكم التحكّم الفعلي من قبل النّحاة التاريخيين في أنّ كلّ مساس بالنّحو هو مساس باللغة العربية الحاملة للدين، وبالطبع مساس بالقرآن الكريم. فوا أسفاه على الحبّ الذي أعمى محبوبه.

من هنا لست داعياً لموقف، ولا لنظرية جديدة، بل مجرد لمّ آراء اجتهادية حول مسألة تيسير النّحو، فلست أقصد كسر قواعد اللغة، ولن أستطيع ولو أردت، لكنني أطمح أن تستجيب لمعطيننا المعاصرة بفضل ما يمكن تقديمه من إصلاح في نحوها. ولذا أقدم الخطوط العريضة التي أراها تعمل على التيسير المنشود. ولا يعني هذا إلغاء اجتهادات جمهور النّحاة، بل ذلك تراث نفخر به ونتركه للمختصين في الدراسات العليا. إنّ التيسير المنشود - حسب فهمي - يُبنى على :

أولاً : اتّخاذ المنهج الوصفي البعيد عن التأويل والتعليل واللامنطق. وهذا المنهج يراعي المستويات اللغوية وفيها بحاجات التطوّر الجديد، وأقصد هنا : المنهج البنوي

1. أذكر في هذا المجال أنّ لغات لها الحدّ الأدنى من الألفاظ التي تحفظ، وعن طريقها يمكن التحكّم في لغة التواصل بشكل طبيعي. فأذكر كذلك أنّ لغة من اللغات إذا حفظت 3000 لفظة يمكن التحكّم فيها، وأنّ اللغة الكورية إذا حفظت 500 لفظة يمكنك التحكّم فيها بشكل عادي، وهل يمكن أن يحصل هذا في اللغة العربية؟

الوصفي الذي يعمل على وصف اللغة المكتوبة والمنطوق بها وصفاً يتناول الكلمة وصورتها والضوابط التي تظهر في آخرها، بناء على مفاهيم اللسانيات الحديثة. ثانياً : إبطال كثير من المسائل التعليلية المتبعة بكثرة في شروح النّحاة، وخاصة المتأخرين منهم.

ثالثاً : اللغة استعمال، ومن هنا يجب التركيز على المسموع ومحاولة ترقيته، وفقاً لخواص الواقع. أي اكتساب اللغة عن طريق الأداء المنطقي الفعلي. فليس من الخلل الأخذ بالأوزان والقوالب اللغوية الموجودة في اللهجات والقياس عليها، وأقصد هنا ما تواتر منها فقط.

رابعاً : يجب أن يركز الخطاب النّحوي على المسموع؛ أي على المادة لا على الصورة، على المحتوى لا على الشكل، على اللغة لا على القواعد، على البنية العميقة لا على البنية السطحية. ويقع الفرق بين اللغة كنظام مشترك، والاستعمال فردي قد يناله الخطأ.

خامساً : الانتقاء الجيد للمادة المعطاة، وعرضها عرضاً مباشراً بتوظيف طرائق حية فيها مبادئ التعليميات.

سادساً : اعتماد حاجيات المتعلمين وأهدافهم، وإنّ الاحتياجات هي بؤرة حلّ هذه الإشكالية، ومركز الاهتمام في العملية التعليمية، وكذلك لا مانع من اعتماد الطرائق البديلة التي أثبتت فعاليتها في اللغات الأجنبية. وهذا الميدان يميّز بين النّحو التّخصصي والنّحو التربوي. وهذا ما تفرضه تعليميات اللغات Didactique de langues

سابعاً : تدريس النَّحو للمراحل الأولى من التعليم بالعمل على تحديث المفاهيم الإجرائية التربوية، وإعادة النظر في المنطلقات الفلسفية على نحو يعكس الوضع الحالي؛ أي اعتماد طرائق التيسير؛ فالنَّحو ييسر في طرائق تعليمه، والتيسير ضرورة قصوى تستدعيها المعطيات التعليمية التي تعتمد النفعية والسهولة والنجاعة فتيسير النَّحو ليس ترفاً كما يراه بعض الباحثين[□]. كما لا يجب أن يفهم بأن التيسير يعني الاختصار، بل الاختصار يخلّ بالتحصيل، ويفسد عملية التعليم، وهذا ما قام على فعله النَّحاة المتأخرون، فأهلكوا النَّحو.

ثامناً : المقصود من التيسير هو التحليل والتبسيط، وحذف للشروح والتعليقات، وعرض المادة النَّحوية بطريقة تربوية تلائم العمر الزمني والعقلي للمتعلم. فلا بدّ أن يظهر النَّحو التربوي بشكل تدريجي عبر مراحل التعليم بمراعاة الجانب الوظيفي النافع لتقويم اللسان، وهذا يحيلنا إلى العلم بأنّ صناعة العربية ليست من الضرورة بمكان أن يكون لنا علم بالمادة النَّحوية، بل المهمّ هو الاستعمال، والنَّحو الذي يظلّ لصيقاً في أغراض التخاطب اليومي، وعن طريقه يتمّ الاتّصال دون خلل في الأداء، أي أن يكون لنا علم بالمقاييس والقوانين، وأن يتجسّد ذلك في الخطاب اليومي.

تاسعاً : النَّحو المبتغى هو الضروري والذي لا يعني حفظ قواعده وشواذه، فالغرض منه هو الاستعمال والممارسة والتفطنّ إلى خواص تركيبه. وهذا من منطلق أنّ اللغة وضع واستعمال، فما الفائدة إذا وضعنا قواعد ونحن لا نحتذّيها، وما الفائدة

1. هذا ما يراه الأستاذ الباحث محمد صاري. ينظر: تيسير النَّحو، ترف أم ضرورة؟ مجلة الدراسات اللغوية. السعودية 2001، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد الثاني.

من وضع قواعد ولا يمكن تطبيقها! وما الفائدة من حفظ قواعد ويصعب علينا تطبيقها! وما الفائدة من الأعراب الذي لا يحيلني إلى الخطأ أو الصواب! وما الفائدة من زوائد لا يمكن استعمالها حالياً أو لاحقاً! وما الفائدة من التقديرات التي لا تتغير لا من المعنى ولا من المبنى! وما الفائدة من الإظهار أو الاستتار اللذين لا يدخلان في عملية التبليغ! وما الفائدة في النَّحو الذي لا يقوم اعوجاج اللسان !!!

8. اقتراحات

1. جعل سنة 2003 سنة النَّحو العربي. بإقامة تظاهرات علمية في مادة النَّحو العربي، ويكون شعارها: "النَّحو في الكلام كالمح في الطعام".[□]
2. تعمل مديريات التربية في كل ولاية تجسيد هذا الشعار في ذات السنة.
4. تتولَّى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تطبيق هذا الشعار في الجامعات الوطنية، بإقامة تظاهرات علمية تطبيقاً للشعار.
5. نطالب وزارة التربية بتجسيد ما تخرج به هذه الندوة من توصيات في كتبها المدرسية.
6. نناشد المجمع الجزائري للغة العربية العمل على معالجة ظاهرة تيسير النَّحو محلياً وعربياً.
7. نلتمس من التلفزة الوطنية -في كل قنواتها وفي مختلف وسائل الإعلام- التحسيس لهذه القضية، وعلى دعم اللغة العربية البسيطة، أو الوسطى. وذلك عن

□. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط 1969. بيروت ص. 65.

طريق الممارسة اللغوية في الإعلام الثقيل بالخصوص، وفي كل وسائل الاتصال، باعتبار الإعلام يساهم في السيولة اللغوية، وتعويد اللسان على الكلام الطبيعي.

9. يخطط بدقة لموقع اللغة العربية من السياسة اللغوية (الاصلاحات المتتالية) بالتركيز على إعداد معلم العربية على ضوء النظريات اللسانية التربوية الحديثة.

10. فتح مشاريع البحوث في مجال التيسير التّحوي من قبل الوزارات المعنية، ومديرية البحوث الجامعية.

11. نشر الدراسات التي تيسّر النّحو مادة ومنهجاً، والتركيز على السلامة من الأخطاء اللغوية والنّحوية والصرفية، وما يعني بتطوير الأداء اللغوي، بمراعاة التجديد في نطاق يضيف إلى اللغة آفاقاً أخرى.

التهيئة اللغوية للنحت في العربية

د. عبد الجليل مرتاض
أستاذ بجامعة تلمسان

كم أنا معجب بقول دي سوسور بأن "كل تعريف لكلمة ما باطل، كما أن المنهج الذي ينطلق من الكلمات لتحديد الأشياء لهو خاطئ" [□] أجل، هذا قول مصيب، لكنه في نظرنا سيظل حلما منهجيا لن يتحقق خارج الكلمة، مادام كل مصطلح إلا وينطلق من كلمة وفقا لمعايير قواعد اللغة.

ومع ذلك، فإن معاجمنا العربية القديمة لا تتوسع كثيرا في مشتقات كلمة "النحت"، ولا تشير أية إشارة إلى هذه الكلمة، ما أصبحت تدل عليه فيما بعد كمصطلح لغوي يدل على اختزال كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة قد تكون اسما وقد تكون فعلا، وقد لا يكون هذا الاسم جامدا، وقد يكون متصرفا، كما سنشير إلى هذا لاحقا.

إن كلمة "النحت" أخذت من مادة نحت نحتنا الشيء إذا براه بربا مثل بري القصبه أو القلم وما يتطاير من عملية النحت أو البري يسمى نحاته أو بُراية، وآلة النحت تسمى المنحاة مثلما تسمى آلة البري مبراة ومادة "نحت" تتقاطع دلاليا بشكل من الأشكال مع مادتي "نأت" و"نهت" [□].

وانطلاقا من دلالة "نحت" يمكن أن نطلق على كل ما يلفظ أو يهمل من أصوات أو مقاطع أو كلمات خلال عملية "النحت" مصطلح "النحاتة" ف "حوقل" المنحوتة من جملة "لا حول ولا قوة إلا بالله" يمكن اعتبار : لا، و، لا، قوة، إلا،

□. محاضرات في الألسنية العامة، ص. 26، ف، دي سوسور، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ط 1984 دار نعمان للثقافة، بيروت.

□. راجع معاني هذه المواد الثلاث في الصحاح : 268/1 - 269، ط 1979/2، دار العلم للملايين، بيروت، وقارن بلسان العرب 403/2 لابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

بالله، عبارة عن "نحاتة" حتى نفرق بين ما يثبت في الصيغة المنحوتة، وبين ما يهمل في الجملة الأصلية التي نحتت منها الصيغة الجديدة.

2. النحت مصطلحا؟

وأما النحت مصطلحا فهو عبارة عن توليد كلمة أو نحتها من تركيب لغوي للدلالة بها على كلمة جديدة واشتقاق مشتقات منها وفق ما يسمح به النظام اللغوي المعتاد في العربية، واللفظة المنحوتة قد تسمى مستحدثة أو مولدة NEOLOGISME أو النحت اصطلاحا "انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه. وقد نحت القدماء من الجملة فاشتهر من منحوتاتهم قولهم : حمدل حمدلة من الحمد لله، وبسمل من بسم الله، وسبحل سبحلة من سبحان الله، وحسبل حسبلة من حسبي الله، وجعفد من جعلت فداك، ودمعز من أدام الله عزه، وحولق، من لا حول ولا قوة إلا بالله، وطلبق من أطال بقاءك، ومشكن من ما شاء الله" □، أو النحت نزع حرف " أو حروف من كلمتين متمايزتين أو أكثر من ناحية المعنى للدلالة على معنى جديد" □.

وقال ابن فارس بأن العرب "تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار" □ مثل عبشمي منسوب إلى اسمين (عبد شمس) وروى الخليل بيتا شعريا قديما يدل على أن النحت تابع كغيره من القواعد الأخرى من اللغة الشفوية □ :

□. مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) مجلد 34، ج 4، سنة 1959، ص. 545.

□. ظاهرة الاشتقاق في اللغة العبية، ص. 357، طنطاوي محمد دراز، ط 1986 مطبعة عابدين - القاهرة.

□. الصاحبي في فقه اللغة، ص. 271 لابن فارس، تحقيق مصطفى الشويبي، ط 1963 مؤسسة بدران، بيروت.

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيعلة المنادي ؟

حيث نحت الشاعر سليقيا الحيعلة على وزن فعلة من قول المؤذن "حي على الصلاة، حي على الفلاح" وإن اكتفى بنحت الحيعلة من اسم (حيّ) وحرف جر (على) لأن المرأة التي خاطبها الشاعر تدرك بالجزء ما قصد إليه من معنى.

وقال شاعر آخر (عَبْدُ يَعُوثَ) □ :

وتضحك مني شيخة عشمية كأن لم تر قلبي أسيرا
يمانيا

3. هل وجد النحت مصطلحا لدى النحاة المتقدمين ؟

ومما راعى انتباهنا، ونحن نبحث في ظهور مصطلح النحت في علوم اللغة العربية أن هذا المصطلح لم يتواجد صراحة بهذا الاسم لدى النحاة المتقدمين، حتى وإن كانوا عالجه لغويا ومهدوا به الطريق لمن جاء بعدهم من المتأخرين، وهذا دون أن نتجاهل ما أصله الخليل بن أحمد لهذه الظاهرة في كتابه "العين" ولكنه لم يفرد عندهم بباب مستقل أسوة بالأبواب اللغوية الأخرى.

مع أن اللغة الشفوية عند العرب، قبل التهيئة اللغوية، عرفت كلمات نحوية لا يتطرق الشك إلى ذهن دارس من أن العرب كانوا يعرفون هذه الأنماط اللغوية في عاداتهم الخطابية سليقة، وقلتها عندهم، في نظرنا، ترجع إلى قلة الاحتياج إليها لأن هذا النمط اللغوي قد يكون نشأ عندهم لإرادة الإيجاز والإشارة الخفيفة في

□. نفسه، ص. 271.

□. مغني اللبيب 277/1 ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

الخطاب، وليس لحافز اضطراري لغوي صرف، ومن هنا نجد اللغويين المبكرين تغاضوا عن هذا الباب، ولم يعقدوا له دراسة مستقلة ولا حتى عنوانا دالا عليه.

4. فكرة النحت عند سيبويه

وبرجعنا اليوم إلى تصفح كتاب سيبويه، وهو أول سجل قواعدي علمي شامل للعربية، لا نجد ذكرا صريحا لكلمة "النحت" فيه. ولكن الرجل يذكر كلمات وقوالب من المركبات والجمل لا تبتعد عن مجال النحت، غير أنه لا يذكر شيئا مستقلا أو مبوبا في النحت نفسه، مثلما فعل ذلك مثلا في الاشتقاق الذي يحوي كتابه منه حيزا كبيرا، بل أشار حتى إلى التعريب وقوانينه ونماذجه عند العرب [□] وهذا إن دل على شيء فعلى عدم اطلاعه على كتاب العين.

أيا كان الأمر، فإن نسا سيبويهيا مثل : "هذا باب الشئيين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر، فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس" [□] لا يبتعد عن معنى النحت، ثم إن عملاء القرن الثاني الهجري ظلوا يعدون المركبات الإسنادية، والإضافية، والعددية، والمزجية شئيين أو اسمين جعلوا اسما واحدا، وهذا ما عادت تقول به المدرسة اللسانية الوظيفية المعاصرة بل في الكتاب نص يشير إشارة واضحة إلى معنى النحت وبعض من قواعده : "وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسما بمنزلة جعفر، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف، كما قالوا : سَبَطْر، فجعلوا فيه حروف السبط إذ كان المعنى واحدا،... فمن ذلك : عبشمي، وعبدري" [□].

□. انظر الكتاب : 303/4 - 307، تحقيق هارن، ط 1975 - الهيئة المصرية للكتاب.

□. الكتاب : 296/3، تحقيق هارون، ط 1973، الهيئة المصرية للكتاب والعيضموز :

العجوز الكبيرة من إنسان وحيوان والعنتريس : الناقة الصلبة الكثيرة اللحم.

□. السابق ص. 376.

وما جعفر إلا فعلل، وتأمل ملاحظته من أن النسب في الإضافة لا بد أن يشتمل على حروف من شقي الاسمين المنحوت منهما كلمة واحدة، فالسبطر من السببط والسببر، وعبدري من عبد الدار، ولكنه لم يحدد قاعدة تحديدا واضحا لهذه الظاهرة أسوة بما حدده من قواعد للعناصر اللغوية الأخرى، وكان علينا أن ننتظر القرن الرابع الهجري لتبعث فكرة النحت على عهد أبي الحسين أحمد بن فارس (308-395 هـ) والتي كان أصلها الخليل بن أحمد بقاعدة تأسيسية لم يحفل بها كثيرا اللغويون اللاحقون[□].

وبشأن التركيب المزجي دائما، فإنه ألمع إلى أن من العرب من يقول : معد يكرب بجعله اسما واحدا دون إضافة، مما جعله يسأل يونس بن حبيب : "هلا صرفوه إذ جعلوه اسما وهو عربي؟"[□] فأجابه يونس : "ليس شيء يجتمع من شيئين فيجعل اسما سمي به واحد إلا لم يصرف"[□].

وعموما، فعلماء هذه الفترة (حتى نهاية ق2 هـ على الأقل) بقدر ما تغاضوا عن تخصيص باب مستقل لموضوع النحت، فإنهم كانوا يعدون بشكل صريح المركبات الإسنادية، والإضافية، والعددية، والمزجية شيئين أو اسمين جعلوا اسما واحدا، وهذا ما تقول به المدرسة اللسانية الوظيفية المعاصرة حيث تعتبر كل تركيب مزجي AMALGAME وحدة دالة واحدة MONEME كقول أندري مارتيني عام 1969 :

□. سنثير هذه المسألة في حينها عند الرجلين لاحقا.

□. نفسه، ص. 297.

□. نفسه، ص. 297.

”كل اندماج Fusion مشكل من مونيمتين أو عدة مونيمات يكون ما أسميه تركيباً مزجياً“[□].

وعليه، إذا أردنا أن نستلهم هذا الدرس اللغوي (النحت) عند علماء القرن الثاني الهجري فعلياً أن نستوحيه من هذه المركبات المشار إليها سابقاً، وأن نلتزمه بالضبط من موضوع النسب الذي سماه سيبيويه باب النسبة، وباب الإضافة[□] مع تحفظنا على نسبة هذه العناوين المحددة بهذه المصطلحات إليه.

ويظهر بشكل خاص، أن الخليل بن أحمد لم تفتته الإشارة إلى طرق موضوع النحت وعلاجه علاجاً علمياً، فكان يقول في الاسميين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلنا اسماً واحداً: ”تلقي الآخر منهما كما تلقي الهاء من حمزة وطلحة؛ لأن طلحة بمنزلة حُزْمُوت“[□] وهذا ما عناه سيبيويه حين أشار إلى أن من كلام العرب أن يجعلوا الشيء كالشيء إذا تشابها في بعض المواضع، ضاربا الأمثلة بنحت الكلمتين المزجيتين، حُزْمُوت، وعبدري من عبد الدار، وسأل الخليل، دون استعمال مصطلح النحت، عن الإضافة إلى رجل اسمه مثلاً اثنا عشر، فوجهه بقوله: ثنوي كقول من قال: بنوي في ابن[□].

وفي الكتاب نص قصير يوحي بشكل واضح إلى النحت وأولية قواعده وبعض نماذجه، وهو يتحدث عن النسب بالإضافة: ”وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسماً

1. Dictionnaire de didactiques 24. R/ Galisson/D.coste Hachette, 1976.

□. انظر الكتاب، 335/3.

□. السابق، ص. 374.

□. راجع المصدر السابق ص. 374.

بمنزلة جعفر، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف كما قالوا سبطر، فجعلوا فيه حروف السبط إذ كان المعنى واحدا، ... فمن ذلك : عبشمي، وعبدري"□ ولكنه لا يعد مثل هذه الظاهرة اللغوية التي عرفت في عهده، لدى الخليل، تحت مصطلح النحت قياسا، وإنما قالوا هذا كما قالوا : علوي من عالية، وزرباني من ربينة، وليس بقياس وإذا سميت رجلا وزينة لم تقل : زباني، ... ولكن تقول في الإضافة إليه، زبني"□ .

5. ملامح نظرية ابن فارس عند سيبويه

وعلى ذكر سيبويه كلمة "سبطر" التي ألمح إلى كون العرب جعلوا فيها حروف السبط لما كان المعنى واحدا، فإنه من الواجب العلمي أن نشير إلى أن الرجل قد سبق بفكرته هذه من تأخر عنه وتبنى مثل هذه الفكرة مذهبا له، كقول ابن فارس : " هذا مذهبا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد : ضِبَطْر من ضبط وضبر، وفي قولهم : صَهْصَلِقْ أنه من صَهَلْ وَصَلَقْ، وفي الصلِّدم أنه من الصلد والصدم"□ .

وهكذا، فإن السبطر التي ذكرها سيبويه قد تكون نحتا لكلمتي : سبط- على وزن تعب أو سهل - وسبر، وجاء في بعض المعاجم أن السبطر هو الماضي الشهم□ والسبر - بكسر السين - الهيئة الحسنة وسبَطَ الشعر سبطا إذ كان مسترسلا، وعلاقة

□. السابق، ص. 376.

□. نفسه، ص. 338.

□. الصاحبى في فقه اللغة، ص. 271.

□. القاموس المحيط : 44/2 الفيروز أبادي، دار الفكر بيروت.

النحت الدلالية غير بعيدة بين الكلمتين، وممن وظف أحد المشتقات القريبة من هذه الكلمة أمرؤ القيس في وصف فرسه □

وإن أعرضت قلت : سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

أي لها ذنب ممتد طويل، وهو لا يشبه سرعة فرسه بسرعة الجرادة وخفتها، بل بالاستواء في الخلق.

6. لماذا أهمل النحاة المتقدمون التهيئة في النحت ؟

إن معالم النحت واشتقاقه، على غير مذهب بعض العلمغيين (علماء اللغة) العرب الذين يرون كل وحدة لغوية زادت على ثلاثة أحرف منحوتة في أكثرها، لقليلة، بل نادرة الوجود في العربية الشفهية الجاهلية، ومن أجل ذلك لم يعره المعلميون العرب المتقدمون أدنى اهتمام في تهيئة قواعد له أسوة بما أنجزوه من تهيئات لغوية أخرى لباقي أبواب قواعد العربية.

ومما تقدم ظهر لنا أن الخليل بن أحمد وسيبويه قد فطنا بشكل من الأشكال إلى مفهوم النحت، وأعطيا بعض النماذج عنه، وأشارا إلى جزء هام من قوانين نحته واشتقاقه دون أن يصرح سيبويه بمصطلحه، مع أنه تلميذا للخليل، وأن هذا الأخير ذكره مصطلحا، كما سنبين لاحقا.

ومما يوجد في هذه الظاهرة من ندرة مبعثرة في نصوص تراثية جاهلية لم يكن بإمكانه أن يشكل عائقا أمام المستعربين الأمر الذي جعل العلمغيين الرواد يهملونه كصناعة لغوية محددة تحديدا علميا واسعا ودقيقا.

□. ديوان امرئ القيس، ص. 166 تحقيق : أبو الفضل إبراهيم، ط : 2، دار المعارف،

وندررة التراكيب النحوية في العربية الجاهلية التي تعد حجة على كل المستويات اللغوية اللاحقة في العهد الإسلامي وما بعده إلى عصرنا هذا ينبئ بوضوح عن استغناء عربية هذه المرحلة عن مثل هذه البيانات النحوية وما يتصل بها من مستويات اشتقاقية قياسية.

7. ظاهرة النحت في العربية الجاهلية؟

وهذه الندررة التي ألمحنا إليها آنفا بالنسبة لظاهرة النحت في العربية الجاهلية لا نعني بها إلا تلك الكلمات المنحوتة من كلمتين فصاعدا إذا كان الأمر يتعلق بأسماء الأعلام، والنبات، والقبائل، وما شاكلها، وإلا فإن هذه الندررة لا معنى لها بالنسبة للوحدات الدالة معنويا، وخاصة بالنسبة لمئات الكلمات المنحوتة، من كل ما زاد على ثلاثة أحرف، إذا تبيننا مذهب من يقول بذلك كابن فارس مثلا.

إن كلمات مثل □ :

– الكعئب (الركب الضخم)، ماذا تفعل هنا في مادة كعب؟

– الكعب والكعبدة (الفسل من الرجال) نفس التساؤل؟

– الكعسب (العدو الشديد) والكعئب (القصير)...

ومن هذه الكلمات التي رتبها المعجميون تحت (كعب) نستطيع أن نشق منها ما نشاء وفق القاعدة اللغوية في العربية.

وصرح سيبيويه أنه سمع العرب يصرفون الرجل المسمى كعسبا، مردفا القول :

”وإنما هو فعل من الكعسبة □ أي أنه منقول من الفعلية، وليست فعل هنا إلا كعب.

ومستبعد جدا أن تكون كلمات الكعثة، والكعدبة والكعسبة والكعنبية من الفعل كعب وحده.

وأما تشكيلها، فيتألف من فعلين ثلاثيين :

- الكعثة ← كعب + كعث

- الكعدبة ← كعب + كعد

- الكعسبة ← كعب + كعس

- الكعنبية ← كعب + كعن

والوحدات الأربع (كعث، كعد، كعس، كعن) ليست مهملة على أنها غير مستعملة في العربية، بل هي موجودة جزئياً بواسطة أصواتها : الثاء، والذال، والسين، والنون، والصوتان الباقيان في كل واحدة منها ثابتان في المادة الأم (كعب) وهنا ينبغي أن نعيد النظر فيما سماه العلميون الرواد مهملاً كلما تعلق الأمر بواقعة لغوية شبيهة بهذه.

وبواسطة الظواهر الثقافية والنسبية والدينية والأحداث التاريخية والابتكارات الفنية والعلمية والتفاعلات الحضارية المتتالية بالنسبة لحياة اللغة العربية، نستطيع أن نجعل مقارنة ليست بعيدة كل البعد عن الصواب المنشود لتحديد كلمات نحتت في العربية الجاهلية، وأخرى نحتت في العربية الإسلامية الجديدة.

8. كلمات منحوتة في العربية الجاهلية

ومن الكلمات التي ترجع إلى العربية الجاهلية بحيث نحتت نحتا سليقيا مثل سائر الظواهر اللغوية الأخرى كالرفع، والنصب، والجر، والمفرد، والمثنى، والجمع، ... وعروض الشعر، ... هذه الكلمات المنحوتة من مركبات عدة :

أ - المركبات الاسمية

- عبشمي ← عبد شمس، ونحتها الأصلي فعلل، أي عبشم

- عبدري ← عبد الدار، ونحتها الأصلي عبدر

- عبشمس ← عب شمس أو حب شمس، وهو ضوءها، على الإبدال

- مرقسي ← امرؤ القيس، ونحتها الأصلي مرقس

- تيملي ← تيم الله، ونحتها الصلي تيمل

ويلاحظ أعلاه أن العرب أضافوا السين إلى عبشمس للتمييز بين نحت عبشم من عبد شمس، ونحت عبشمس وهو ابن زيد مناة بن تميم، وأبو عمرو من نص على أن أصل عبشمس من عب شمس أو حب شمس، بينما ذهب ابن الأعرابي إلى أن اسمه عَبْ شمس بالهمزة[□] كأنهم جعلوه عدلا أي نظيرا للشمس في ضوءها.

وأحسب أن حاجة العرب إلى نسبة شخص إلى قبيلة بعينها، أو إلى جماعة معينة، هي التي فرضت عليهم تهيئة سليقية في خطابهم الشفهي الطبيعي، ولا أدل على ذلك من أن اللغويين الرواد لم يترددوا في وضع هذه الظاهرة (النحت) تحت

□. انظر المزهر : 484/1، السيوطي، تحقيق : جاد المولى، البجاوي، أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة. وقارن بالاشتقاق، ص. 233 لابن دريد، من أن عبشمس هو لعاب الشمس، وهو ما يرى منها مستطيلا في الصيف.

باب النسب ، مثلما نجد في كتاب سيبويه ، وما يدور فيه من محاورات بين مختلف العلميين العرب الذين عادة ما يحيل عليهم سيبويه في هذا الموضوع وغيره .
وهنا ينبغي أن نفرق بين النحت كظاهرة مستقلة لا علاقة لها بما أسماه سيبويه " باب الإضافة " أو " باب النسبة " وبين النسبة كظاهرة أخرى ، لأننا نقول من : "عبشم" عبشمه يعبشمه عبشمه ، وتعبشم يتعبشم تعبشما ، وهو معبشم ومتعبشم (في اسم الفاعل) ،... الخ ، فليست النسبة بالنسبة إلى النحت إلا إحدى هذه الظواهر اللغوية ، حتى وإن كانت ليست من باب المشتقات الشائع حصرها في ست ظواهر بالنسبة للعربية .

ومما يلاحظ أن نحت : عبد + شمس ، تم بأخذ الصوتين الأولين المتتاليين من شقي التركيب (عب + شم = عبشم) في حين أخذ المضاف (تيم) كله ، وأدمج مع صوت واحد (اللام) من المضاف إليه (الله) وإلا صار الاسم الجديد المنحوت على شكل "تيله" وعلى وزن عبشم دائما ، ويبدو أنه لو جاء النحت على الصورة الأخيرة لما كان مردودا ، ولكن أخذ الصوت الأخير من الشق الأول (تيم) أولى من أخذ الصوت الأخير (الهاء) من الشق الثاني (الله) .

ب - النحت من الجمل الفعلية

وللعرب كلمات منحوتة من جمل عدة تتصل بطبيعة خطاباتهم فنحتوها
اختزالا ، مثل قولهم :

← الطبقة أطال الله بقاءك

← الدمغزة أدام الله عزك ، وقال بعض الشعراء □

لا زلت في سعد يدوم ودمعزّه

أي لا زلت في سعد دائم وعز أدامه الله عليك

- الجعفة ← جعلت فداك، ويرى اللغويون أن الجعفة باللام خطأ، لأن الأهمية في النحت عادة ما تقتضي التوازن ما أمكن بين الكلمات المنحوتة، أي اللام يجعل الكلمة المولدة غريبة وبعيدة عن الجملة الفعلية المنحوتة.

- الكبتعة ← كبت (أذل) الله عدوك.

وقريب من هذا، الهرهرة وهو دعاؤك الغنم إلى الماء على عكس البربرة إذا دعوتها إلى العلف : "يقال هرهر بها (الغنم) إذا دعاها إلى الماء، وبربرها إذا دعاها إلى العلف. قال يونس : من هذا قولهم : لا يعرف هرا من بر، أي لا يعرف الهرهرة من البربرة" [□]. ومنه أيضا البأبأة والمأماة، لأن العنبريين (من تميم) كانوا يقولون : "بأبأ الصبي أباه وبأبأه أبوه، إذا قال له، يا بابا، ومأمأ الصبي أمه فهو يمأمئها" [□] وحتى دأداة الصبي إذا سكته تسكيتا، وهذا كله من العربية الجاهلية القديمة وهو أكثر من أن يحصر، لكنه صعب التخريج والتحديد، لكون الجملة الفعلية مصدرة بمسند هو الفعل، وهذا الفعل أحادي الوظيفة، أي لا يخرج عن كونه مسندا في كل حال، فضلا عن كونه لا يقوم حتى بهذه الوظيفة إلا إذا كان مرتبطا إجباريا بمسند إليه.

والكلمات المشار إليها أعلاه ليست مثل الزلزلة، والقلقلة والقعقة، والقطقطة والخخخضة،... وهي مصادر قياسية لأفعال رباعية مجردة أو مزيدة، لأن البأبأة

□. النوادر في اللغة، ص. 251، أبو زيد النصاري، المطبعة الكاتوليكية، 1894.

□. نفسه، ص. 254.

ومثلها المأمة وما اتصل بهما أصلهما جامد، ومثلهما كذلك "البخبخة" من قول العرب : "بَخِ بَخٍ" للدلالة على الرغم من أن هذا التعبير لم يعد مستعملاً في العربية الحديثة، وهذا إحدى ميز وفوائد النحت في تطوير اللغة، لأنه يهددها من الجمود والعجز إلى التفعيل والتحدي لمسيرة عصرها وإثبات وجودها.

ج. النحت من الجمل الاسمية

يظهر أن النحت من الجمل الاسمية في اللغة العربية أكثر غزارة منه في الجمل الفعلية لأن هدف النحت ليس ظاهرة طارئة في حد ذاتها، ولا واقعة لغوية طبيعية، تنتهي بانتهاء توليد الكلمة المنحوتة، بل عملية النحت ما هي إلا وسيلة لما بعدها، وأهمها إمكان المستعمل والمتكلم من اشتقاق ما يحتاج إليه في التعبير عن مقاصد ما كان لها أن تتم لو لا عملية النحت وتأكيداً لهذه الفكرة، فإننا نستبعد ما ارتآه ابن فارس من العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة طلباً للاختصار. وإلا فهل كان بإمكان القائل أن يقول لمخاطبته :

ألم يحزنك "حي على" المنادي

لو لم ينحت الجملة الفعلية ليحولها إلى وحدة اسمية (حيلة)؟ فالنحت، فضلا عن كونه واقعة لغوية ككل الوقائع اللغوية الأخرى فهو يقوم بوظيفة أساسية لا يمكن لأية واقعة لغوية أخرى من غير جنسه أن تنوب منابه أو تغنيها عنه.

وحيث يلجأ الاشتقاقيون إلى نحت كلمة من جملة اسمية أو فعلية، فإنهم لا يفكرون في مرحلة أولى فيما سوف يشتق من الكلمة المنحوتة من مشتقات، لأن المرحلة الثانية هذه من تحصيل الحاصل، أي العبرة أولاً بتوليد كلمة جديدة حسب مقتضيات الاحتياج.

إن المتكلم الذي يريد أن يعبر باسم واحد منحوت من جملة فعلية أو اسمية، يدرك سلفاً أن الاسم المنحوت يساعده في توظيفه بكيفية أفضل وأسرع وأكثر تنوعاً مما لو تحدث بجملة بكاملها، وخاصة أن الاسم متعدد الوظائف خلافاً للفعل، وحين يوظف المستعمل اسماً منحوتاً من جملة فعلية أو اسمية مبتدأً أو فاعلاً أو خبراً أو مفعولاً،... فكأنما يوظف جملة بكاملها.

د - الكلمات المنحوتة من وحدتين

ومر بنا أن الكلمات المنحوتة من فعلين أكثر من أن تحصر إلا بمجلدات مثلما فعل ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة"، ولكننا سننمذج ببعض الكلمات المنحوتة المشتقة من اسمين أو وحدتين لغويتين:

- العَجْمَضَى (نوع من التمر) ← عجم وهو النوى + ضاجم (اسم واد)

- شَقْحَطْب ← شِقْ + حَطْب (الكبش ذو القرون الشبيهة بشق الحطب)

- بلحارث ← بنو الحارث

- بلهجوم ← بنو الهجوم

- بلعنبر ← بنو العنبر

- ويَلْمُه ← أصلها : ويل + أم، أي : ويل لأمه.

وفي التركيب الأخير صرح الخليل أنه مركب من : وَيْ + لأمه[□] واستعمل هذا النحت شاعر متقدم (جبيهاش الأشجعي)[□]

□. الكتاب : 5/3.

□. المفضليات، ص. 168، تحقيق : شاعر وهارون، ط4 - دار المعارف - مصر.

ويلمها كانت غبوقة طارقٍ ترامي به بيدُ الإكَامِ القراوِحُ

– الإمّعة ← إني + معك أن أو إنه + معه ، ...

وهذه التراكيب الاسمية المنحوتة معتمدة على السماع أكثر مما معول فيها على القياس لأنها غير متجانسة في نحتها وفق قواعد صارمة، ولكنها عامل من عوامل تشجيع المستعملين العارفين بخبايا اللغة العربية على المضي قدما في هذا الباب مع تقنيته إلى أبعد ما يمكن من تبسيط وتوحيد بين كل الناحيتين في العربية، ولسنا مندهشين من التفاوتات التي قد تحصل في قواعد النحت، لأن القواعد اللغوية المهيأة بصرامة في العربية لم تخل كلها من شذوذ في القياس والاستعمال والاطراد.

فليس محظورا حظرا فاحشا علينا أن نشق من الكلمات السابقة أفعالا مثل :

– تعجمض أو عجمضة ، ...

– تلهجم أو لهجمه ، ...

– تويلم أو أمعه تمعيها فهو ممعه ، الخ.

9. النحت في العربية الجديدة

وإذا ما انتقلنا من سمات النحت في العربية الجاهلية إلى سمات النحت في العربية الجديدة التي عاصرت مجيء الإسلام ونزول القرآن ووضع العلوم وخاصة القواعد اللغوية، فإننا نكون قد خرجنا من عربية شفوية سليقية كانت القواعد فيها تهيأ بالفطرة والجبلة، ودخلنا عربية بدأت تسجل وتدون باعتماد الكتابة أو مرجعيا تدريجيا، غير أن سمات النحت ظلت واحدة، لأن علماء اللغة المتقدمين أو روادها – كما أشرنا – لم يعيروا هذا الباب كبير اهتمام، على الرغم من شعورهم بوجوده كظاهرة لغوية، ولكنهم صرفوا النظر عنه وكأنهم قدروا أنه من حقول المعاجم

لا من اختصاص القواعد، ونجد هذا التقدير، فيما يبدو، لدى ابن فارس الذي له كلام مستفيض في مقاييس اللغة، ألم يقل مما قال فيه :

" يقال : تبعثق الماء من الحوض : إذا انكسرت منه ناحية فخرج منها، وذلك منحوت من كلمتين : بعق، وبثق، يقال : انبعق الماء : تفتح"[□].

وقال : "بزمخ الرجل : إذا تكبر، وهي منحوتة من قولهم : زمخ إذا شمخ بأنفه، وهو زامخ، ومن قولهم : يزمخ، إذا تقاعس"[□] ونحا نحوه معجميون آخرون كالفيروزأبادي (817 هـ) الذي يستخدم مصطلح "مركب" عوضاً عن المنحوت، فتراه عند حديثه عن الآية الكريمة ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ يقول: "أي قلب ترابها، وأثير ما فيها، ومن رأى أن تركيب الرباعي والخماسي من ثلاثيين نحو: هلل وبسمل، إذا قال : لا إله إلا الله، وبسم الله الرحمن الرحيم، يقول : إن بعثر مركب من بعث وأثير، وهذا غير بعيد عن هذا الحرف، وإن البعثرة يتضمن معنى بعث وأثير"[□] وقال في كلمة " القمطيرير" التي جاءت في القرآن : "والقمطيرير : الشديد كالمطير، كأنه مركب من قمط وقطر أو قمر"[□].

10. الخليل والنحت

-
- . مقاييس اللغة : 330/1.
- . نفسه، ص. 331.
- . بصائر ذوي التمييز : 261/2 للفيروز أبادي نقلاً عن : نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، ص. 22، أحمد عبد المجيد هريدي، ط : 1988 مكتبة الزهراء، القاهرة.
- . نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، ص. 22.

بل ما لنا ولا بن فارس والفيروزأبادي ؟ ألم نجد هذا التقدير صراحة في أول معجم عربي ، أي العين ؟ قال الخليل بن أحمد : "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين ، مثل : حي على ، كقول الشاعر :

ألا ربّ طيف بات منط معانقي إلى أن دعا داعي الفلاح : فحيعلا

يريد "حي على الفلاح" ، أو كما قال الآخر :

فبات خيال طيفك لي إلى أن حيعل الداعي الفلاحا
عنيقا

أو كما قال الثالث :

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي ؟

فهذه كلمة جمعت من "حي" ومن "على" وتقول منه : حيعل يحيعل حيعلة ، وقد أكثر من الحيعلة ، أي : من قول : "حي على" وهذا يشبه قولهم : "تعبشم الرجل وتعبقس ، ورجل عبشمي" إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس ، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة ، واشتقوا فعلا قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترَي قبلي أسيرا

نسبها إلى عبد شمس ، فأخذ العين والباء من عبد ، وأخذ الشين والميم من شمس ، وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا من النحت ، وهو من

الحجة، كقولهم: حيعل حيعلة، فإنها مأخوذة من كلمتين (حي، على) وما وجد من ذلك فهذا بابه"□.

ونص الخليل الذي تعمدنا إيرادَه كاملاً من أول مؤلف لغوي يصلنا، ليدل دلالة قاطعة على أن صاحبه كان مدركاً إدراكاً علمياً لموضوع النحت وطريقة نحته وكيفية اشتقاق ما شئنا منه من مشتقات يمكن استعمالها بطلاقة لتعويض ما تشعر به اللغة من عجز أمام اللغات الأخرى التي تحتوي على آلاف من الكلمات المنحوتة فيها مسaire لعصرها مرحلياً للدلالة على ما يبتكر فيها من إنجازات ثقافية وعلمية لحل مشكل ميلاد المصطلح الذي يولد فيها يومياً بالعشرات أو المئات.

وعليه، فإذا كانت كتب الطبقات تجمع على أن عبد الله بن أبي إسحاق أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل، فإن المقولة نفسها تنطبق على الخليل بن أحمد في باب النحت.

ونلاحظ أن الخليل ركز على ثلاثة نصوص ترجع إلى العربية الإسلامية الجيدة، وعلى نص واحد يعود إلى العربية الجاهلية القديمة، والشاعر الجاهلي (عَبْدُ يَغُوثَ بَنُ وَقَاصٍ) يكون نحت هذه الكلمة (عَبْشَمِيَّة) نحتاً طبيعياً مثلما وظف في نفس القصيدة□ تركيباً مزجياً (حَضْرَمُوت) ممنوعاً من الصرف توظيفاً سليقياً.

□. العين - 68/1 - 69، الخليل بن أحمد، تحقيق، د عبد الله درويش، ط : 1967.

مطبعة العاني - بغداد.

2. انظر المفضليات ص. 157، والبيت :

أَبَا كَرَبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كَلِيهِمَا
وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمُوتَ الْيَمَانِيَا

"التفكيكيةُ بينَ النظريةِ والتطبيقِ :
كانَ ما سوفَ يكونُ... نموذجًا"

د. مهدي أسعد عرار
أستاذ بجامعة بيرزيت بفلسطين

الملخص

ليس المقصدُ المتعينُ من هذا العنوانِ العريضِ تحسُّسَ جميعِ جوانبِ المنهجِ التفكيكيِّ، والمُضيِّ مع أعلامه ونظراتهم، بل هو نظرٌ نقديٌّ تطبيقيٌّ مضامره الأولُ قصيدةٌ "كانَ ما سوفَ يكونُ..." لمحمود درويش والباحثُ - إذ يقاربُ هذه القصيدةَ - يفيءُ إلى استرفادِ أجلى مقولاتِ التفكيكيَّةِ، ليتَّخذها مدخلاً تتأسَّسُ عليه قراءتهُ تلكم ؛ وذلك نحو الحديثِ عن بنيةِ القصيدةِ وتفكيكيِّها، والتناسُّ وتعايشاتِ المعاني، والرمزيَّةِ والإرجاءِ، والِدالِّ العائمِ والمدلولِ المنزلقِ، كلُّ ذلك يُستشرفُ في القصيدةِ من وجهةِ تفكيكيَّةِ.

مقدمة وملاحظٌ أوليةٌ

أفكارٌ تتحاورٌ، ومفكرٌ يقفُ تجاهَ آخرٍ مُحامياً عن وجهةِ نظره، ووجهةِ سببه، ومنهجٌ ينبني على آخرٍ مُستدرِكاً أو مُفنداً أو مُضيفاً، فهاهي التفكيكيةٌ قد تجافتُ عما ذهبتُ إليه البنيويةُ، وأصبح الباحثون يقفون على مناهجٍ متباينةٍ، أو لأقلِّ متقابلةٍ، أما البنيويةُ فهي من محصولِ المفهومِ الألسنيِّ الحديثِ ؛ إذ تتبنى بعضَ النظرياتِ اللغويةِ الحديثةِ، وبخاصةِ آراءِ العالمِ اللغويِّ دي سوسير، كانتفاءِ القولِ بوجودِ مناسبةٍ طبيعيةٍ بين الدالِّ والمدلولِ، فالعلاقةُ بينهما اعتباريةٌ، وتتبنى أيضاً البونَ بين الكلامِ واللغةِ، والافتراقَ في منهجي الدراسةِ : الآنيِّ والتاريخيِّ، والحديثَ عن نظريةِ الفونيم. لقد انطلقتُ هذه المدرسةُ مُعلنةً أنَّ منطلقَها في قراءةِ النصِّ هو البنيةُ، فأصبحوا يتحدثون عن النسقِ والنظامِ، وشبكةِ العلائقِ الداخليةِ التي تلتفُّها بنيةٌ كليةٌ، وهي - البنية - في معناها الواسعِ "طريقةٌ بحثٍ في الواقعِ، ليس في الأشياءِ الفرديةِ، بل في العلاقاتِ بينها" [□]، والمؤلفُ عندهم مستثنى، بل هو ميّت، ولذلك يذهبُ أنصارُ هذه المدرسةِ إلى أنَّ إغلاقَ النصِّ هو السبيلُ الأولى في قراءتهِ، ولكنَّ ما أثقلَ البنيويين أنفسهم تلك المسألةُ التي تقولُ إنَّ النصَّ إنتاجُ ذاتٍ فرديةٍ، وهذه الذاتُ والنصُّ معاً مكتنفتان في زمانٍ ومكانٍ وشروطٍ اجتماعيةٍ محددةٍ، فكيف يتسنى لأنصارِ هذا المذهبِ أن يصلوا إلى اقتناصِ بنيةِ النصِّ متجايفين عن عالمه الخارجيِّ، وكيف يكونُ بمكنتهم أن يقطعوا أنظارهم عن شروطِ إنتاجه ؟ [□]، ومن هذا الشططِ

□. روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة حنا عبود، اتحاد الكتاب العربي، القاهرة، 1984م، 14.

□. انظر : إبراهيم السعافين، نظرية الأدب و مغامرة التجريب، دار الشرق العربية، القدس، 1993م، 9/1، وقد أشار شولز إلى هذه المشكلة، وإلى أن البنيوية تعرضت لهجوم فكري ؛ إذ إنها تأبى أن تقول بوجود عالم ثقافي خلف النص. انظر : البنيوية في الأدب، 21.

والتكليف الظاهرين في إغلاق النص، والحديث عن بنية شاملة، انبثقت حركة نقدية تفند بعض ما تقدم آنفاً[□]، ولذا يمكن القول "إن التفكيكية في جزء منها رد فعل حذر إزاء هذه النزعة في الفكر البنيوي للتخفيف من غلوائها وتوضيح رؤيتها الداخلية بالطريقة المثلى، وبعض من أقوى مقالات جاك ديريدا مكرسة لمهمة تفكيك مفهوم "البناء" التي تخدم تجميد التلاعب بالمعاني في النص"[□]. إن ما تقدم يوحى بأن التفكيكية قائمة على رفض المركز الثابت، والعنصر المسيطر، والثنائيات التي تؤطر للشكل فتجعل له حدوداً ثابتة، فالنص في نظر ديريدا مجموع غير متجانس[□]، وقد تحسس ديريدا جوانب النقد التفكيكي، ؛ إذ إن هناك إمكانات لأن يجد القارئ في النص المقروء ما يساعده على استنطاقه، وجعله يتفكك بنفسه[□]، والذي يهمله في القراءات التي يحاول إقامتها هو نقد يسلب الأضواء على بنية غير متجانسة، على نقد يتغلغل في أعماق التناقضات الداخلية، على نقد يعثر على التوترات، فيقرأ النص من

□. تجدر الإشارة إلى أن عز الدين إسماعيل عمل على تحديد نقاط الارتكاز الأساسية للإستراتيجية النقدية للحدثة، وفي تحديده لهذه النقاط جمع بين البنيوية والتفكيكية في مضمار واحد، "وكأننا نتحدث عنهما كمشروع نقدي واحد، وليس كمشروعين متناقضين يفترقان في الكثير"، انظر: عبد العزيز حمودة، المايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، ع232-1998م، 334. وانظر كلام عز الدين إسماعيل: جدلية الإبداع والموقف النقدي" فصول، م10، ع1-2، القاهرة، 1991م.

□. كريستوفر نورس، التفكيكية: النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الشؤون الثقافية، الثقافة الأجنبية، ع4-1989م، 79.

□. انظر: الاستنطاق والتفكيك، حوار مع جاك ديريدا، أجراه كاظم جهاد، مجلة الكرمل، قبرص، ع17-1985م، 58.

□. انظر: المرجع السابق، 58.

خلالها نفسه ؛ إذ إنَّ فيه قوى متناثرة تُعينُ القارئَ على تقويضه وتجزئته □ ، هذا هو التفكيكُ من منظورٍ ديريدا، فهو حركةٌ بنيانيةٌ وضدَّ البنيانيةِ في الآنِ نفسه □ ، "فنحنُ نفكِّكُ بناءً أو حادثاً مصطنعاً لنبرزَ بنيانه، أو أضلاعه، أو هيكله كما قلتُ، ولكنْ نفكِّكُ في آنٍ معاً البنيةَ الشكليةَ العارضةَ والمخرَّبةَ، البنيةَ التي لا تفسَّرُ شيئاً، فهي ليستُ مركزاً، ولا مبدأً، ولا قوةً" □ .

التفكيكيةُ بين النظرية والتطبيق

لتجلية الحديثِ عن هذا المَطْلَبِ ليس ثمةُ بدءٌ من اجتماعِ نثارِ مقولاتِ التفكيكيين، ولعله من التكريرِ ولكنّه من التذكرةِ أن يُشارَ إلى "المعنى المنزلق" و"عشقِ النصِّ" "وموتِ المؤلفِ" و"التناصِّ" و"نقضِ المركزيةِ" □. إخالُ أنَّ هذه من أجلى المرتكزاتِ التي تقومُ عليها القراءةُ التفكيكيةُ، والذي ينبغي تأسيسُه أولاً هو التجافي

□. انظر : المرجع السابق، 59.

□. انظر : حوار مع جاك ديريدا، أجراه كريستان ديكان، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 18-19، 1989م، 254.

□. المرجع السابق، 254، وقد عرض جوناثان كولر إلى هذا الرأي قائلاً : "تحاول التفكيكيةُ جاهدة أن تظهر أن هذا النوع من معاملة المعنى مقوض بالنظرية التي تعتمد عليه، إن إمكانية القراءة - يقول بول دي مان - لا يمكن أن تكون محمولة على محمل الضمانة، إنها نوع من الفهم الذي لا يمكن أن يلاحظ أو يؤكد أو يفرض". انظر :

J. Culler, On Deconstruction, Theory and Criticism After Structuralism, Routledge and Kegan Paul, London, 1983, p. 224.

4. ومن بواعث تعدد القراءات أيضاً نقض المركزية التي عملت على موت المؤلف، وهدم البنية، فصار القارئ وارثاً شرعياً، بل عاشقاً، وعن أهمية القارئ يقول كولر : "إن الأدب المعاصر يشجع التركيز والاحتفاء بالقارئ ؛ إذ إن كثيراً من العقبات والانتقاع عن الأعمال الأدبية الأخيرة أصبحت سهلة الانقياد، مذعنا للنقاش النقدي، وهذا لم يحدث إلا عندما أصبح القارئ يتعامل مع تلك النصوص وكأنه صاحبها ونصيرها الفعال"، انظر : 38، Culler, On Deconstruction

عن نظريّة الاتصال وعناصرها السّتّة التي تغطّي وظائف اللّغة في هذا المّقام[□] ، فليس ثمّ رسالةٌ موجهةٌ من مُرسِل إلى مُستقبل ، و"على الجملة ، فإنّ الأدب ليس شيئاً آخر سوى تقنيّة الدلالة ، إنّ وجوده كائنٌ في شكله ، وليس في المحتوى أو الرسالة الإيجابية للخطاب : في إنتاجه للمعنى ، وليس في المعنى المنتج . إنّ الكاتب وهو مُغلقٌ في "كيف تكتبُ الكتابة " لا يستطيع أن يُنتج سوى علاماتٍ فارغة ، تاركاً للآخرين مهمّة ملئها ، إنّ مهمّته هي أن يبني الدلالة تقنياً دون أن يعلّق الوصف ، أن يخلق نظاماً من العلامات الداخليّة المركونة فيه ، أي نظاماً من العلامات من طرازٍ مرجعيٍّ خاصٍّ ، لعبة دالّة في المدلول وفي حركةٍ واحدة موضوعيّة ومنتزعة ، مفتوحة ، وموقوفة ، محتنقةٌ في صمتِ الجواب"[□] ، والحديثُ عن ملءِ العلاماتِ الفارغة التي تقدّمت أنفاً وجهٌ من وجوه الحديث عن تعدّد المعاني في النصّ ؛ إذ إنّ الدالّ ينفلت من القيود المعجميّة التي كانت تثقله ، ولعلّ هذا يُفضي إلى الالتباسِ النصّيِّ ، فالأثرُ - فيما يراه بارت - ملتبس ، و "الالتباسُ فيه خالصٌ تماماً ، ومهما يكن مُطنبا ، فهو يتوفّر على شيءٍ من اقتضابِ لغة العرّافين : كلماتٌ مطابقةٌ للقانون الأوّل (إنّ العرّاف لا يهذي أبداً) ومفتوحةٌ مع ذلك أمام معانٍ متعدّدة ، نظراً لأنّ

□. يفرق بعضهم بين الاستدلال والاتصال ، ولزيد بسط القول في هذا المطلب انظر : وليم راي ، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة يوثيل عزيز ، دار المأمون ، بغداد ، 1987م ، 141 .

□. ستيفن دابل لاند ، قراءة لرولان بارت ، مغامرة الدال ، ترجمة أحمد المدني ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ع18-1989م ، 85 .

النطقَ بها قد تمَّ خارجَ كلِّ وضعيّةٍ سوى وضعيّةِ الالتباسِ ذاتِها "□. من هذا كُله يصحُّ اللفظُ سائراً في فضاءٍ لا يُحدِّد، متألِّقاً في حرّيةٍ غيرِ محدّدة، ويتهيأ ليشعَّ "بألفِ علاقةٍ غيرِ أكيدةٍ وممكنة، لقد أُلغيتُ العَلاقاتُ الثابتة...□".

ولعلَّ هذا الذي نحن فيه يقودُ إلى الحديثِ عن "الإرجاءِ"، فالقولُ بتعدّدِ المعاني نابعٌ من ظاهرةٍ تناولِ اللغةِ بقدرٍ كبيرٍ من التشكُّكِ بوصفِها متجافيةً عن التعبيرِ الموضوعيِّ الشفافِ، فاللغةُ عند ديريديا - بجميعِ أنواعِها - لغةٌ استعاريةٌ، ولذلك ينسحبُ هذا التشكُّكُ على التفسيرِ النصِّيِّ نفسه، ثمَّ إنّ النصَّ لا يمثِّلُ بنيةً لغويّةً تخضعُ لتقاليدٍ ثابتةٍ، بل إنَّه يمثِّلُ تركيبةً لغويّةً تعارضُ نفسها من الداخلِ، وتعبُّجٌ بالكسورِ والشروخِ و الفجواتِ على نحوٍ يجعلُ النصَّ قابلاً لتفسيراتٍ وتأويلاتٍ لا مُنتَهَى لها□، ومن مثلِ ذلكِ في القصيدةِ :

رثاءُ القصيدةِ ورثاءُ العلاقاتِ المعجميةِ فيها

ابنُ فلاحينَ من ضلعِ فلسطين
جنوبيِّ

□. رولان بارت، النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، الدار البيضاء، 1985م، 58.

□. رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة نعيم الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق، 1970م، 53.

□. على الرغم من أن المدرسة التفكيكية أصبحت مدرسة رائدة بين المدارس النقدية في الولايات المتحدة إلا أنها تعرضت لهجوم فكري بوصفها فلسفة قائمة على الشك والعبثية اللغوية. لمزيد بسط القول انظر :

شَقِيٌّ مِثْلُ دُورِيٍّ
قَوِيٌّ فَاتِحُ الصَّوْتِ
كَبِيرُ الْقَدَمَيْنِ

لعلّه يحسنُ أن يُبدأً أولاً برثاءِ العلاقاتِ المعجميّةِ بين الدالِّ والمدلولِ قبل أن يُشارَ إلى رثاءِ شاعرٍ شاعراً آخرَ، فالمساءلةُ التي تردُّ على خاطرٍ ههنا ومضمارها تلكم الصفاتُ التي أُسبغتُ على المرثيِّ ودلالاتها التي تومئُ إليها، فما المعنى المتعيّنُ فيها، ثمّ ما معنى "جنوبيّ" ؟ لعلَّ فيها دلالةٌ على المكانِ، أو أنّها تُومئُ إلى أنّه كادحٌ مظلومٌ، "وشقيٌّ مثلُ دوريّ" فالدوريّ دائبٌ التوتّب والحركة، ولعلَّ معناه أنّه دائمٌ التنقلِ، أو أنّه يفتقدُ بيتاً يأويه، أو أنّ حياته متواضعةٌ ليست معقّدةً، وكذلك : "كبيرُ القدمين"، فقد يعني هذا التركيبُ أنّه يتنقلُ كثيراً، أو أنّه فلاحٌ بسطتُ الأرضُ قدميه، وقد يؤدّن هذا - من وجهةِ تفكيكيّةٍ أخرى - بالقولِ إنّ ثمَّ إحساساً بالطبقيّةِ في هذه العبارة، كلُّ هذا المتقدّمِ معانٍ في الذهنِ مُزدحمةٌ، وتبقى الإجابةُ عنها مُعلقةً مُرجأةً إلى أجلٍ إنّي لستُ بالغِ أجله.

عَوْدًا على بَدْءِ هذا النصِّ غيرِ المكتمِلِ في معناه وتشكيله :

في الشارعِ الخامسِ حيّاني. بكى.

مالَ على السورِ الزجاجيِّ. ولا صفصافَ في نيويورك.

أبكاني. أعادَ الماءَ للنهرِ.

شربنا قهوةً. ثمَّ افترقنا في التّواني.

لعلَّ هذا التقديمَ قائمٌ على فهمٍ جديدٍ للعلائقِ اللغويّةِ، فانعدامُ حروفِ العطفِ، والإلحاحُ على الكلامِ الموقوفِ، والجملِ المجتزأةِ المنتهيةِ بنقطة، والتي تعملُ على

انفساخ نسيج التركيب، كل ذلك يصرح أو يلوّح بأن المرثي غريب، وأن هذه الغربة انعكست على واقع اللغة في ذاتها، فتجافت عن حروف العطف لتحذّتنا عن وحشته ووحدته، ومن جهة تفكيكية أخرى، لعلّ شدة التواصل والتلاحم بين الرائي والمرثي أفضت به إلى أن يضربَ صفحاً عن حروف العطف؛ إذ إنّ العطف موجود، والتواصل الروحيّ بينهما قائم، فلماذا نلجأ إلى عطفٍ شكليّ لغويّ. حقاً لقد تناثرت في أروقة النصّ مجموعةٌ من السؤالات التي تُضيء فضاءاتٍ من الحيّرة وتعدّد الإجابات، وتبقى الإجابة عنها مُرجأةً :

فهل في غابة الإسمنت ريشٌ لِحمام

من أين يمر القلب؟!

من يلتقط الحلم الذي يسقط قرب الأوبرا والبنك؟

يُضيفُ ديريدا فكرةً أخرى تلقي الضوءَ على ما تقدّم، فهو يرى أنّ العلامة توضعُ مكانَ الشيءِ نفسه أو الشيءِ الموجود، والشيءُ ههنا هو المعنى والمشارُ إليه، أي: أن تمّ تمثيلاً للموجود (present) في حال غيابه، ولهذا نحن لا نستطيعُ أن نظفرَ بالموجود أو أن نظهره، فعندما ينبري الموجود متوارياً عنّا، فإننا نتكئ على الإشارات (العلامات)، وهكذا تصبحُ العلامةُ وجوداً مُرجأً، أي إنّها ترجئ لحظةَ مواجهةِ الشيءِ نفسه، وهي اللحظة التي يكون بمكنتنا أن نضع أيدينا عليه، أو أن نتلمّسه أو نراه، ولذلك تخلّق عند ديريدا - اعتماداً على ما تقدّم آنفاً - فكرةٌ قائلةٌ "بالاختلاف المُرجأ للإطالة"، وهي فكرةٌ تُؤنّن بالافتراض القبليّ بأنّ العلامة التي

تُرْجى الموجود لا يمكن إدراكها إلا على أساس الموجود الذي تُرْجىه □ ، والنص نفسه قائمٌ على الإرجاء ، فلم يعد النص - كما تقدّم قبلاً وسنتبينُ بعداً - جسداً من الكتابة المعبرَ عنها برموزٍ ، أو مضموناً مُكتنفاً بين دفتي كتابٍ ، بل إنه غداً نسيجاً مرجأً يعودُ بشكلٍ غيرٍ متناهٍ إلى آثارٍ أخرى مُرجأةٍ أيضاً ، والذي حدث - من وجهة نظرٍ ديريدا - هو تجاوزٌ واجتياحٌ أطاحَ بكلِّ الحدود والتقسيمات ، "فأجبرنا على أن نوسع المفهومَ السائدَ ، والفكرةَ المسيطرةَ حولَ مفهوم النص" □ .

بنية القصيدة بين ألم التبدُّد ولذّة التوحُّد

قد تقدّم قبلاً أنّهم رفضوا التمرکز حولَ بنيةٍ ثابتةٍ ، ولكن هذا لا يعني أنّهم يُنكرون وجودَ بنيةٍ في النصّ ، بل إنّها موجودةٌ ، ولكنّها ليست كالبنية التي تحدّث عنها البنيويّون ، إنّها غيرُ متجانسةٍ في النصّ ، والذي يهتمُّهم في القراءات التي يحاولون إقامتها هو " الاستقرارُ أو التوضعُ في البنية غيرِ المتجانسة للنصّ ، والعشورُ على توتراتٍ أو تناقضاتٍ داخليةٍ يقرأ النصُّ من خلالها نفسه ، ويفككُ نفسه كما عبّرتُ منذ وهلةٍ . أن يفككُ النصّ نفسه فهذا لا يعني أنّه يتبّع حركةً مرجعيةً ذاتيةً ، حركةً نصّ لا يرجعُ إلا إلى نفسه ، ولكن هناك في النصّ قوى متنافرةٌ تأتي لتقويضه وتجزئته" ³ . أمّا الفكرة التي اختمرت في فكرٍ بارت - وهي فكرةٌ توافق ما تقدّم أنفاً -

□ . انظر : جاك ديريدا ، الاختلاف المرجأ ، ترجمة هدى شكري عياد ، فصول ، مج 6 ، ع 3 - 1986م ، 56 .

□ . السعافين ، نظرية الأدب ، 15 .

□ . ديريدا ، الاستنطاق والتفكيك ، 58 .

فهي قائلة بأنّ البنيويّة " كلمةٌ مغيظةٌ يجب أن تُطهّر اللغة الفرنسيّة منها " □، وهو ينعى على البنيويّة تجافيتها عن فتح النصّ، " صحيحٌ أن قراءة الأثر يجب أن تُنجزَ في مستوى الأثر ذاته، غير أنّنا لا نستطيع أن نتصوّر فيما إذا وُضعت الأشكال، كيف يمكن تلافي اللقاء بمضامين مصدرها التاريخ أو النفس... " □.

قبل الولوج في مَطْلَبِ الحديثِ عن البنية التي تُلمَّمُ هذه القصيدة وتجعلها كلاً واحداً غير مُفصّلٍ، ليس ثمةُ بدٌّ من تفكيكها وكشفِ مُكوّناتها، والظاهر أنّ ثالوثاً يسري في أوصالِ القصيدة، وهو مُؤتلفٌ من بُعدٍ زمنيّ، وآخر مكانيّ، وثالثٍ آدميّ. أمّا البُعدُ المكانيّ فهو جليّ الحضور، وقد أُلْفيتُ في النصّ تركيزاً على هذا البعدِ بمختلفِ صوره : بُعدٍ مكانيّ ماضٍ، وبُعدٍ مكانيّ حاضرٍ، وآخرٍ إيجابيّ، ورابعٍ سلبيّ، وتكادُ تُؤلّفُ هذه الأبعادُ المكانيةُ متضافرةً فضاءً يُوحى بجوٍّ من الحيرةِ والسديميّةِ، كالشارعِ الخامسِ والبكاءِ فيه، ونيويوركِ التي لا صفصافَ فيها، ومطارِ القاهرةِ، ومطعمِ خريستو. ولكنّ، يقفُ تجاهَ هذا الجمعِ من مفرداتِ المكانِ السلبيةِ "الماضيةِ والحاضرةِ " بُعدٌ مكانيّ إيجابيّ، كفلسطينِ الوطنِ، وعكّا، والساحلِ الطويلِ، وسجونِ الناصرةِ التي غدا التمتّي بالبقاءِ فيها مطلباً أسمى من المنفى البعيدِ إذ إنّهُ سيكونُ حرّاً طليقاً في سجنِ الوطنِ أكثرَ من سجنه في زنزانةِ المنفى، وبينَ هذا الجدَلِ المتمثّلِ في التردّدِ بين البُعدِ المكانيّ "الماضي والحاضرِ "و" السلبيّ والإيجابي " يطفو على السطحِ تفوّقُ العنصرِ السلبيّ الذي يُشكّلُ من مجموعِ هذه الأمثلةِ منفى مُغلّقا يقابلُ الوطنَ وإنّ تمثّلَ في سجونِ الناصرة. والبُعدُ الزمنيّ قائمٌ على مقابلهِ بينَ الماضي والحاضرِ. أمّا البُعدُ الآدميّ فهو مُؤتلفٌ من الراثي والمرثي وشرطةِ الميناءِ

□. بارت، النقد والحقيقة، 40.

□. المرجع السابق، 40.

والقتلة. والحقّ أن أبعادَ هذا الثالوثِ تتعالقُ متضافرةً لتتخلّقَ لنا قصيدةً عمادها بنيةٌ كلبيةٌ تُلملم نثارَ ما تقدّمَ مِن تفكيكِ : إنَّها جدلٌ بينَ لَذَّةِ التوحُّدِ وألمِ التبدّدِ، أمّا لَذَّةُ التوحُّدِ فمِضمارُها الثالوث : لَذَّةُ توحُّدٍ مع المكانِ، والزمانِ، والإنسانِ، وألمُ التبدّدِ كذلك مِضمارُه، تبدّدٌ مع المكانِ، والزمانِ، والإنسانِ، ومِن الأمثلةِ المِجاليةِ لِمَا تقدّمَ لَذَّةُ التوحُّدِ بينَ الرائيِ والمرثيِّ؛ أي بينَ طرفي البُعدِ الإنسانيِّ، فعندَ حدوثِ اللقاءِ بينهما تباكيا، فعادَ الماءُ للنهرِ :

أبكاني. أعادَ الماءُ للنهرِ.

شربنا قهوةً. ثمّ افترقنا في الثّواني

وتذكّرنا معاً إيقاعنا الماضي

وموجات السنونو فوقَ كفِّ تفرّعِ الحائطِ

ولكنّ لَذَّةُ التوحُّدِ تلك لا تقفُ عندَ هذا الحدِّ، بلُ تتعدّاه إلى عتبةِ التماهي بينَ

الرائيِ والمرثيِّ، فالمرثيُّ هو المقتولُ، ولكنّ الرائيَ أسقطَ هذا على نفسه فغدا المقتولُ،

وفاءً للذّةِ التوحُّدِ بيئهما :

وخانتني الغصون

كانَ ما سوفَ يكون

فضحتني السنبلةُ

ثمّ أهدتني السنونو

لسيوفِ القتلةُ

ثم يعقبُ هذا، في مُحْتَتَمِ القصيدة، صحوَةً مِنْ غَفْوَةٍ، ليرفعَ الرائي التماهيَ الذي وقعَ بينه وبين المرثيِّ، جانِحاً إلى التقريرِ بالتقديرِ : ألا وهو : كانَ ما سوف يكونُ، متوسلاً بضميرِ الغائبِ الراجعِ للتماهي، المعينِ لمرجعِهِ الغائبِ :

كانَ ما سوفَ يكون

فضحُّهُ السنونو

ثمَّ أهدتُهُ السنبلةُ

لرياحِ القتلِ

ولذَّةِ التوحّدِ ليستْ مقصورةً على البُعدِ الآدميِّ، بلْ نجدُها واقعةً بينَ البُعدِ الإنسانيِّ والمكانيِّ، إنَّها لذَّةُ التوحّدِ مع الأرضِ، مع الوطنِ فلسطينَ والحقلِ، وتبلغُ لذَّةُ التوحّدِ ذروتها حينَ يغدو التمنيُّ بأنْ يكونَ السجنُ في الوطنِ مَعناه الحرّيةَ والانعتاقَ، أما المُغتربُ والمنفَى فهو القيدُ والسجنُ :

والتقينا بعدَ عامٍ في مطارِ القاهرةِ

قالَ لي بعدَ ثلاثينَ دقيقةً :

ليتني كنتُ طليقاً

في سجونِ النَّاصرةِ

أما عن الشقِّ الثاني الذي يُؤلّفُ بينَ أبعادِ هذا الثالوثِ فهو جليُّ الحضورِ كسابقه، فألمُ التبدّدِ واقعٌ في العَلاقةِ بينَ البُعدِ الإنسانيِّ والمكانيِّ، فالمرثيُّ غريبٌ منفيٌّ عن البعدِ المكانيِّ الأوّلِ "الوطن"، ولذا فإنّه سينظرُ إلى البُعدِ المكانيِّ الجديدِ "المنفى" بعينِ السوداويّةِ والسديميّةِ، فهو في "نيويوركَ التي لاصفصافَ فيها"، وقد أفضتْ به هذه السوداويّةُ إلى أنْ ينظرَ إلى البُعدِ المكانيِّ الحادثِ بعينها، فالشمسُ -

وهي الشمسُ أينما كانَ الإنسان - شاحبةٌ لا تُومئُ بأيِّ معلَمٍ من معالمِ الجمالِ، وقد كانَ المرثيُّ "شاحبا كالشمسِ في نيويورك". وألمُ التبدُّدِ بينَ البعدِ الإنسانيِّ والإنسانيِّ قائمٌ، كالقتلةِ وشرطةِ الميناءِ، وفوقَ هذا كلُّه، وفي لحظةٍ هي ذروةُ التراخي والارتكاسِ في "ألم التبدُّدِ"، تُلفي المرثيُّ مُعينا بهاجسِ الاغترابِ، مسكونا بنظرةٍ سَدِميَّةٍ، نافضاً عن نفسه غبارَ هذا البعدِ المكانيِّ والزمنيِّ والإنسانيِّ، مُعترفاً بلحظةٍ عُنوانها: "كانَ ما سوفَ يكون"، مُقرأً بألمِ التبدُّدِ مع أركانِ ذلكمِ الثالوثِ، إنَّها لحظةُ الموتِ :

والأغاني شردتني شردتني

ليسَ هذا زمني

لا ليسَ هذا وطني

لا ليسَ هذا بدني

كانَ ما سوفَ يكون

فضحَّته السنبلةُ

ثمَّ أهدتُه السنونو

لرياحِ القتلِ

الرمزيَّةُ وتعايشاتُ المعاني

يرى بارت أنَّه إذا أرادَ أنْ يدَّعيَ معالجةَ الأثرِ الأدبيِّ في ذاته مهتمًّا بطريقةٍ تشكُّله فإنَّه سيسكنُه خاطرٌ من استحالةِ فهمِ الأثرِ الأدبيِّ إذا غُيِّبتِ القراءةُ الرمزيَّةُ[□]، ولنْ يكونَ بمُكنةِ القارئِ أنْ يقتنصَ "تعايشاتِ المعاني المتعدِّدة". يُحامي بارت عن فكرته كثيراً،

□. انظر : المرجع السابق، 45.

ويُساءل أولئك الذين يؤمنون بالحقوق الشمولية للفظ دون أن يسمحوا بسماع أن الرمز يمكن أن تكون له حقوق مماثلة، وربما يكون باعثها تلك الحرية التي أراها له اللفظ المنعيق، فالعلاقة اعتبارية بين الدال والمدلول، فتمّ مدلول ينزلق (Sliding)، ودالّ يعموم (Floating)، وبمكنة الدالّ أن يخلع عنه رداءً مدلوله، فهو في حركة حرّة أذنت بوجود انشقاق بينه وبين مدلوله، وهذا يُفضي إلى دخول عالم من المعاني المتعددة التي لا يُوقَف عليها إلا بالتوهم في القراءة، و"تلك واقعةٌ عاديةٌ يمكن أن نجد آلاف الأمثلة عليها في تاريخ النقد، وتنوع القراءات التي يمكن أن يُوحى بها أثر أدبي بذاته : لكنّها على الأقلّ وقائع تشهد بأن الأثر ينطوي على معانٍ متعددة" □.

ولكن، إذا ما تلبّث المرء قليلا عند رمز بارت في هيئته ومعناه فإنه سيجد أن ثمة جِدَّةً ولَمحةً مُضافةً في الرمز عنده، فلم يعد الرمز جماع صور متكاتفة في النصّ، بل هو تعدّد المعاني، ولا يُعدّ هذا مثلبا يرمى به النصّ أو قارئه، ولكنه يُلمح إلى استعداد الأثر الأدبي على الانفتاح، ثم إن كون الأثر يمتلك في وقت واحد معاني متعددةً فذلك باعثه بنيته لا خلل في عقول من يقرؤونه، إنَّها الخاصية الرمزية للأثر عنده، ثم إن الأثر لا يخلد لكونه فرض معنى وحيدا على أناس مختلفين، وإنما لكونه موحيا بمعانٍ مختلفة لإنسان واحد يتكلّم دائما - كما يرى بارت - اللغة الرمزية، فالأثر يقترح، والإنسان يدبّر □، ويتساءل بارت عن رفض بعض أولئك الذين وقفوا تجاه هذه الفكرة الرمزية التي يراها : "ولكن لماذا بعد كل ذلك هذا الصمّ

□. المرجع السابق 54.

□. انظر : المرجع السابق، 55، وانظر : إبراهيم السعافين، نظرية الأدب 1/ 57.

تجاه الرموز وهذه الرمزية ؟ وماذا إذن يهدد في الرمز ؟ ولماذا يُعرّضُ المعنى المتعدّد الكلام حول الكتاب للخطر ؟ ولماذا مرّة أخرى أيضا اليوم بالذات " □ .

أمّا استشرافُ هذا المَلَحَظِ في القصيدة فهو متكاثرٌ؛ إذ هي قصيدةٌ لم تُنشأ لتُغنى مع الحمام في روضِ أغنٍ، لا ولا لكي أهيّمَ معها في عشيّاتِ السواقي الحالمية، لا ولا لأرجعَ وقتَ انجلاءِ النجومِ السّكّري بخرمِ الغروب، قصيدةٌ رثاءٍ ليست كالرثاءِ، قصيدةٌ أوّلُ ما يسترعي الانتباهَ فيها انفلاتٌ من القيودِ المعجمية، وتفجّرٌ للدلالاتِ على نحوٍ يصيحُ معه : "دَحْنُ الكَأْسِ" مقام "دَحْنُ السيجارة" أمرا مُتَقَبَلًا يحتملُ وجوها عديدة، ويثيرُ في النفسِ استحسانا من بعد، و أن يكونَ الرثي "طويلا كنشيدِ ساحلي"، وأن " يَمْضِي كنهاياتِ صلاةٍ "، و "أن تخترقَ العصفورةَ رمحاً، لا أن يخترقَ الرمحَ العصفورةَ. إخالُ أن هذا الذي تقدّم يُفْضي بي إلى أن أرثي العَلاقةَ بين الدالِّ والمدلولِ ثانيةً وثالثةً، ولعلَّ هذا الانفلاتَ يعملُ على إقحامِ القارئِ في فضاءٍ جوٍّ من تعدّدِ المعاني، وانتفاءِ الوقوفِ على معنى واحدٍ على التعيين، ويبقى المُحتَكَمُ هو الإبهامُ دونَ الإحكام، فلماذا "الشارعُ الخامسُ" لا السادسُ أو الرابعُ ؟ قد يُؤخَذُ هذا على مَحْمَلِ الحقيقةِ، وقد يكونُ فيه إلماحةٌ بعيدةٌ إلى أنه يدلُّ على حَضارةِ الإنسانِ فيها رقمٌ، والذي يزيدُ الأمرَ اعتياصا أنه حيّاه في الشارعِ الخامسِ الذي ودّعه فيه، فهل ثمة معنى يتبهُ خلفَ سرابِ هذه الجملة، وكأني خلّتها قالتُ جميعاً لستُ أدري.

واختفى في الشارعِ الخامسِ، أو بؤابةِ القطبِ الشماليِّ

ولا أذكرُ من عينيه إلا مُدناً تأتي وتمضي

تلاشى... وتلاشى

نعم، لقد تلاشى هذا المرثيُّ، وتلاشى المعنى، فلم يعد يسكنني سوى مساءلاتٍ تنتظرُ إجاباتٍ متعددةً، فكيف يكونُ "حَقْلًا مِنْ بطاطا وُذْرَة"، ولعلَّ في تحطيمِ العَلاقاتِ اللغويَّةِ المعجميَّةِ التقليديَّةِ دَلالةً على ارتباطه بالأرض، ومن وجهةِ تفكيكيَّةِ أخرى، قد تُشعرُ هذه العبارةُ أنَّه فقيرٌ مُعوز، أو أنَّه بسيطٌ متواضعٌ، أو أنَّ فيها إِماحةً إلى انتمائه الطبقيِّ، أو أنَّ هذه المُساءلاتِ تتضافرُ لتشكِّلَ لنا معنى مركَّبًا من كلماتٍ تشعُّ بمعانٍ متعدِّدةٍ، ثمَّ إنَّه :

كانَ حقلاً مِنْ بطاطا وذرّة

لا يحبُّ المدرسة

ويحبُّ النثرَ والشعر

لعلَّ السهلَ نثر

ولعلَّ القمَحَ شعر

"لا يحبُّ المدرسة"، ربَّما يكونُ مردُّ هذا إلى حقيقةٍ عاشها المرثيُّ، وربَّما يكونُ فيه إِماحةٌ إلى أنَّ المدرسةَ ترمزُ إلى النظامِ والسلطةِ والتقيّدِ، وهو خارجٌ عن هذا كَلِّه. ليتني - وليسَ يَنفَعُ التَمَنِّي مع هذا الانفلاتِ المعجميِّ - أملكُ إجابةً جازمةً تريحُ نفسي من عناءِ هذه المُساءلاتِ، وكأنَّ النصَّ لما يَكتَمِلُ بعدُ، بل هو دائمُ التشكُّلِ والتكوينِ ؛ إذ إنَّ هذا "الانفلاتِ المعجميِّ" و"تعايشاتِ المعاني"، و"الرمزيَّة"، كلُّ ذلك يَأبى إلا أنْ يجعلَني شريكاً مُنتجاً لدلالةِ النصِّ بعدَ استرفادِ مَلحَظِ "موتِ المؤلِّفِ"، وانتفاءِ المَقْصِدِيَّةِ"، ويُفضي هذا إلى إثارةِ عددٍ من السُّؤالاتِ والدلالاتِ الجماليَّةِ.

إنَّها قصيدةٌ رثاءٍ ليستُ كالرثاءِ، لم يُحومَ فيها حولَ القبرِ، ولم يبقَ الشاعرُ أسيرَ الثوابتِ القديمةِ (كالقافية والوزن...)، فيها عَلاقاتٌ لغويَّةٌ غيرُ مألوفةٍ، صورٌ شعريَّةٌ

لا تتفقُ والبلاغة القديمة، مُحاورَةً للفكر، فيها جِدَّةٌ ولَمَحَةٌ مُضافة على نحو يصبحُ معه مَلَحَظٌ "تعايشات المعاني" أمراً مُتَقَبِّلاً ذا نكهةٍ فيها فَرَادَةٌ، ويوضِّحُ بارت هذه الفكرة مُشيراً إلى المذكراتِ الشخصية - باعتبارها نوعاً أدبياً - التي دُرِستُ بطريقتين مختلفتين، فسبيلُ سلكها عالمُ اجتماعٍ، وأخرى سلكها كاتبٌ، وقد كانتُ محصَّلةً النظر في تلك المذكراتِ متباينةً[□]، وهذه واقعةٌ ليس فيها غَرَابَةٌ؛ إذ إنَّها واقعةٌ لها أمثالها في تاريخِ النقدِ وفي تنوعِ القراءاتِ التي يُمكن أن يُوحى بها أثرُ أدبيٍّ، ولكنها وقائعٌ تُعيدنا ثانيةً إلى الشهادةِ بأنَّ الأثرَ الأدبيَّ ينطوي على مَعانٍ متعدِّدةٍ[□]، فلا يُوقَفُ عليها إلا بالتوهمِ ورميِ النظرِ في تكهُّنٍ وتَحْطُفٍ.

القصيِّدةُ بين عشقِ النصِّ وموتِ المؤلِّفِ

يُعَدُّ بارت من أبرزِ النقادِ الذين التفتوا إلى دورِ القارئِ بكثيرٍ من بسطِ القولِ في هذا المَطْلَبِ، وعندما يُتحدَّثُ عن القارئِ ودوره في قراءةِ الآثارِ الأدبيةِ أجدُ نفسي متردِّداً بينَ قطبينِ اثنين: عشقِ النصِّ وموتِ المؤلِّفِ، وبينَ دَيْنِكَ القُطْبَيْنِ إشارةً عائمةً ومعنى منزلقٌ، والحاصلُ أنَّ القولَ "بتشظي اللغة"، و"الإشارة العائمة"، و"المعنى المنزلق"، أصبحَ باعئناً على أن يقرأَ القارئُ النصَّ على وَفْق ثقافته وهواه، ولذلك تُحدِّثُ عن عشقِ النصِّ، وكأنَّه المعشوقُ الذي لا يُدانيه أحدٌ سوى عاشقِهِ، ولم يكتفِ بارت بهذا الحدِّ، بل إنَّه تعدَّى ذلك مشيراً إلى عشقِ النصِّ له، فقد صارَ النصُّ "الحجابُ" الذي يشتهيهِ، وفي ذلك يقولُ: "إنَّ النصَّ حجابٌ، وهذا الحجابُ يشتهيني، بل إنَّه يختارني معتمداً على ترتيبِ لشاشاتٍ غيرِ مرئيةٍ،

□. انظر : المرجع السابق، 54.

□. انظر : المرجع السابق، 54.

وعلى انتقاء إرباكاتٍ معينة تتصلُّ بالمفرداتِ والمراجعِ والقراءة، ... ، لقد مات المؤلف الذي هو مؤسس، لقد اختفى وضعه المدني، وسيرته الشخصية قد توارت أيضاً...".[□] وبعد موت المؤلف وولادة الأثر، يأتي دور القارئ، ولكن، تجدر الإشارة إلى أن القراءة من وجهة نظر تفكيكية - تعشق الأثر الأدبي كذلك، بل إنها تتجاوز هذا لتقيم معه علاقة شهوة[□]، وبذلك يصبح ثم مصطلح مرادف للقراءة، فأن نقرأ معناه أن نشتهي الأثر؛ إذ إنه " لا أحد يعرف شيئاً عن المعنى الذي تمنحه القراءة للأثر الأدبي، ولا عن المدلول، وذلك ربما لأن هذا المعنى - اعتباراً لكونه شهوةً - ينتصب فيما وراء سنن اللغة. القراءة وحدها تعشق الأثر الأدبي، وتقيم معه علاقة شهوة، فأن نقرأ معناه أن نشتهي الأثر، ونرغب في أن نكونه، وأن نرفض مضاعفته بمعزل عن كل كلام آخر غير كلامه هو ذاته "[□].

وبعد، هل من تعليل لاقتناص بارت هذا الملحظ النقدي؟ أرى أن الفكرة النقدية "عشق النص وموت المؤلف" باعتبارها القول باعتبارية بين الدال والمدلول، ليس هذا فحسب، بل إن الباعث الرئيس هو حركة الدال في فضاء لا يحد، فلم يعد هناك معجم تقليدي في القراءة التفكيكية، لذا فإن قراءة قارئ ما سنتباين عن قراءة آخر؛ إذ إن الإشارة - كما تقدم قبلاً - عائمة، والمعنى منزلق لا يوقف عليه إلا بالتوهم، وكل قارئ يتعامل والأثر الأدبي معتمداً لا على الأثر الأدبي، وإنما على قوله الخاص

□. R. Baland, The Pleasure of The Text, Translated By Richard Miller, Jonathan Cape, London, 1976, p. 27.

□. انظر : بارت، النقد والحقيقة 86.

□. المرجع السابق، 86.

به □ ، وهو، في هذا كله، يَفِيءُ إلى هوى نفسه في ذلك التعامل متجافيا عن "مَقْصِدِيَّةِ المؤلف" ؛ إذ لا وجودَ له في ذلك المقام البتة، ولذا تتولّد حميميةً "عشقُ" بينَ القارئِ والنصِّ في ثنِّي القراءة، فالنصُّ ملكه - كما تقدّم قبالا- وهو الذي يُدخله في ثقافته، ويتناوله متكئا على هوى نفسه □ ، ومما إخاله يسندُ هذا أن ديريديا نفسه لا يُقيم وزناً لنية المؤلف، بل إنَّ المعولَّ عليه في القراءة التفكيكية هو النصُّ نفسه، وفي هذا يقول "جوناثان كولر" عارضاً رأيَ ديريديا، بعد أن أشارَ إلى أن بعضَ النقادِ يُعولون على نية المؤلف، بل إنَّهم يتبصرون بها مُستعينين قارئين: "بالنسبة ليريديا فالأمرُ بخلاف ذلك، فالنيةُ ربّما تُلاحظُ باعتبارها نتاجاً نصياً مُعيّناً أو أثراً، وهي تُميّزُ بالقراءة النقدية، ولكنها دائماً متجاوزةٌ بالنصِّ. إنَّ النية - كما أشير في القسم الثاني من هذا الجزء - ليست شيئاً سابقاً للنصِّ أو مقرراً لمعناه" □ ، ولذا فليس يصحّ في الفهم ولا يستقيم في مقاربة هذه القصيدة أن يسأل القارئُ نفسه ماذا أرادَ أن يقول المؤلفُ، أو إلى أيِّ مقصدٍ رمى ؛ ذلك أن المقصدية منتفيةٌ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، أُعلنَ عن تعقيب المؤلف بل موته.

التناص

□. انظر : المرجع السابق، 76.

□. إن القول بعشق النص، وانتفاء المقصدية من وجهة نظر تفكيكية، وموت المؤلف، كل هذه الملاحظ التفكيكية باعثها إسقاط "المركزية" وتضخيم الذات، إنها نوع من الإيمان بسلطة القارئ لا سلطة النص..

□. Culler ,On Deconstruction ,218.

في مَطْلَبِ الحديثِ عن التناصِّ تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ هذا المفهومَ يُؤدِّنُ بالدخولِ إلى عالمِ النصِّ من بَوابَةٍ عريضةٍ، أو لأقلِّ : يُمكنُ القارئُ مِنَ النظرِ إلى النصِّ مِنْ عَلٍ لِيستكشفَ أَعْوَارَ هذه التجربةِ المتَّصلةِ بِغيرِها، وَمِنْ أشهرِ الأعلامِ التفكيكيينَ الذين وقفوا على هذا المَطْلَبِ "جوليا كريستيفا"؛ إذ إنَّها ترى أنَّ فكرةَ التناصِّ ترشِّحُ لوجودِ آثارٍ أُخرى، ويصلُّ الأمرُ بِكريستيفا إلى أنَّ تنظَرَ إلى النصِّ مِنْ زاويةٍ أنَّه لوحةٌ فسيفسائيةٌ مِنَ الاقتباساتِ، وأنَّه امتصاصٌ وتحويلٌ من نصوصٍ أُخرى سابقةٍ □، إنَّ المدلولَ الشعريَّ - كما ترى كريستيفا - يُحيلُ إلى مدلولاتٍ خطابيةٍ متغايرةٍ، ممَّا يُؤدِّنُ بقراءةٍ خطاباتٍ عديدةٍ داخلَ القولِ الشعريِّ □، وهكذا " يتمُّ خلقُ فضاءٍ نصيٍّ متعدِّدٍ حولَ المدلولِ الشعريِّ تكونُ عناصرُه قابلةً للتطبيقِ في النصِّ الشعريِّ الملموسِ. هذا الفضاءُ سنسمِّيه فضاءً متداخلا نصيًّا " □.

وقد قدِّمتُ كريستيفا أشعارا ل "لوتريامون" باعتبارها- كما ترى- مثالا على هذا الفضاءِ النصِّيِّ المتداخلِ، وقد استطاعتُ أنْ تميِّزَ بينَ ثلاثةِ أنماطٍ مِنَ الترابطاتِ بينَ المقاطعِ الشعريَّةِ والنصوصِ الملموسةِ القريبةِ من صيغتها لشعراءٍ سابقين □، ولما

□. J. Culler, Structuralist Poetics, Routledge and Kegan Paul, London, 1975, p. 139.

□. انظر : جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1991م، 78.

□. المرجع السابق، 78، وقد عقد "تودوروف" بابا يتحدث فيه عن التناص، وهو يؤمن بأنه لا توجد لغة خاصة ؛ إذ إن الكلمات يمتلكها كل شخص، انظر :

T. Todorov, Symbolism and Interpretation, tran. By Catherine, Porter, Routledge and Kegan Paul, London, 1983, p. 64.

□. انظر : كريستيفا، علم النص، 78-79.

حوورت كريستيفا في هذا الفكر المتقدم في النظر إلى النصوص أشارت إلى أن معادلة النصوص قد غيّبت، وانبرى طيفها، وقد تجلّى مكانها "مقارنة النصوص" و"التقاط القواسم والفوارق" بينها، فالناس - كما ترى- يبحثون في الأدب عن الأنباء والاستعلام أو ما يزعمون أنه انعكاسٌ للحقيقة أو الانفعالات التي تسفر عنها، إنها ترفض ما تقدم بكلّيته، وترى أن النصّ يؤكد قيمته في كثافته وليس في الوظيفة التي تؤديها بالنسبة إلى ما ليس هو النصّ[□]، إنها تريد أن تصل إلى فهم متعمق في سبر غور هذا الأثر، إلى "استكشاف الكهوف البلورية في النصّ حيث يتداخل ما يهبط من السقف مع ما ينبت من الأرض"[□]. أمّا ديريدا فقد ذهب المذهب نفسه؛ إذ إنه يقول بانتفاء وجود حدود أو فواصل بين نصّ وآخر، ويجلّي فكرته متكئاً على مبدأ الاقتباس، ومن ثمّ "تداخل النصوص"، وهو يرى أن كلّ نصّ أو أيّ جزء منه لهو دائم التوثب من سياق إلى آخر؛ إذ إنّ كلّ نصّ هو خلاصة تأليف من الكلمات، والكلمات هذه سابقة للنصّ في وجودها، كما أنّها قابلة للانتقال، وهي بهذا تحمل معها تاريخها القديم والمكتسب[□]، وحينما وردت هذه الفكرة على تودوروف أشار إلى أنّ حضور هذا المبدأ العالمي الشامل في الآثار الأدبية ناموسٌ نافذٌ له مكانته، ولكنّه لا يلقي قوله هذا على عواهنه، بل يقيده حتى يغدو التناصّ سائراً في فضاء ذي حدود، أي أنّه لا

□. انظر: سيمولوجيا الرعب و الابتذال في الكتابة الجديدة، حوار أجراه فؤاد أبو منصور مع

جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 18-19-1989م، 125.

□. المرجع السابق، 125.

□. انظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، الطائف،

1985م، 55.

يؤمن به على إطلاقه، وهذا رأيٌ حصيفٌ ؛ إذ إنَّ ثمةَ بونا شاسعا بين تناصٍّ مفتعلٍ قائم على سرقة، أو ليس له لُحمةٌ بغيره، وتناصٍّ فنيٍّ قائم على خلقٍ وإبداع. يقول : "وهذا المبدأ العالمي الشامل من تجلّي التناصّ في الأثر الأدبيّ يجب أن يُعدَّل أو يُقنَّنَ وأن يُدرَكَ بمبادئٍ مناسبةٍ تُعيننا على تمييزِ الحالاتِ التي يكونُ فيها التناصُّ وثيقَ الصلةِ بالنصوصِ الأخرى أو يكونُ متجافيا عن ذلك..."[□]، ومن تجلياتِ التناصِّ في القصيدة

ابن فلاحين من ضلع فلسطين

ثمَّ تناصُّ "تقاطع" في قوله : ابن فلاحين من ضلع فلسطين ؛ ذلك أنَّ الموروثَ الدينيّ يقول إنَّ حواءَ قد حُلقتُ من ضلعِ آدمٍ[□]، وهذا النصُّ يتقاطعُ مع المتقدِّم، وإذا كان ذلك كذلك، فالظاهرُ من المتقدِّمِ المأحةُ إلى تعالقه بالأرض، وإلى أنَّه جزءٌ منها لا ينفصمُ ؛ فكأنَّها أمّه التي خرجَ من بينِ أحشائها.

وكذلك قوله :

أريدُ الصفةَ الأولى لأعضائي

أشتهي أن أشتهي

إخالُ أن هذا يتقاطعُ مع قولِ المتنبيّ :

□. Todorov, Symbolism and Interpretation, 65.

□. وهذا ما يذهب إليه أهل التفسير في قوله - تعالى - : "وخلق منها زوجها"، أي حواء من ضلع آدم. انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، 3/5.

وَشَكِيَّتِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي
أعضاء[□]

فالشكية أنه لم يعد يسقم ؛ لأنه فقد أماكن السقم ؛ فقد أعضائه ، ولذلك يريد
الصفة الأولى لأعضائه .

ومن مثل ما تقدم :

منذ عشرين سنة

وأنا أعرفه في الأربعين

لقد ثبتَ المرثي في الزمان ، فقد بقي في الأربعين منذ عشرين سنةً ، ولعلها -
أعني الأربعين - تُوحى باكتمالِ العقلِ وبلوغِ الرُّشدِ الذي يبلغه الأنبياء ، وهنا مَكْمَنُ
التناص ، ومن وجهة نظر تفكيكيةٍ أخرى ، قد يكون رقماً طائشاً لا قِبَلَ لنا بتعليقه
واقتناصٍ مطلوبه ، بل قد يكونُ المقصد هنا من هذه العبارة أنه لم يغيّر مواقفه ، فقد
بقي ثابتاً حتّى في نضارة الشبابِ والحيويّة ، حمّالاً لرسالةِ الوطنِ منذ عشرين
سنةً ، كلُّ هذا المتقدّم قائمٌ على استشرافٍ مَلَحَظٍ "التناص" و"تعایشات المعاني" ،
و"الإرجاء" ، و"انزلاق المعنى" ، ويبقى المعنى كامناً في مُساءلةٍ عمادها الإيهامُ دون
الإحكام ، والذي يركن إليه خاطرٌ من هذا الدالِّ العائمِ والمدلولِ المنزلقِ هو أن المرثي

□. انظر : المتنبّي ، ديوانه ، شرح أبي البقاء العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار

ثُبَّتَ في الزمانِ مِن أجلِ التحريكِ، ولكنَّ في أيِّ اتجاهٍ؟! ليتني أقفُ على المعنى المركزِ فيه فأدري[□].

ولكن، هل مِن محاولةٍ لتفسيرٍ يوضِّحُ، أو يكادُ، انتفاءَ الحدودِ بين النصوصِ من وجهةِ نظرٍ تفكيكيةٍ؟. تقدِّمُ قَبْلاً أنَّ التفكيكيةَ هي ردةُ فعلٍ إزاءَ التمرُّكِ الغربيِّ حولَ الذاتِ، ولذلك تولَّى التفكيكيُّونَ نقدَ هذا المفهومِ المعرفيِّ الذي يتمركزُ حولَ الذاتِ مُقْصِياً الآخرَ[□]، مؤمناً بسلطةِ النصِّ المطلقةِ، ولعلَّ هذه الفكرةُ ؛ فكرةُ التناصِّ تعملُ على نقضِ هذا التمرُّكِ عندَ الإيمانِ بأنَّ النصَّ ليس مستقلاً أو قائماً برأسه. إنَّ فكرةَ التناصِّ نوعٌ مِن أنواعِ نقضِ فكرةِ ملكيةِ النصِّ، ولذلك "جاءَ مفهومُ التناصِّ ليحلَّ محلَّ مفهومِ الذاتية"[□].

تحوُّطٌ واحتراسٌ

والحقُّ أنَّه يتعدَّرُ عليَّ أن أسنقِصيَ جميعَ جوانبِ المنهجِ التفكيكيِّ ماضياً مع جميعِ أعلامه وآرائهم وتفصيلاتهم الجزئيةِ في هذه الورقةِ ؛ إذ إنَّ لكلِّ ناقدٍ منهم

□. وهكذا لم يعد النقدُ ترجمةً أو تفسيراً، وليس بمكنةِ القارئِ أن يدعي أنه اقتنص في قراءته عمقَ الأثرِ الأدبيِّ، " فالعملُ الأدبيُّ وقد دخل في الطبيعة الرمزية للكلام هو غموض، جوهرية : إنه جاهزية تظل مفتوحة خارج كل جواب خضوعي. من هنا يصبح لغزاً وسؤالاً مطروحاً على العالم... " انظر : دابل لاند، مغامرة الدال، 87.

□. وقد أشار مترجم كتاب "العمى والبصيرة إلى هذا الملحظ قائلاً : "كان التفكيك، وهو النتاج الطبيعي لنمو الثقافة الغربية، نقدا معرفياً لأيدولوجية التمرُّكِ الغربيِّ حول الذاتِ، وسبباً لغور إستراتيجياتِ المعرفةِ التي تؤدي إلى هذا التمرُّكِ وإقصاء الآخر". انظر النص : بول دي مان، العمى والبصيرة في بلاغة النقد المعاصر، ترجمة سعيد الغانمي منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1995م، 4.

□. انظر : Culler, Structuralist Poetics, 139.

تميّزا وسيبلا تكادُ تقترنُ باسمه ، ولا يعني هذا الذي تقدّم أنّ ثمةً مناهجَ يشملها المنهجُ التفكيكيّ، ولكنّه يرمي إلى الإشارةِ إلى أنّ ثمةً نقادا متعدّدين في المنهج التفكيكيّ يلتفونَ حولَ معالمٍ رئيسةٍ فيه، "كانتفاءِ المَقْصِديّةِ"، "وموتِ المؤلّفِ"، ويختصّ بعضهم أو يتميِّزُ بمَعْلَمٍ يكادُ يقترنُ باسمه ؛ وذلك نحو "التناص" وشهرة كريستيفا وإفاضتها في هذا المَلْحَظِ النقديّ، وتودوروف وتعريجه على "الإسقاط" و"التعليق" و"الشّعريّة" □ .

وبعدُ، فهذه تطوافةٌ في فضاءِ المنهجِ التفكيكيّ مع بعضِ أعلامه ، ولم يفنتني أنّ هذا المنهجَ إنّما هو حلقةٌ في سلسلةِ النقدِ الغربيّ، وليس حسناً أن يتناولَه الدارسُ بمنأى عن منطلقاته وخلفيّاته ؛ إذ إنّهُ منبثقٌ من حضارةٍ غربيّةٍ، ومن حركةٍ تبدأ بفصلِ النصّ عن حركةِ التاريخِ والعوالمِ الخارجيّةِ، فتعملُ على إماتةِ الإنسانِ، ثمّ تعودُ ثانيةً " لتميّتِ المؤلّفِ، ثمّ النصّ ليتشظّى وليكونَ على قدرٍ مع هاويةِ العدم

□ . يرى تودوروف أن مقارنة النص تتحقق بغير سبيل، وقد أشار شولز إلى أن تودوروف تصدى لشتى المقاربات الممكنة في دراسة الأدب في مقالته "كيف نقرأ"، وفتحها بثلاث مقاربات رئيسة سماها الإسقاط والتعليق والشعرية. أما الإسقاط فهي طريقة في القراءة عبر النصوص الأدبية باتجاه المؤلف أو المجتمع أو شيء آخر يهيم الناقد، وهذا ينطبق على النقد الماركسي، والنقد الفرويدي، والتعليق مكمل للإسقاط، وإذا كان الإسقاط هدفه السعي عبر النص وخلفه فإن التعليق هدفه المثول داخل النص والمكث فيه، وينطبق هذا انطباقا مبينا على ما يدعى أنه تفسير أو قراءة ممحصّة مدققة. أما المقاربة الثالثة فهي "الشعرية" الباحثة عن المبادئ العامة التي تتجلى في الأعمال الخاصة، وهي - فيما يرى تودوروف - يجب أن تقود إلى نتائج تكمل أو تعدل الفرضيات الأدبية للدراسة، انظر : شولز، البنيوية، 163، السعافين، نظرية الأدب، 19.

"□، وأمام هذا الذي تقدّم، فليس من صفة الناقد المتثبّت أن يزعم أنّه تابعٌ لمنهجٍ ما، وأنّه ارتضى منهجاً واحداً يصلحُ مدخلاً ليتأسّسَ عليه قراءةٌ كلّ نصٍّ يعرضُ له، ولا يخفى على ذي تأملٍ أنّ هذا ضربٌ من الشططِ والتكلّفِ وتحميلِ كثيرٍ من النصوصِ غيرِ الذي تحتُمَلُ، إنّها سبيلٌ لا يُترَكُ فيها فُسْحَةٌ للنصِّ حتّى يتحدّثَ عن نفسه، وسيصبحُ، أنّ هذا، الناقدُ هو المركزُ والمحتكَمُ في عمليّةِ القراءةِ لا النصِّ، والسبيلُ المثلى في القراءةِ هي اقتناصُ مفتاحِ النصِّ، وهذا لا يكونُ إلا إذا قرأ القارئُ النصَّ مرّةً بعدَ مرّةٍ ليعيدهُ على صاغي سمعِهِ وفكرِهِ، مُقتنِصاً المنهجَ الذي سيرشدهُ إليه النصُّ نفسه ؛ إذ إنّهُ المحتكَمُ وبه الدليلُ. ولكنّ ليس ثَمّةُ ضيرٍ من اطلاعٍ يستغرقُ، أو يكادُ، هذه المناهجَ النقديّةَ الغربيّةَ، مع انتفاءِ التجايفِ عن بواعثِها ومنطلقاتِها ووشائجِها في الذي بيّنها، واعتبارِها جزءاً من امتدادِ فلسفيٍّ ومعرفيٍّ في سكّةِ الحضارةِ الغربيّةِ التي ما زلنا نقفُ في نهاياتِها مُستهلكين. أمّا تجربتي في هذه الورقةِ مع نصِّ لمحمود درويش فقد أحسستُ في قوابلِها بعبءٍ يجثمُ على الصدرِ؛ إذ إنّ الشاعرَ صاحبُ رسالةٍ، والقولُ بانعدامِها، أو "بعبثيّةِ اللغةِ" أو "بانتفاءِ المعنى" و"الشكُّ في جدوى الأشياءِ" مُطلَبٌ قد يتعدّرُ تأسيسُهُ في ظلِّ وضعٍ تاريخيٍّ حرجٍ، فهل يحقُّ للقارئِ أن يصفَ (كانَ ما سوفَ يكون) أو (أزهارُ الدم) أو (فرسٌ للغريب) بأنّها عبثيّةٌ جديدةٌ إلا إذا كانَ هذا من بابِ المُعايَاةِ أو المماحكةِ، وهذا ممّا لا يكونُ في البحثِ ولا في شبههِ □، والحقُّ أنّ الذي يسترعي الخواطرَ في نصِّ درويش هو "تعدّدُ المعاني"، و"التناصُّ"، و"انفلاتُ الدالِّ من قيدِ المدلولِ"؛ إذ إنّ الشاعرَ يتميِّزُ

□. انظر : السعافين، نظرية الأدب، 29.

□. للتبصر في نقد المنهج التفكيكي انظر: حمودة، المرايا المحدبة، 396-404.

بأنه يقيمُ علاقاتٍ دلاليةً غيرَ مأنوسةٍ، وهو يقصدُ هذا البابَ قصدَ الأديبِ المجرَّبِ المتنبِّتِ، ومعَ هذا الانفلاتِ مِنَ القيودِ المعجميةِ يصبحُ أمرُ تعدُّدِ المعاني مُتَقَبَّلاً ممكناً، ولكنه ليس مُلقَى على عَواهنه، أو مُجتزأً من منظومته اللغويةِ الكليةِ في النصِّ، صحيحٌ أنْ بمُكْنةِ القارئِ أنْ يضربَ صَفْحاً عن المَقْصِديَّةِ، وأنْ يعيَ هذا الانحرافَ اللغويَّ المتمثِّلَ في الانفلاتِ من القيودِ المعجميةِ، ولكنَّ هذا الذي تقدَّمَ محكومٌ بالنصِّ نفسه وبإيحاءاته على وَفْقِ نظرةٍ شاملةٍ للنصِّ، فليس ينبغي أنْ يُملِيَ القارئُ موقفَه القَبليَّ، أو هوى نفسه السائرَ كيفما اتفقَّ، أو مَلَمَحاً قرائياً غيرَ مُستندٍ إلى النصِّ وعلائقه .

المصادر والمراجع

1. إبراهيم السعافين، نظرية الأدب و مغامرة التجريب، دار الشرق العربية، القدس، 1993م.

2. بول دي مان، العمى والبصيرة، مقالات في بلاغة النقد المعاصر، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات، 1995م.
3. تزفيتان تودوروف، الأدب والاستيهامي، ترجمة الصديق بوعلام، مجلة الكرمل، قبرص ع17، 1985م.
4. جاك ديريدا، الاختلاف المرجأ، ترجمة هدى شكري عياد، فصول، القاهرة، مج6، ع3 - 1986م.
5. جاك ديريدا، حوار أجراه كريستان ديكان، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 18-19، 1989م.
6. جاك ديريدا، الاستنطاق والتفكيك، مقابلة أجراها كاظم جهاد، مجلة الكرمل، قبرص، 1985م.
7. جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1991م.
8. جوليا كريستيفا، سيمولوجيا الرعب و الابتذال في الكتابة الجديدة، حوار أجراه فؤاد أبو منصور مع جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 18-19، 1989م.
9. روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة حنا عبود، اتحاد الكتاب العربي، القاهرة، 1984م.
10. رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة نعيم الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق، 1970م.

11. رولان بارت، النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للنشرون، الدار البيضاء، 1985م.
12. ستيفن دابل لاند، قراءة لرولان بارت، مغامرة الدال، ترجمة أحمد المديني، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت ع18-1989م.
13. شكري عياد، موقف من البنيوية، فصول، القاهرة، م1، ع2، 1981م.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، ع232-1998م.
14. عز الدين إسماعيل، جدلية الإبداع والموقف النقدي، فصول، القاهرة، م10، ع1-1991، م2.
15. الغدامي، عبد الله، الخطيئة و التكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، الطائف، 1985م.
16. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
17. كريستوفر نورس، التفكيكية: النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الشؤون الثقافية، الثقافة الأجنبية، بغداد، ع4-1989م.
18. المتنبي، ديوانه، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1978.
19. محمود درويش، ديوانه "الأعمال الكاملة"، ط13، دار العودة، بيروت، 1989م.

20. وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة يوثيل عزيز، دار المأمون، بغداد، 1987م.

21. R. Barthes, *The Pleasure of The Text*, tran. By Richard Miller, Jonathan Cape, London, 1976.
22. R. Barthes, *S/Z*, tran. By Richard Miller, Hillannd and Wang , New York, 1974.
23. J. Culler, *Structuralist Poetics*, Routledge and Kegan Paul, London, 1975.
24. J. Culler, *On Deconstruction, Theory and Criticism After Struturalism*, Routledge and Kegan Paul, London, 1983.
25. T. Todorov, *Symbolism and Interpretation*, tran. By Cathrine Porter, Routledge and Kegan Paul, London, 1983.
26. J. Ellis, *Against Deconstruction*, University of Princeton, Princeton, 1989.

بنية النص الإشهاري

(Structure de Texte Publicitaire)

د. محمد عيلان
أستاذ بجامعة عنابة

لم يعد الإشهار في عالمنا اليوم مناداة في سوق معينة لبضاعة ما، أو هو الأخبار
والمعلومات الشفوية تُتداول عبر أماكن محدودة كالسوق الأسبوعي أو القرية أو أماكن

التجمع اليومي كالمساجد والمقاهي والحارات.. ترويجا لسلعة متراكمة مخزنة، أو دعوة لرأي سياسي أو اجتماعي يهم وحدة اجتماعية ما، ويقوم بها أشخاص يملكون القدرة الصوتية على الترويج.

فالإشهار اليوم يوظف لغات وثقافات وإمكانات علمية وتكنولوجية ومالية هائلة لتوزيع تراكمات ومخزونات سلعية تغطي مساحة اجتماعية واسعة عبر أمكنة مختلفة من العالم، وفقا لتقنيات النص اللغوية والجمالية، وتقنيات الصورة والصوت واللون والحركة، وهو في كل ذلك يتجاوز حدود التجارة والاقتصاد إلى التأثير في الثقافة والأنظمة السياسية، وتغيير نمط العيش وأساليبه لمجتمعات قريبة وبعيدة متباينة المشارب والمواقع، بوساطة تقنيات اتصالية جيدة متطورة. ولذلك فلا عجب من أن أصبح الإشهار مجالا للاستثمارات العالمية الضخمة، ووسيلة من وسائل التوجهات العالمية على مستويات عديدة، انطلاقا من التكتلات الاقتصادية (Cartels) أو الإقليمية الجديدة إلى اتفاقية الجات (Gatt)، إلى إعادة النظر في خريطة العالم السياسية والاجتماعية والجغرافية..

ومن هنا كان على النص الإشهاري (Texte Publicitaire) أن يواكب هذه التحولات، فيحتويها ويعبر عنها بدقة وشمولية واضحين، بحكم تنوع الجماهير المتلقية للخطاب الإشهاري وكثافتها، وبحكم العلاقة القائمة بين الوسائل والأدوات التكنولوجية وبين النص الإشهاري، ذلك أن التقنيات وحدها قد لا تستطيع أن تبلغ الخطاب كاملا ما لم تكن الكلمة مصاحبة لها، مكتوبة أو مسموعة أو متضمنة يوحي بها الخطاب الصوتي أو المرئي...

وقد ارتأينا أن نقدم للقارئ صورة عن النص الإشهاري وأشكاله و بنيته اللغوية ومظاهره الأسلوبية، وشروط إنتاجه وعلاقته بالفنون المرئية والسمعية والمقروءة. ولا

نريد أن ندرس الإشهار وآثاره الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بقدر ما نريد أن ندرس النص الإشهاري كغيره من نصوص الأدب له خصائصه وله شروطه مما هو من اختصاص أقسام اللغة العربية وآدابها دون غيرها[□]. لأن النص الإشهاري ينتجه في الواقع اليومي غير المتخصصين في اللغة والأدب.

وقد اجتهدت في أن أضع بعض الأسس النظرية الهادية إلى التعريف بالنص الإشهاري في مجموعة من المقالات تكوّن معارف أولية متكاملة، وأولها هذا المقال الذي ستليه مجموعة من المقالات تنشر لاحقا عبر هذه المجلة، تتعلق بتطبيقات ميدانية تدرب على إنتاج النص الإشهاري أو الدعائي (Texte de Propagande) في أي موضوع من الموضوعات مما يقتضي الإشهار والدعاية.

ما هو النص الإشهاري؟

إنه تركيب لغوي يتحدد وفقا لمعايير اللغة التي ينتج بها، وهو تركيب جمالي لا يكتمل رسالة إلا بمساعدة فنون أخرى تلابسه لترسم جماليات الخطاب. وهو أشكال متعددة متباينة متغيرة، كما أنه من حيث بنيته أقرب إلى بنية النص الشفوي الذي يتم بناؤه وفقا للهجة المتداولة غير المدونة التي تتجاوب مع متغيرات الأحداث

□. كان قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عنابة بالجزائر سابقا إلى إدراج مادة "النص الإشهاري" في برامج طلبة السنة الأولى ماجستير للعام الجامعي 1999/1998.. دون غيره من أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات الجزائرية، و كان لي شرف تدريس هذه المادة أول مرة على مستوى هذا الاختصاص بعنوان (تحليل الخطاب الإشهاري) وعانيت معاناة شديدة في لم شمل المادة لأن المراجع المتوفرة عن الإشهار نادرا ما تتناول النص الإشهاري من حيث كونه نصا لغويا وأدبيا جماليا، يخضع في بنائه وتركيبه إلى تقنيات أسلوبية دقيقة، وإنما تتناول الإشهار في أهدافه ومناهجه وتقنياته، وقلما كان لها إشارة إلى ذلك.

اليومية والتطورات السريعة التي يعيشها اللاهجون بتلك اللهجة. ويمكن القول من زاوية أخرى: إنه النص اللغوي الذي قوامه الكلمة واللون والصورة والحركة والإيقاع، وهي عناصر تتضافر وتلتقي كلها أو بعضها لتكوّن لغة أخرى تلغي الحاجز اللغوي والجغرافي والعرقي والثقافي والاجتماعي في كثير من الأحيان بين أمم وشعوب متباينة..، وبذلك تتحول لغة الإشهار بمكوناتها إلى وسيلة تقارب أممية مهمة تعد أحد أهداف العولمة (Mondialisation) التي شملت العالم منذ أرسطو الفيلسوف اليوناني... إن النص الإشهاري رسالة (ذات محتوى يهيم الجماهير في المكان والزمان)، تتميز بالجدة والطرافة والتفرد بالإعلان عن الجديد والسبق المرغوب، وتتوسل بالكلمة وإيحاءاتها للتعبير عن ذلك المحتوى، قصد الوصول إلى مشاعر المتلقي ودغدغة عواطفه واستدراار سخائه. ولكن ما موقع النص الإشهاري من أشكال الخطاب في الأدب العربي؟ هل نعتبره شكلا مستقلا فنقول بأن النص الإشهاري شكل قائم بذاته وبأنه أحد أشكال الخطاب في الأدب العربي، لما له من خصائص ومميزات وسمات تسمه وتخصه؟ وهل أسسنا لذلك في تنظيرنا للأدب العربي؟

الواقع أننا - حسب علمي - مازلنا لم ننتبه إلى هذه الظاهرة الجديدة في الأدب العربي، غير أن ذلك لا يمنعني من القول بأنه يمكن أن يدرج مع غيره من النصوص كنصوص أدب الطفل ضمن الشكّل الذي يعبر عنه في الآداب الغربية بـ (Paratextualité)، لكونه نصا مستمر ويتواصل ويحفظ ويؤدي غرضه بمقدار دوام ما يعبر عنه، من جهة، ولكونه من جهة أخرى ليس كالنصوص الأدبية الأخرى، ينشئها المبدع وفق تيار أدبي، وتعبر عن موضوعات لها حضورها على مستوى الإبداع، وتظل تلك النصوص تدرس في سياقاتها المختلفة، وتؤسس لإبداعات أخرى. فالنص الإشهاري ليس له شيء من هذا الأخير، لأن تأثيره آني محدود بزمن قصير،

ولأنه يتماشى مع تطورات ما يعبر عنه ، ثم إن شكله وبناءه يتحددان من خلال أهداف الإشهار وتوجهه ، وكلما حدث تطور في الأهداف والتوجهات أو النوعية تولد نص جديد يلغي حضور الآخر. لذلك كان النص الإشهاري يستمد وجوده وحضوره وتأثيره من خلال وضوح الهدف من الإشهار ، ومن المعرفة الجيدة لمتغيرات الواقع النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي لمن يخاطبهم وبلغهم رسالته التي تستوحي أساليبها في الغالب من الموروث الثقافي الجماهيري وهي تماما خصائص ما يعرف بـ (Paratextualité) في الآداب الأوروبية..

معارف كاتب النص الإشهاري

يشترط في كاتب النص الإشهاري ما يلي :

1. أن يجيد اللغة التي يشهر بها إجادة تامة وأن يمتلك أسرارها وخواصها التعبيرية بتلقائية ، كما يشترط أن يكون له إلمام بلهجة أو لهجات وطنه وخواصها في التعبير (الكلمة ، الإشارة ، الحركة ، الإيحاءات المتباينة لها...).
2. أن تكون له معرفة بثقافة مجتمعه المدرسية (الفصيحة) أو الشعبية (الفكرية والمادية) وأن يكون متشعبا بهما.
3. أن يكون على دراية بقيم المجتمع وتوجهه الحضاري.
4. أن يكون على دراية بعلم الإشارات أو العلامات السيميولوجيا (La Sémiologie).
5. أن يكون مطلعاً على التاريخ الحضاري للأمم والشعوب ، وملماً نوعاً ما بتحولاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية.
6. أن يكون له إلمام بالتوجه الاقتصادي والسياسي والثقافي للدولة التي يشهر فيها ، ويمدى تأثير الاقتصادي السياسي في اختلاف الأنظمة.

7. أن يجيد لغتين أو ثلاث من اللغات العالمية إلى جانب لغته الأم التي تظل بالنسبة إليه هوية ثقافية وسياسية وعلمية.

8. أن تكون له دراية بعالم التجارة والمال وخاصة ما يتعلق باقتصاد السوق (Economie de marché)، وعلاقة الدولة والجهات المشهورة، لأن الإشهار أداة اقتصاد السوق.

9. أن يكون على دراية بنفسية المشاهد أو القارئ أو المستمع وأن ينتج النص وفي ذهنه الخلفية التالية وهي : إن غالبية المتلقين ممن يوجه إليهم الخطاب لا يحللون ولا يناقشون (الموضوع) ولا يبحثون عن علاقات الأشياء ولا مسيبتها.. ولكنهم في كثير من الحالات يقلدون ويستهلكون، يضاف إلى ذلك السعي من خلال النص إلى السيطرة على أفكار ومشاعر الجماهير بأنواعها، لكسب تأييد أو تقبل توجه في الجانب السياسي، ومحاولة جعل المتلقي يتصرف وفقا لمبادئ ومصالحها الجهة المشهورة، عن طريق دفع مخيال المتلقي في أن يفكر في اتجاه اقتناعي مندفع نحو التمثُّل للمشهر به. وكل ذلك ينجز وفقا لجماليات التعبير في اللغة أو اللهجة أداة الإشهار مع تقنيات الضوء والصورة واللون والحركة وجماليات الخط.

خصائص النص الإشهاري

1. النص الإشهاري خطاب يفهمه جميع الناس على اختلاف مستوياتهم ممن يتواصلون بلغة مشتركة، أو بلهجات متقاربة : متأثر بعضها ببعض، أو منحدره من لغة أم.. خطاب مرتبط بالحدثة والمعاصرة.

2. النص الإشهاري لا يشرح ولا يفسر، ولكنه أدلة إقناعية تستهدف التفرد بمخيال المتلقي واستبطان شعوره بإثارة مكبوتة اليومي، بوساطة الرمز وسحر الكلمة

وتأثير الألوان والإيقاع، وبعث الإحساس بالامتلاك والاستحواذ، أو بقرب تغيير الواقع المعيش..

3. النص الإشهاري متغير في شكله وفي دلالاته باستمرار.

4. النص الإشهاري مجهول المؤلف عند المتلقين، ولكنه معروف لدى المؤسسات الإشهارية.

5. من خصائص النص الإشهاري أنه لا يعبر عن الماضي ولا يمجده إلا بقدر ما يثير جماليات الحاضر وسحره بأساليب متنوعة.

6. النص الإشهاري قد لا يستقيم دالا على الإشهار وحده إلا بمساعدة غيره من ألوان الخطاب، كالألوان والإيقاع والحركة، أو جماليات الخطوط أو بها جميعا.

7. الزمن الذي يعبر عنه النص الإشهاري محدود، وتأثير النص فيه آني، محتواه يفقد قيمته إن لم يواكب تطور ما يعبر عنه، مما يؤدي إلى اعتباره نصا يأخذ طريقه نحو الأرشيف الذي قد نحتاج إليه في يوم ما لإعادة إنتاج التعبير به كنوع من العجائبية الإشهارية المتحفية.

8. النص الإشهاري يعتمد على لغة جماهيرية تستمد من المعجم اليومي المتداول المتطور تطورا سريعا بتطور منسئيه. ولكننا بالرغم من ذلك نحاول أن نطوع هذا المعجم إلى اللغة الفصيحة المكتوبة، لغة العلم والمعرفة.

9. مرجعية النص الإشهاري في بنائه وتأثيره ودلالاته تستمد من خلفيات متعددة أهمها :

أ. الخلفية التاريخية للأشخاص، وهي خلفية أشبه ما تكون بالمنعطف الرومانسي الجماهيري.

ب. الخلفية الاجتماعية التي تتأسس في مراعاة القيم والنوازع النبيلة في المجتمع، وتوحي بأحداثه والاهتمام بها، والعمل على تواصلها، أو تأسيسا لتجاوزها وتطويرها، لأن يفقد الإشهار عملا فنيا مدروسا يواكب آخر المستجدات في عالم الإبداع والاختراع أو عالم الأفكار الاجتماعية والسياسية والثقافية..

ج. الخلفية الاقتصادية التي يعبر النص الإشهاري من خلالها على الإمكانيات الهائلة التي تتيح آفاقا جديدة للمتلقي تمكنه من اكتشاف التحولات الاقتصادية، ومعرفة طاقاتها ومنتجاتها وطرائق استغلالها والاستفادة منها بأيسر السبل، ومن أقرب الطرق، وسواء في مجال الإنتاج الزراعي أم الصناعي أم التجاري أم أي نشاط اقتصادي له أثره في الحركة الاجتماعية.

10. النص الإشهاري نص براق وجذاب، يعتمد في كلماته وجملته وإيحاءاته على المبالغة التي أساسها الإيحاء المباشر المثير للكوامن والغرائز، بحيث تتسق مؤثرات الأصوات والألوان والحركات.. مع تلك الغنائية المحببة المتضمنة في حمولة النص بواسطة التتابع في حروف الكلمات، وفي كلمات الجمل البسيطة المكونة للنص.

11. النص الإشهاري يوظف مختلف مضامين الأدب الفصيح والشعبي وأشكالهما. من مثل إلى قصة إلى لغز إلى أغنية إلى شعر... بشرط ألا تكون تلك المضامين غريبة في دلالاتها وفي كلماتها وفي إيحاءاتها عن يوجه إليهم الخطاب.

13. النص الإشهاري ينزع نحو التجديد واستشراف المستقبل... يأخذ بيد المجتمع نحو آفاق المستقبل ويحسسه بالعيش في هذا المستقبل بأبسط السبل،

والوصول إليه من خلال التمكن من المادة الإشهارية أو تتبع الآراء التي يشهر لها. إنه وسيلة تدريب المجتمع على مسابرة التطورات الحضارية.

14. النص الإشهاري لا يخرج في محتواه ودلالاته عن الاتجاه العام لسياسة الدولة الاقتصادية والاجتماعية وكل توجهاتها التي ترعاها. ويمكن أن يكون النص خلاف ذلك عندما يتعلق الأمر بمجال الدعاية السياسية...

شروط بناء النص الإشهاري

يشترط في بناء النص الإشهاري ما يلي :

1. أن تكون كلمات النص مفهومة لمن يوجه إليهم الخطاب الإشهاري، فلا تعتمد الكلمات الصعبة غير المعروفة ولا المصطلحات المبتكرة غير المألوفة، ما عدا ما كان من تسمية المنتج أو المشهر به مما له صلة بعالم السياسة والإدارة وغير ذلك... فالمفردات التي يُلجأ إليها غالبا من استعمالات المحيط الحي الذي تتحرك فيه اللغة أو اللهجة، إلا أنه يمكن الاستنجد بألفاظ المعجم اللغوي التي فيها سحر الكلمة، وإثارة الذكريات الحاملة والحنين الرومانسي العجيب.

2. ألا تتجاوز حروف الكلمة المنتقاة لبناء النص الإشهاري ثلاثة أحرف، ماعدا المصطلحات أو مسميات الأشياء...

3. أن تكون الجملة في النص الإشهاري بسيطة غير مركبة وقصيرة لا تتجاوز حدود العناصر التالية : الفعل والفاعل والمفعول أو ما شابهه من كلمات الإتياع أو الصفات...

4. أن تركيب الجمل تركيبيا منطقيا على ما هو شائع في اللغة المشتركة للمتلقين، ويجتنب ما يعرف في النحو العربي من التقديم والتأخير والحذف والتأويل...

5. أن يبني النص على نحو يؤدي إلى تناغم كلماته أو جملة ، من خلال التوافق الصوتي في نهايات الكلمات من جهة ، والتوازن الجملي من جهة أخرى إن كان النص مركبا. ويستحسن اللجوء إلى الإتياع المعروف في النحو العربي في أواخر الجمل القصيرة .

6. أن لا تكون رموز النص وإشاراته معقدة تفاديا للإخلال بعملية التواصل مع المشهـر به .

7. أن لا تكون الكلمة وحدها هي الأداة في تبليغ الخطاب ، إنما يراعى أنها ستترقى بوسائل الخطاب الأخرى كالموسيقى والألوان والصور والخطوط بحسب أداة الإشهار.. ، وهذه الوسائل تؤدي وظيفتين مهمتين أو لاهما : العمل على كشف شفرات الكلمة. وثانيتها ربط المعلن عنه أو المشهـر به بمنظومة الجماهير الثقافية.

8. أن لا يكون النص الإشهاري نصا طويلا مملا يخل بالهدف المتوخى .

9. أن يقوم منتج النص بمتابعة ردود الفعل على السلوك العام ودرجة التجاوب في اتخاذ المواقف أو استهلاك السلع أو غيرها من أجل معرفة أثر شعرية النص في درجة التجاوب مع الرسالة الإشهارية.

10. في حالة قراءة النص الإشهاري في الوسائل السمعية البصرية ، يراعى أن تكون الكلمات التي تختار وترافق الصورة أو الحركة التمثيلية.. كلمات موحية بما يأتي كاستعمال الشرط مثلا أو غيره من الأساليب اللغوية المناسبة.

11. أن لا يكون النص معبرا أو موحيا بما يرسخ الدونية والفوقية المؤثرة، بل يسعى إلى إشراك الجميع في المتعة التي تحصل من جراء التمثل للمشهر به .

مضامين النص الإشهاري ومناصاته

النص الإشهاري المشبع بمضامين نفعية جمالية ذوقية، ووظيفته إثارة الإحساس بالتواصل العاطفي والوجداني من خلال ربط المنتج بالموروث الثقافي العام المشترك، عن طريق استلهاهم مضامينه، لذلك فالنص الإشهاري في نظرنا يستلهم مضامين ويحدث معها تناسبا واضحا ويصل من خلالها إلى إثارة المخزون العاطفي والوجداني في المتلقي. ذلك أن الموروث المتداول لدى الفئات الشعبية العريضة يثير فيها إحساسا رومانسيا غريبا عند إعادة صياغته وإنتاجه، فيدفعها إلى تمثيل الخطاب الإشهاري دون مناقشة.

ويمكن الإشارة إلى المضامين التالية على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. تاريخ الأشخاص ومواقفهم بحيث توظف الرموز الشعبية البطولية التي لها حضور تاريخي في أذهان الناس ببطولاتها ومواقفها.. وترتبط بهم ارتباطا عاطفيا وجدانيا.
2. مظاهر الحياة الحالمة الساحرة التي يصورها التاريخ الثقافي الشعبي المبني على رومانسية حالمة، وتجد رغبة عارمة في اكتشافها واكتشاف مظاهرها، فيعمل النص على تقريبها من المتلقي عن طريق استغلال الكلمات والفقرات الشائعة المعبرة عن نوازع الجمهور، مع ما يرافق ذلك من مؤثرات أخرى تستثير الخيال.
3. العناصر الخرافية، من أسماء وتعابير ونصوص وصور وأشكال وملاحم ورموز.
4. نصوص أدب الطفولة المشهورة بين الأطفال يمكن تحويلها إلى نصوص إشهارية لمنتج أو سلوك ما، ويراعى في ذلك أن تتحدد دلالة الكلمة أو الجملة

بالصورة واللون أو بهما وبالصوت والخط وغيرها من المؤثرات، بحيث تفهم دلالة النص مباشرة وتتأكد بوساطة ما يصاحب هذا النص من وسائل أخرى...

5. المضامين الدينية : ليس بالإمكان اتخاذ الدين وسيلة للإشهار في أي موضوع، فالنص الديني يوظف في الترغيب في فضيلة، أو العمل على توجيه المجتمع نحو سلوك معين لتجنب مخاطر تراها الدولة كالأوبئة والأمراض والآفات، وما يحل بالمجتمع مما يمكن أن يؤدي إلى هلاكه. أو لغرض التعاون والتعاقد والتآزر.. ولا يوظف لأغراض لا توافق ما يدعو إليه. كما يشترط ألا يكون مضمون النص الديني المشهر به من عقيدة غير عقيدة من يوجه إليهم النص، وإلا عدل عنه إلى غيره.

6. المضامين الاجتماعية، كأن تستوحى الأسرة في علاقاتها، الأب، الأم، الأبناء، الجد، الجدة، الحماة، الأخت، علاقاتهم فيما بينهم في مختلف مظاهر شؤون حياتهم اليومية الواقعية، سلوكهم التلقائي في البيت، مع الجيران والمحيط، ظروفهم، حياتهم الخاصة، ويسعى النص مع غيره من المؤثرات إلى تقديم المعلومات التي تجعلهم يكتشفون ذاتهم ومحيطهم بيسر دون عناء، ولكن بوساطة النص الإشهاري الذي يقدم المعلومة، لأن الإشهار في الأصل يقدم مفاتيح فهم التطورات التي تحدث في عالم ما ينجزه الإنسان مما يوفر له الجهد والوقت بأقل ثمن وبراحة بال دون قلق...

7. المضامين الاقتصادية: يتم التركيز في إعداد النص على الظروف الاقتصادية للدولة وللسوق وإمكانات الأسر والمجتمع بصفة عامة، وعلاقاتهم بالمنتج التقليدي والمنتج التكنولوجي، وأثرهم في حياتهما، ودرجة تقبل الناس لما يحدث من تطور

على المستوى المعيشي، وأسلوب الاقتناء لديهم، وتعاملهم مع الوفرة، و الندرة والرغبة في الاقتناء والتخزين، أو الاقتناء اليومي أو الأسبوعي، وتحسيس المتلقي بإمكانية الثراء والوصول إليه بالعمل، عن طريق اكتشاف السبل الميسرة لذلك. وصولاً إلى اقتصاد أسري سليم يعوض الاقتصاد التقليدي العرفي...

8. المضامين السياسية : وفي مجال الإشهار السياسي يراعى تحسيس المجتمع بالوضع المعيشية والظروف المحيطة به، وأثر التطورات الاقتصادية العالمية على الاقتصاد الوطني، وموقف الدولة ومشاريعها، وإن كان المشهر له شخصية سياسية مقبلة على إقناع الجماهير بوساطة الإشهار والدعاية، فإنه يكثر من إقناع الجمهور بالنتائج التي تستخلص من الدراسة والآراء التي يقدمها لكتاب النص مستشارو المشهّر له في الميدان عن الآفاق المستقبلية، ويُرَكِّز في بناء النص على الجمل المنعمة المتضمنة للمعلومة بوساطة أسلوب المثل أو الحكمة، معبراً عما يشغل أفراد المجتمع وما يأملونه من حلول فقدها في الراهن، بحيث يراها كل واحد منهم، و سيكون معنياً بها... من هنا يكون النص حاملاً لهذا الوعي المؤثر في الجمهور.

9. المضامين الإدارية : وهي مضامين إعلامية (Informationnels) أكثر منها دعائية (de Propagande)، ويكون ذلك في موضوع، تريد الدولة من خلاله أن تقترب من المجتمع لأمر يهمه أو تمهد لظهوره، لجس النبض من أجل معرفة درجة التقبل. والإشهار يأخذ في هذه اتجاهين :

الأول أن الدولة تريد التعريف ببنيتها ومكوناتها الإدارية وطاقتها وخدماتها التي نتجت عن البحث والتطور الذي وصلت إليه لخدمة مواطنيها، أو تنوه في نوع من الإعلام بالامتيازات الجديدة التي وفرتها للمواطن وأثرها عليه في مستقبل الأيام.

والثاني أن الدولة تعمل على تهيئة المجتمع لتقبل تغيير قد لا يرغب فيه المواطن مباشرة لأثره المادي والمعنوي فيه، فتعتمد إلى تهيئة المجتمع نفسيا وماديا للسلوك والعلاقات التي ستتخذها في موضوع إداري أو اجتماعي أو اقتصادي. وقد يكون الإشهار من باب حماية الاقتصاد ومراعاة عدم التبذير، وتنبيه الرأي العام إلى أخذ الحيطة والحذر في مسائل عامة تهتم الوطن والمجتمع.

أشكال النص الإشهاري

للنص الإشهاري أشكال متعددة لا يمكن فصل بعضها عن بعض لتمامها هي حدودها، وهي أشكال تعبر بالكلمة و الصورة والألوان و الأصوات والإيقاعات والحروف، و الصور الثابتة والمتحركة لمختلف الأشكال والألوان والمظاهر، وقلما ينفرد عنصر منها ليكون أداة تعبير. ذلك أن الخطاب الإشهاري في عالمنا يسهم اليوم في الحركة الاقتصادية، ويعمل على توسيع مجالات التبادل السلعي الاستهلاكي، وإيجاد أسواق جديدة، وانتشار على نطاق دولي واسع. ولذلك فإن الخطاب الإشهاري الذي يعتمد على الكلمة وحدها قد لا يؤدي غرضه إلا بالقدر الذي يمكن أن يصل إلى من يجيدون تلك اللغة، وهو أمر لا يساعد كثيرا على الرواج، وعلى سرعة الحركة الاقتصادية والتجارية وغيرها على نطاق واسع، ومع ذلك فالكلمة تبقى من وسائل الخطاب الإشهاري، بالنظر إلى وسائل الخطاب الأخرى، كالألوان والرموز والحركة والصورة. إلا أن الإصرار على حضور الكلمة في الإشهار ضرورة ترتبط بأيدولوجيا مهمة تحدد الهوية الثقافية والحضارية والإصرار عليهما من جهة، ومن جهة أخرى العمل على أن تواكب لغة المجتمع التطور.

وبالرغم من قرب النص الإشهاري من الفنون السمعية البصرية وتناغمه معها، فإننا في إعداد النص الإشهاري نعتد على التقسيمات المعروفة في الأدب شعره ونثره

حتى يظل النص مرتبطا بجذوره وبأصوله متحليا بجماليات إبداعه الأدبية واللغوية، مادامت الكلمة أساسه وغيرها من الوسائل والأدوات، من هنا يكون النص الإشهاري :

1. نصا تمثيليا إذا قصد منه تجسيد محتوى النص على الركح حركيا عمليا. فيحول إلى سيناريو يضبط فيه الحوار ويستعان فيه بفن آخر هو فن الإلقاء. والنص لا ينتج في هذا السياق بمعزل عن عناصر أخرى مهمة تكون حاضرة وتبدي رأيا يسهم في إنتاج النص المعبر، كالممثلين (Acteurs) ومقدرتهم على النطق السليم بالألفاظ، وكذا حضور المكلف بـ (السينوغرافيا) (Scénographie) ومختلف التقنيين بإشراف المخرج المدرب المؤهل، كما أن معرفة الفضاء الذي يُجرى فيه التمثيل واختياره من بين الفضاءات التي يرغب الجمهور في مشاهدتها أو التنقل إليها أمر في غاية الأهمية... وتلك عناصر تتعاضد لتسهم في تبليغ محتوى النص بوضوح.

والممثلون الذين يتحاورون يستحسن ألا يتجاوز عددهم أربعة، وما زاد على ذلك لا يكون له صوت حوارى بقدر ما يكون تواشيح دينية كورالا (Choral) أو ممثلا صامتا (Comparses) ماعدا الأطفال فإنه يمكن الإكثار من حركاتهم وأصواتهم المدروسة الموحية بالسلوك التلقائي، لأن ذلك مما يدخل في نمو الرغبة لدى الطفل وتقبله لما يشهر له به تمثيلا. ولا يحبذ أن يتجاوز الحوار الدقيقتين في أفضل الأحوال، كما أن النص يكون إيقاعه اللغوي متنسقا مع الحركة واللباس والألوان والمظاهر المختلفة، والتأثير باستغلال المشاهد الحركية التي يرغب فيها الجمهور ويحبها ويريد تقليدها، خاصة إذا كان الممثل ممن له تأثير نفسي في الجمهور بأدواره التمثيلية التي يعرفها عنه ويحترمه ويقدره من أجلها...

ويركز في الحوار على العناصر التالية :

أ - العلامة (Marque) وأهميتها في السوق التجاري إن كان النص الإشهاري في مجال التجارة والتسوق (Shopping). وقد يكون التركيز على فعالية المنتج دون العلامة (Marque) أو يكونان معا.

ب - المبدأ في المجال السياسي وربط كل المعطيات الدرامية به في حالة الحملات الانتخابية أو التنافس السياسي في مواقف أخرى، كالتهيئة للقاء الخصم على المباشر وإشراك الجمهور في الحوار، كل ذلك يصب في قناة تهيئة الجمهور وإعداده لتقبل قنوات المشهر له، و النص الحواري في ذلك يراوح بين العودة إلى الموروث وبين استغلال تطلعات الجمهور فيما يرغب أن يعبر عنه ولايستطيع قوله، فيكون النص متضمنا لتلك الرغبة مركزا عليها متوخيا الدليل الحسي المفحم الذي يمارسه الممثلون أو المتحاورون.

ج - النمطية والخصوصية المتفردة لما يشهّر به.

د - جذب المتلقي نحو المشهر به بقوة اللغة والحركة واللون والصوت والصورة. وفي حالة انعدام الصورة يركز في الحوار على دقة الكلمات وفخامة أصواتها، وعلى الممثل والموسيقى والمؤثرات الصوتية.

قد يستهدف النص ودلالته الإقضاء من السوق أو من الساحة السياسية أو من غيرهما، فيعتمد النص على المؤثرات الصوتية والضوئية والحركية أثناء الحوار في التمثيل المرئي وعلى صوت الممثل والمؤثرات الصوتية لأداء الحوار والتمثيل المسموع، وبعبارة أخرى فإن النص الحواري يعتمد بالتداول (كلمة، حركة، صورة) أو (كلمة، مؤثر صوتي، موسيقى)، بحيث يؤدي محتوى النص إلى التشكيك في قنوات

المتلقي من خلال عرض موقف آخر بديل يوحي بالثراء والوفرة والجودة والمتعة وإزالة الحيرة والقلق...

2. مثلا شعبيا أو فصيحاً : كأن يعتمد على الأمثال الدارجة الشائعة المقنعة، التي تشيع بكثرة في الأوساط الشعبية، لأن المثل بمجرد مروره وسريانه يصبح أكثر قابلية للتصديق ولا يناقش، لأنه حكمة السلف مغربلة، لا تحتاج إلى تأمل وتدبر. وقس على ذلك الأحجية (البوقالة) والفزورة والنادرة والخرافة.. الخ.

والواقع أن الأمثال مفتاح للمقارنة، وتزويد المستهلك للخطاب بثقافة ماضوية جاهزة تيسر سبل الاستيعاب، وتجد لها مبرراً في أمور كثيرة.. ولكن يشترط في النص المثلي أن يكون قصيراً بعيداً عن الأمثال المعقدة أو المركبة التي تركز على خصوصية فردية، فلا نلجأ إلى الأمثال التي ترسخ الأمية والفكر الأمي أو القروي أو القبلي، أو تلك التي تكون وسيلة للتواكل، أو خلق الفوارق في المجتمع، أو تؤسس لمجتمع غير متجانس في قيمه وثقافته، كما لا نلجأ إلى الأمثال المركبة الطويلة التي تخص منطقة معينة، أو لاتفهم إلا في إطار ضيق، ما عدا إذا كان الخطاب الإشهاري المراد به التوجه إلى منطقة معينة، وهي معنية به دون غيرها، فإنه يمكن في هذه الحالة استغلال إمكانيات التعبير في تلك المنطقة وتوظيف عناصر نصية من ثقافتها لتبليغ الخطاب الإشهاري.

كما يراعى عدم اللجوء إلى النصوص المعبرة التي تخدش الحياء لدى المتلقي والجمهور بصفة عامة، بحيث لا يكون تجاوزاً لمحرّماته وبعبارة أخرى يراعى العرف في إعداد النص الإشهاري.

3. أغنية شعبية أو فصيحة : متداولة معروفة لها طابع الشعبية، والنص قد يكون هو الأغنية توظف لأداء معاني محددة. وقد يضاف إلى نص الأغنية جُمَل تتقدمه أو تتخلله، أو تأتي بعده مع ما يصاحب ذلك من موسيقى أو ألوان وخطوط وصور..، والنص المركب لا يقطع الأغنية ويذهب بسحرها الفلكلوري، بل يتساقق معها خفة وأداء وتعبيراً دون ملل أو ضجر.

وإن كان النص الإشهاري يعتمد على مقطع غنائي، فإنه يقطع منها (أي الأغنية) المقطع المرغوب فيه المحبب ويشهر به ويُتَّخَذَ خطاباً إلى جانب الصورة، أو توضع صورة من اشتهر بغناء تلك الأغنية ضمن مكونات لوحة الإشهار. وأحياناً يكتب بنص الأغنية الشعبية الشهيرة المقروء ولا يكتب معها شيء لأن ذلك أبلغ الخطاب.

4. نسا قصصياً : كأن نلجأ إلى القصة الخرافية أو الحكاية الشعبية فنأخذ مقدماتها من مثل : " يا سادة ويا مَادَة واجعلنا من أهل السعادة... " كما في اللهجة الجزائرية، أو مقتطعات منها مشهورة. أو كان يا مكان في سالف العصر والأوان فارس من الفرسان أو بطل من الأبطال... لإحداث عنصر المفاجأة وحب المعرفة مثلاً، فتذكر مثلاً : المقولة المشهورة في القصة الخرافية الشعبية التي يعرفها تقريبا سكان الجزائر (تيس، تيس، حزر فكر واش في القلمون أو التليس!)[□] والتليس أو القلمون يتضح من

□. تيس : كلمة من كلمات الإتياع في العربية، وهي هنا تؤدي وظيفة التنبيه بتكرارها وتكرار حرف السين الذي يتحول إلى حرف همس رقيق جداً. أما التليس فإنه عبارة عن كيس كبير معد لنقل الحبوب أو غيرها، ينسج من شعر الماعز المزوج بالصوف مقسم قسمين، بحيث يتحول إلى كيسين ملتصقين يوضعان على ظهر الدابة، أحدهما على يمينها والأخر على يسارها. وشبيهه الزنبيل أو الشَّواري ومسمياته الأخرى، إلا أن الزنبيل ينسج من الحلفاء وهو عبارة عن سلتين ملتصقتين توضعان على ظهر الدابة لحمل الحبوب أو الرمل أو أي شيء آخر..، إحداهما في اليمين والأخرى في اليسار مفتوحتان إلى أعلى.. والقلمون (ثاقلمونت) كلمة أمازيغية تطلق على غطاء الرأس الممتد من البرنس.

خلال الصورة بحسب القصد، الحسنُ أو القبح للمشهر به.. وفي كل ذلك لا يتجاوز النص القصصي الفقرة ذات 10 كلمات أو 15 كلمة، إلا أن الإشهار بنصوص الموروثات الشعبية يحبذ فيها أن تكون منطوقة لاعتیاد الناس عليها منطوقة بصوت مناسب وفقا للمقام وللمشهر به وله، ولأن نطقها يضفي عليها الجو الذي يتخيله المستمع، وسواء أكان ذلك في الإذاعة أم في التلفزيون.

4. شعرا قديما أو حديثا : فنلتقط منه ما هو مشهور متداول ومحبيب ترديده، وفي هذا الميدان تملك الشعوب رصيда هائلا من الكلمة الساحرة الحاملة التي تستثير العواطف والأشجان..

بنية النص الإشهاري وخصوصية المكان

النص المقروء نوعان :

فالأول نص مكتوب محمول وهو المتداول الموثق في صحيفة يومية أو أسبوعية أو في كتاب أو نشرة أو مطبوعة يحملها القارئ، يراعى في إعداده مستوى الجمهور الذي تتوجه إليه الوثيقة بالخطاب، وعلى قدر ثقافة القارئ يكون إنتاج النص ؛ فإن كانت مجلة جماهيرية عامة يستحسن أن يرفق بصورة ما، أو بصورة ساخرة من نوع الكريكاتور.. وإن كانت مجلة متخصصة علمية فإن لغة النص الإشهاري يتوخى فيها بناء لغويا يسمو إلى لغة المتخصصين الذين تتوجه إليهم المجلة أو الصحيفة بالإشهار، والصورة ليست مهمة لهذا النوع من الجمهور بقدر ما هو مهم ذكر الخصائص والمزايا في عالم المنتوج الجديد أو المماثل في السوق، أو في ما يمكن أن يثيره، باكتشاف لونه أو حجمه أو مكوناته الظاهرة... أو بما يثيره من أسئلة... أو ما يقدمه من خدمات للباحثين والدارسين...

وفي كل الأحوال فإننا في النص الإشهاري الذي واسطته الوثائق، يراعى في إنتاجه الدراية بالميدان والاختصاص والمصطلحات المعرفية المتعلقة بالمشهر به، ومعرفة أساليب الإقناع العلمي. والنص الموجه للعلماء والمثقفين غير النص الموجه إلى عامة الناس...

والثاني النص المكتوب غير المحمول (مثبت) وهو أشكال بحسب مواقع الإشهار كأن يكون في :

- أ - الملاعب.
- ب - القاعات.
- ج - الطريق.
- د - على شاشات عرض إلكترونية.
- هـ - على سيارات النقل المتحركة.
- و - على ألبسة يرتديها الأشخاص.
- ز - أدوات ووسائل يحملها الأشخاص ويتجولون بها أو يستعملونها في حياتهم اليومية، أو أي موقع من المواقع.

وفي كل ذلك نفرق بين نص يعد لمؤسسة تجارية كبرى لها عراققة وتاريخ وثقافة متواصلة في الإنتاج، ولها سلطة ونفوذ في المجال السياسي والاقتصادي والإعلامي، وبين مؤسسة تجارية صغيرة ناشئة تستغل الإشهار للتعريف بإنتاجها وبخدماتها، والبحث عن مكانة لها بين عالم المؤسسات الكبرى.

كما أننا ننتبه حين إنتاج النص الإشهاري إلى أن لكل ميدان لغته التي تتلاءم معه وتتوافق مع الوسائل الأخرى، كالأضواء، الألوان والأصوات والأشكال ومساحات الحروف...

أ - الإشهار في الملاعب يقتضي التركيز على الجملة القصيرة المنغمة، وعلى مساحة الحرف، بحيث تقرأ من مسافات بعيدة، وتسمح للكاميرات المقابلة بالتقاطها وقراءتها بسرعة من قبل المتفرج المتابع لما يجري في الملعب عبر شاشات التلفزة، والنص هنا لا يكتفي بمساحته، بل يرفق بشعار (Slogon) أو رمز (Logo) المؤسسات التي أشهّرت. ويكون في مكان يسمح للجمهور برؤيته فيترسخ في ذهنه كلما جرى حديث عن المباراة أو شاهد ما شُهر به خارج الملعب، والنص في هذه الأماكن لا يتجاوز الجملتين من ست كلمات تنتقى بدقة وعناية وتركب تركيباً منغماً، وبألوان ومساحة للحروف جاذبة.

ب - في الأماكن العامة الأخرى يراعى أن تكون لغة النص قريبة من لغة الجمهور من جهة، ومن جهة أخرى لا مانع من استعمال الكلمات الأجنبية الدخيلة المشهورة المتداولة التي لا يجد لها الجمهور مرادفاً في لهجته أو لغته، ولكن لا يجب أن تغطي على النص، لأن الإشهار أيضاً يستهدف الحفاظ على القيم وثوابت المجتمع الذي تقوم مؤسساته الإشهارية بتوجيه الخطاب الإشهاري إليه. وفي حالة إرفاق النص بالصورة المثبتة في الأماكن العامة، كأماكن الحافلات والسيارات أو التجمهر ونقاط التلاقي والعبور، فإنه يشترط في النص أن يقدم المعلومة التي تدفع الشخص إلى الإقبال على المشهر به من منتج المؤسسات التجارية أو السياسية أو الثقافية، لأن الإشهار في هذه الأماكن يسمح بوصول الخطاب إلى فئات عريضة من أبناء الوطن والأوطان الأخرى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن النص الذي يكون بهذه الأماكن يتوخى الثقافات، ويتوخى المناطق وخصائصها، والعادات والسلوكيات المتباينة بتباين الموطن والمنشأ والثقافة... و على معد النص أن يكون

مدركا لذلك بعيدا عن التأثير العاطفي والإيديولوجي إلا ما كان من خطاب سياسي فإنه يراعي الخطاب الذي يستقطب الجمهور حول نقاط مشتركة تهتم مختلف الفئات والثقافات...

ج - أما نص الإشهار في القاعات: فإنه يكون على ملصقات أو معلقات يتمكن جمهور القاعة من رؤيتها، وبما أن الجمهور يمكث في القاعة فترة طويلة، فإنه يمكن للنص الإشهاري أن يتجاوز خمس جمل في كل ملصقة، وأن تتكامل النصوص لتكوّن فكرة إشهارية عن المشهّر به، كأن تكون مواد تجارية حدث فيها تغيير أو تبدل، أو إنتاجا جديدا، أو بلورة تعابير سياسية أو ثقافية. والأولى أن يبني النص من مقاطع أو فقرات أو جمل تتوزع على مجموعة من الملصقات تعبر في مجملها عن محتوى موضوع ما...

د - النص الإشهاري على لوح إلكتروني يتكرر ظهوره، أو لا يتكرر، فإن النص الإشهاري يعد على أساس جمل أو كلمات متتالية توحى بموضوع الإشهار أو تعريفه أو أي غرض يقصد منه، لأن سرعة الشريط تحدد النص. ويراعى في ذلك أن تكون لغته من المحيط ومن الكلمات المتداولة أو المقتطعة من نصوص مشهورة، كأن تكون غنائية أو سياسية أو مدرسية أو أقوالا مشهورة... والنص يتحدد بالمدة التي يستغرقها الحرف في الظهور وفي إمكانية القراءة لمختلف الفئات والمستويات، هذا إذا كان اللوح الإلكتروني شريطا مضيئا ومتحركا. أما إن كان عارضة إلكترونية مضيئة مثبتة فإن الاقتصار على جملة أو جملتين يكون كافيا في بناء نص، كأن يكون اسم الشركة + جملة مشهورة، أو يكون شعار الشركة (Slogon) + جملة موحية... أو شعار الشركة واسمها وكلمة واحدة تتوافق مع المعطيات التي يمنحها الشعار المروج له، الخ.

هـ - وإن كان النص على ملبوسات تراعى مساحة الظهر أو الصدر، فتثبت الرسوم والشعارات على الظهر، ويكتفى بذكر أسماء المؤسسات مع بعض الخصائص المعروفة على نطاق واسع.

وإذا كان النص على الصدر فإنه يراعى الكلمات المتفائلة الدالة على الجوانب الجمالية والمحبة بعيدا عن المس بالعرف العام وبالقيم الاجتماعية... وفرق بين صدر المرأة وصدر الرجل وكذا صدر الطفل، من حيث النص والمساحة والموقع وحجم الحرف، ويبقى صدر المرأة أكثر جاذبية للإشهار. ولاننسى بأن الإشهار على ملبوسات الأطفال تقتصر فيه على الكلمة الموحية التي تتحدد دلالاتها بما يرافقها من صور وألوان أو غيرها من مؤثرات موضحة، وقد يكون النص جملة بسيطة رفقة شعار أو نمط معين من الخطوط عرفت به الجهة المشهورة، يستثير رغبة الأطفال كلما شاهدوه...

و - أما إن كان النص الإشهاري متحركا أي أنه متنقل على واجهة سيارة، فإنه يركز على النص بحيث يكون سهل القراءة ويفهم مباشرة دون عناء.

ز - وإن كان النص الإشهاري معدا لأن يراه عابرو الطرق، فإنه يلتقي مع ذلك الذي أشرنا إليه في أماكن السفر والعبور والتجمعات، ولكن يضاف إلى ذلك التركيز على الصفات والأسماء المتعلقة بالمشاركة، وتكون في الغالب المساحة للحروف وبنية الكلمة لا تتجاوز الحروف الثلاثة وإلا أُخِلَّت ببناء النص، إلا ما كان اسما للمشهر به، فإنه يتناغم مع الشعار أو الصورة، بحيث إن أحدهما يكون دالا على الآخر، والنص يظل أكثر وضوحا، لأنه يحدد المشهر به كما يحدد المنتج والمؤسسة. وهناك ملاحظة مهمة هي أن القارئ هو المتحرك، عكس ما يحدث عندما يكون النص

الإشهاري هو المتحرك، فالصورة قد تكون دالة على المشهر به أكثر من النص. كما يشترط أن يتموضع النص في الجهة المعاكسة للشخص المتحرك، فإن كان السير على طريق مزدوج فإن النص يقابله، بحيث يكون على يساره بزواوية شعاعية تسمح بقراءة النص، وإن كان يسير في طريق باتجاهين غير منفصلين، فإن اللوح يكون دائماً على الجهة اليمنى في الذهاب والإياب.. و النص إذا توخى ما ذكرنا فإنه من قلة كلماته والاقتصاد في حروفه سيؤدي رسالة لها أثرها بدرجة فاعلة وكبيرة.

هل يمكن التأسيس لمعجم لغوي إشهاري؟.

الواقع أن ربط الإشهار بمعجم معين يعد ضرباً من التعسف، ذلك أن الإشهار منفتح على اللغات كما هو منفتح على اللهجات، ومهما كانت المفردات التي نقترحها لا يمكن إلا أن تشكل نقطة من بحر لغوي ينهل منه كاتب النص الإشهاري، لأن الإشهار في النهاية يواكب تطورات اللغة، والتطورات الاقتصادية والسياسية والعلمية، وهو في النهاية يهدف إلى تبليغ الخطاب الفاعل المؤثر من أجل الحصول على مراد ما ببسر و سهولة من خلال الترويج والدعاية، فقد يكون بالنص مصطلحات أجنبية عند الترويج أو التشهير لمنتج، وقد يكون بكلمات دارجة لا أثر لها في اللغة، وقد يكون استمد مفرداته من خليط لهجي ولغوي وطني وأجنبي، وهذا ما هو جار اليوم وسيكون غداً وبعد غد مادام الإشهار يلجأ إلى اللغة المنطوقة في غالب نصوصه. إلا أن ما تجدر إليه الملاحظة هو أن معد النص يراعي لغة المجتمع الذي يشهر فيه وله، وخاصة اللغة القومية أو المحلية التي تتضمن خصائص مرتبطة بعواطف ومشاعر الناطقين بها وتدخل ضمن احتياجاتهم النفسية والاجتماعية والثقافية.

هناك مراجع كان لها حضور غير مباشر في هذا المقال نذكر منها :

أ - المراجع العربية

1. د. هويدا مصطفى - الإعلان في الأنظمة الإذاعية المعاصرة - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ط 1 - 1999.
2. جرار لانيو - سوسيولوجيا الإعلان - ترجمة د. خليل أحمد خليل - منشورات عويدات بيروت، لبنان - ط 1 - 1996.
3. فتحي الأبياري - فن الدعاية والمخطط الصهيوني - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة د/ت.
4. يوجين قال - فن كتابة السيناريو - ترجمة مصطفى محرم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1997.
5. علامات - مجلة فصلية - صاحبها سعيد بن كراد - تصدر بمكناس - المملكة المغربية العدد 7. 1997.

ب - المراجع الأجنبية :

1. Gaston Hanon, Découvrir la publicité, édition Labor. Bruxelles, 1984.
2. Robert Leduc, Comment lancer un produit nouveau, 2^{ème} édition, Dunod, Paris.
3. Robert Leduc, La publicité une force au sein de l'entreprise, Dunod, Paris.
4. Francis Fehr, Publicité, 17^{ème} édition, Dunod, Paris, 1969.

العرق والمورثات ونسبة الذكاء

نقاش سَمِّمه غموض المفاهيم

بقلم : نيد بلوك Ned Block

ترجمة : د. أبو بكر خالد سعد الله

أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة - الجزائر

تقديم (المترجم)

هل الذكاء يورث بنسبة 20 % أو 80 % ؟ لقد عاد هذا الموضوع إلى الواجهة مؤخرا بعد أن نشر الأستاذ ريتشارد هيرنشتاين (R. Herrnstein) (المختص في علم النفس، والمتوفى الآن) والأستاذ شارل موري (C. Murray) (المختص في العلوم السياسية) كتابا في الولايات المتحدة عام 1994، بعنوان [The Bell Curve (Intelligence and Class Structure in American Life) المنحني الجرسى (الذكاء والبنية الطبقية في الحياة الأمريكية)].

وخلاصة القول التي توصل إليها صاحبها هذا الكتاب، أن المورث (gene) يؤدي دورا أهم من دور البيئة في المستوى الفكري للإنسان. وكانت هذه النتيجة حصيلة دراسة المجتمع الأمريكي (الأبيض والأسود) التي قام بها المؤلفان سيما عبر روائز نسب الذكاء. ونظرا ما للموضوع من حساسية في المجتمع، ذاع صيت الكتاب وانتقده الكثيرون وأيده آخرون.

ومن بين المؤيدين، لفيف من الأساتذة الجامعيين الأمريكيين والبريطانيين زاد عددهم على الخمسين - قدموا أنفسهم على أنهم «خبراء في قضايا الذكاء والمواضيع المتصلة به» - وقد أصدروا بيانا يوم 15 ديسمبر 1994 نشر في الصحيفة الأمريكية (The Wall Street Journal) تحت عنوان (Mainstream science on intelligence) (وجهة نظر أغلبية أهل العلم في الذكاء). وتضامن هؤلاء الجامعيون مع مؤلفي الكتاب مؤكدين، بوجه خاص، على أن بإمكان المورثات أن تكون مسؤولة عن الفارق في نسبة الذكاء بين السود والبيض... مع العلم أن الكتاب المذكور أوضح فارقا كبيرا في هذه النسبة لصالح البيض.

ولحد الساعة، مازال هذا الموضوع يسيل الكثير من الحبر بـين مؤيد ومعارض. وقد نشرت مجلة (La Recherche) (عدد 294، يناير 1997) بحثاً قيماً تناول فيه أحد المختصين الأمريكيين في فلسفة العلوم (وهو نيد بلوك، الأستاذ بجامعة نيويورك) هذا الموضوع، محاولاً التوفيق بين أوجه النظر المختلفة. ونظراً لأهمية هذا المقال، أرتأينا ترجمته.

أنا مختص في فلسفة العلوم، أقوم بتحليل المجادلات العلمية من أجل توضيح المفاهيم، وهي مهمّة تعتبر، في نظري، مصدراً للتقدّم. وفي النزاع الذي نشب حول كتاب «المنحنى الجرسى» للمؤلفين ريتشارد هيرنشتاين وشارل موري[□]، يبدو لي أن الطرفين وقعا ضحية لغموض في المفاهيم المتعلقة بالتحديد الوراثي للسلوك البشري. سأحاول في هذا المقام أن أرفع هذا اللبس حتى يتمكن القارئ من تقييم ما قد أثبت فعلاً وما لم يتمّ البرهان عليه.

لنتأكد، بادئ ذي بدء، بأننا استوعبنا حقاً دعاوى الكتاب. يؤكد هيرنشتاين وموري أن نسبة ذكاء السود الأمريكيين أقل - وراثياً - من نسبة ذكاء البيض. كما يؤكدان أيضاً على وجود ما يسمى بـ «الذكاء العام» ذي الأهمية الاجتماعية البالغة، والذي يبدو أنه قابل للقياس بواسطة روائز نسب الذكاء، وأنه «قابل للوراثة» بنسبة 60% حسب الدراسات التي أجريت على البيض (بخصوص تفسير القابلية الوراثية، أنظر أدناه).

وفي مقال حديث عنوانه (The Real Bell Curve)² (المنحنى الجرسى الحقيقي) أبدى شارل موري امتعاضه من ملاحظة بعض النقاد - أمثال ستيفن جاي غولد

□. R. J. Herrnstein & C. Murray, The Bell Curve, Free Press, New York, 1994.

□. The Wall Street Journal, 2/12/1994.

(Stephen Jay Gould) - يقرؤون في كتابه دعوى تقول إن فروق نسب الذكاء بين الأعراق ترجع ، بالدرجة الأولى ، إلى العامل الوراثي. ويردّ موري على هذا التأويل بنص مأخوذ من الكتاب ذاته : «إذا اقتنع القارئ ، الآن ، بأن التفسير الوراثي أو التفسير البيئي هو المتغلب دون الآخر ، فإننا نكون قد أسأنا تقديم كل من هاتين الأطروحتين. يبدو لنا أن هناك احتمالاً قوياً يجعل المورثات ، وكذا البيئة ، تساهم في الفروق العرقية. لكن ، كيف نقوم دور كل منهما ؟ إن درايتنا بهذا الموضوع معدومة ؛ إذ أن المعطيات المتوفرة حوله لا تسمح بعد ، بتبرير أي تقييم».

إن النقطة التي يعلن هيرنشتاين وموري بشأنها أن "لا دراية لهما بها" هي مسألة معرفة ما إذا كانت مسؤولية انخفاض نسبة ذكاء السود تقع ، بالدرجة الأولى ، على العامل البيئي أو على العامل الوراثي. لكنهما لا يبديان أية «لاأدرية (agnosticism)» عندما يؤكدان بأن جزءاً من الفارق في "نسبة الذكاء" - وهي صيغة ذات إشكالية عويصة ، كما سنرى أدناه - بين السود والبيض ، ذو مصدر وراثي. وإذا راعينا الطريقة التي يعالجان بها هذه المسألة فهذا يعني بأنهما لا يبديان أية «لاأدرية» فيما يتعلق ببعض النقص الوراثي لدى السود.

وتستند حجة هيرنشتاين وموري ، المؤيدة للتفسير الوراثي لفروق نسبة الذكاء ، إلى أمرين : نسبة الذكاء تورث بنسبة 60% لدى المجتمع الأبيض ؛ وهناك فرق مستقر يساوي خمس عشرة نقطة بين متوسط نسبة ذكاء البيض ونفس المتوسط لدى السود. ولما كانت نسبة ذكاء البيض تعود ، بالدرجة الأولى ، إلى العامل الوراثي فمن الطبيعي أن نستخلص - حسب هيرنشتاين وموري - بأن الفرق بين السود والبيض هو الآخر يرجع ، جزئياً على الأقل ، إلى العامل الوراثي. والواقع أن استدلالهما أكثر تفصيلاً ؛ فهما يحللان أيضاً توزع وضخامة الفوارق. سأعود إلى هذه النقطة ، لأن أهم مواطن الخلل قد تجلت منذ الآن.

ويقوم استدلال هيرنشتاين وموري على الفكرة القائلة إن الخمس عشرة نقطة التي تمثل فرق نسبتي الذكاء تقسم الى قسمين، أحدهما وراثي والآخر بيئي، وهو ما يوحي بأحد الحلول التالية :

* البيئيَّة المتطرّفة : يتساوى السود مع البيض من الناحية الوراثية. وبالتالي فالفرق في نسبة الذكاء يرجع كله الى البيئة.

* الوراثية المتطرّفة : يتساوى السود مع البيض من الناحية البيئية. وبالتالي فالفرق في نسبة الذكاء يرجع كله الى أصل وراثي.

* وجهة النظر المعقولة : السود يعانون من الحرمان على المستويين الوراثي والبيئي. إذن، فالفرق في نسبة الذكاء يعود جزء منه الى المورثات، بينما يعود الجزء الآخر إلى البيئة.

إن كانت نسبة الذكاء تُورث بنسبة 60% فهذا يلغي، فيما يبدو، حالة "البيئية المتطرّفة". ثم إن هناك أثارا معروفة للبيئة على نسبة الذكاء، تضاف إليها الفوارق بين بيئة البيض وبيئة السود، وهي فوارق سلّم بها هيرنشتاين وموري. إن هذه الآثار تلغي، بدورها، حالة "الوراثية المتطرّفة". وهكذا لم تبق سوى "وجهة النظر المعقولة" التي تتضمّن بعض النقص الوراثي لدى السود.

الفرضية الرابعة : السود متضررون، بيئيا،

لكنهم متفوقون، وراثيا، على البيض

والملاحظ أن صيغة هذه الفرضيات الثلاث تخفي فرضية رابعة بالغة الأهمية : السود متضررون كثيرا من الناحية البيئية، لكنهم متفوقون، على البيض، من

الناحية الوراثية. إذا ما قبلنا بهذا الإحتمال، فسنحصل على مجموعة جديدة من الفرضيات تلغي كل منها الأخرى : من الناحية الوراثية، فإن السود متخلفون أو متفوقون أو يعادلون البيض. إنني لا أقول إنه من الأرجح أن يكون السود متفوقين وراثيا على البيض، لكنني أقول إن ذلك أمر وارد؛ مع الملاحظة أن ما نعتبره أمرا محتملا يؤثر على ما نحكم عليه بالموقف المتطرف، وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية. والجدير بالإشارة أن نقاد الكتاب مالوا الى التهرب من هذه الإمكانية. ففي وجهة نظر حرة نشرت في صحيفة النيويورك تايمز - قُدّم فيها كتاب "المنحنى الجرسى" على أنه كتاب "خال من الجدية" وأنه "ليس سوى قذح عرقي" - أكد كاتب الافتتاحية، بوب هربرت (Bob Herbert)، بأن «الخبراء في هذا الموضوع يُجمعون، بأغلبية ساحقة، على الاعتقاد بأن الظروف البيئية تفسّر أهمّ الفوارق الملاحظة لدى مقارنة نتائج الاختبارات التي أجريت على مجموعات كبيرة»[□]. والواقع أنه يشير هنا الى الآثار المعروفة للبيئة على نسبة الذكاء وذلك للدفاع عن الأطروحة التي ترى نقسا وراثيا طفيفا لدى السود. وبهذه الكيفية فهو يقبل بإحدى صيغ "وجهة النظر المعقولة". وحتى ستيفن جاي غولد فإننا نراه قد تعتبر بهذا الخصوص في مقاله - الممتاز - المنشور في صحيفة نيويورك ركر (New Yorker)[□]. ذلك أنه تقبل، فيما يبدو، منهج النقاش الذي اتّبعه كتاب "المنحنى الجرسى" ؛ وأعاب على هيرنشتاين وموري استنقاصهما تأثير العامل البيئي على نسبة الذكاء. ويقول إنهما "حوّلا كل قشة الى وتد لصالحهما، مكتفيان بالإشارة إلى الحجج المدعّمة لرونة

□. «Throwing a curve», New York Times, 26/10/1994.

□. «Curveball», New Yorker, LXX, 139-149, 1994.

نسب الذكاء وضعف متوسط الفارق الوراثي، وهذا قصد الإستنتاج من قيمة تلك الحجج". ولم يتخذ غولد احتياطات كافية إزاء التفسير الطبيعي لـ "ضعف متوسط الفارق الوراثي" الذي أشار إليه، إذ يعني نقصا وراثيا طفيفا للسود.

وفي الصحيفة الأسبوعية اليسارية (The New Republic) أظهر العديد من المؤلفين طريقة مماثلة في التفكير، متحججين بضعف حجم "المركبة الوراثية للفرق بين السود والبيض" [□].

إذا قبلنا بالطريقة التي يقدم بها "المنحنى الجرسى" الاختيارات الممكنة، فإن الفكرة القائلة إن الفوارق البيئية بين السود والبيض تكفي لتفسير فارق الخمس عشرة نقطة في نسبة الذكاء، فكرة تحمل ملامح التطرف. غير أن مراعاة البدائل الموجودة فعلا - من الناحية الوراثية، فالسود يعادلون البيض أو هم أقل درجة أو أعلى درجة منهم - تبين بأن فكرة انعدام الفارق الوراثي لم تعد فكرة متطرفة.

ألا تُعتبر فرضية تفوق السود - وراثيا - فيما يتصل بنسبة الذكاء، محاولة يائسة وشقية لاستغلال احتمال منطقي بسيط؟ لنأخذ حالة مماثلة. إن عدد أصابع الأرجل محدد وراثيا لدى الدبابات (الكسلى) والبشر. نلاحظ أن للبشر خمسة أصابع، أما الدبابات النهارية فلها ثلاثة. هل يجوز أن يتجه الفرق الوراثي المحدد لعدد أصابع الأرجل لدى الإنسان ولدى الدبابات في الاتجاه المعاكس للفارق الذي نلاحظه؟ من المحتمل أن الدبابات التي لها الآن ثلاثة أصابع قد كان لها في العصور الغابرة ستة، غير أننا لم نشاهد سوى ثلاثة؛ ربما أدت إحدى المواد الكيميائية من نوع التاليدوميد (Thalidomide) إلى تلوث غذاء تلك الحيوانات خلال السنوات التي

شاهدناها فيها. إنه احتمال ضعيف جدا. لكن هذا المثال يوحي بمبدأ لم تتم صياغته بعد، وهو يدعم فكر هيرنشتاين وموري.

المبدأ الأساسي : إذا كانت إحدى السمات وراثية الى حد كبير وشاهدنا، بخصوص هذه السمة، فرقا وراثيا بين فئتين فإن الفرق الوراثي سيميل، بالتأكيد، الى نفس اتجاه الفرق المشاهد.

لنطبق هذا المبدأ على حالة نسبة الذكاء : نظرا إلى الخاصية الوراثية لهذه النسبة (60% في المجتمع الأبيض) فإننا لو وجدنا تفوقا في نسبة الذكاء المحسوبة لدى مجتمع شرق آسيا لاستنتجنا - بناء على المبدأ الأساسي - بأن التفوق الوراثي للشرق آسيويين شبه أكيد، وبأنه إذا كانت نسبة ذكاء السود ضعيفة فهناك احتمال قوي في أن يكونوا متخلفين وراثيا في هذا المجال.

وعلى الرغم من أن هذا المبدأ يببدو سليما من الناحية الحدسية، إلا أنه يخضع لأحد الاحتمالين : إما أنه مبدأ لا يلائم استدلال هيرنشتاين وموري وإما أنه مبدأ خاطئ. وحتى نحيط بهذه المسألة، ينبغي علينا، بادئ ذي بدء، تشخيص لبس بالغ الأهمية في لفظ "وراثي". إن لهذه الكلمة معنيين، سأناقشهما بالتفصيل، لاحقا. واختصر هنا القول في كلمتين : إن التأكيد على أن سمة ما سمة "وراثية" قد يعني بأن السمة ذاتها تحدت عبر مورثات الفرد (السمة محددة وراثيا)، وقد يعني أيضا أن مصدر الفروق، فيما يخص هذه السمة لدى بعض المجتمعات، يمكن استكشافه إلى حد المورثات (تُظهر السمة درجة مرتفعة من القابلية الوراثية).

ينبغي علينا التمييز بين الفكرة الشائعة للتحديد الوراثي وبين المفهوم العلمي للقابلية الوراثية الذي تنبني عليه جميع معطيات هيرنشتاين وموري. يدلّ التحديد الوراثي على كل ما ينتج السمات : عدد أصابع الأرجل محدّد وراثيا لأن امتلاكنا

لخمس أصابع مقنن بمورثاتنا ؛ بينما تدل القابلية الوراثية على ما ينتج الفروق المتعلقة سمة معينة. تشير قابلية وراثية عدد الأصابع إلى أي مدى تنتج فروق وراثية تغيراً في عدد الأصابع [لدى بعض القطط خمسة أصابع (مخالب) في حين نجد لدى البعض الآخر ستة مخالب]. ولذلك فإن القابلية الوراثية تُعرّف، هي أيضاً، بنسبة: فهي تساوي نسبة التغير الوراثي الأصل على التغير الكلي (الناجم عن المورثات إضافة إلى التغير البيئي الأصل). وخلافاً لهذا، فإن التحديد الوراثي لا يخضع لتعريف عددي، وهو يتضمن فكرة سلامة البيئة. نقول عن سمة إنها محددة وراثياً إذا كانت مقننة وتنتج عن المورثات الخاصة بها، وكانت تنمو في البيئة العادية. ولذا فإن التحديد الوراثي يحمل معنى لدى الفرد - لون شعر الأسمر محدد وراثياً - بينما لا تحمل القابلية الوراثية معنى إلا بالنسبة لمجتمع معين، أفراده مختلفون. إننا لا نستطيع طرح السؤال التالي: "ما هي القابلية الوراثية لنسبة ذكائي؟".

إن عدد أصابع اليد أو الرجل عند الإنسان محدد وراثياً: ذلك أن خمسة أصابع في اليد وخمسة أصابع في الرجل مقننة بمورثات أغلبية الناس، كما أن أصابع اليد الخمسة وأصابع الرجل الخمسة تنمو في كل بيئة عادية. غير أن القابلية الوراثية لعدد أصابع اليد وأصابع الرجل لدى الإنسان هي، بالتأكيد، ضعيفة جداً، لأن التغير في عدد أصابع الرجل يرجع، بالدرجة الأولى، إلى عامل البيئة (هي مسألة تتعلق، أساساً، بالنمو الجنيني). عندما تناولت نسوة حاملات مادة التاليدوميد (Thalidomide) منذ عدة سنوات، فقد ولد الكثير من الرضع بأصابع في اليد وفي الرجل لا يصل عددها إلى خمسة أصابع. إذا نظرنا إلى عدد أصابع اليد والرجل لدى الراشدين، فإننا نلاحظ، أحياناً، نقصاً في هذا العدد نتيجة لحوادث. غير أن التقنين الوراثي لستة أصابع نادر جداً لدى الإنسان (على الرغم من كثرته، فيما يبدو، لدى القطط). وهكذا تبدو التغيرات الناجمة عن المورثات ضعيفة بالنسبة

للتغيرات البيئية المصدر. وبالتالي إذا سأل أحد: "هل عدد الأصابع أمر وراثي؟"، فإن الجواب اللائق سيكون: "هذا يتوقف عما تسمونه وراثيا". إن عدد الأصابع محدّد وراثيا، لكن القابلية الوراثية ضعيفة لأن المورثات ليست مسؤولة عن جزء كبير من التغيرات. وعلى العكس من ذلك، فإنه من الجائز أن تكون إحدى السمات ذات قابلية وراثية عالية، دون أن تكون محدّدة وراثيا. منذ عدة سنوات كانت النساء تعلّقن في آذانهن أقراطا، دون الرجال. كانت القابلية الوراثية لتعليق الأقراط في الأذنين مرتفعة، لأن الفروق في هذه السمة السلوكية "يتسبب" فيها فرق وراثي (صبغي). والآن، لم يعد تعليق قرط في الأذن حكرا للنساء، ولذا فالقابلية الوراثية لهذه السمة صارت، دون شك، ضعيفة. إلا أن تعليق القرط لم يكن، في أي وقت من الأوقات، محدّدا وراثيا بالمعنى الذي تُحدّد به سمة امتلاك خمسة أصابع. إن الكتابات المخصصة للقابلية الوراثية مليئة بحالات من هذا النوع: قابلية وراثية مرتفعة من أجل سمات يعتبر تحديدها الوراثي موضع شك.

حتى عدد الساعات التي تُقضى أمام التلفزة تندرج ضمن القابلية الوراثية

إن هذه الطرق التي تعطي قابلية وراثية لنسبة الذكاء تعادل 60% تنصّ أيضا على قابلية وراثية للمواهب المدرسية والجامعية تبلغ 50%، وتنصّ كذلك على قابلية وراثية في الوضع المهني تقدّر بـ 40%[□]. وهذا رغم أنه من الواضح بأن الوضع المهني ليس محدّدا وراثيا: العمل في مصنع يختص في صنع الدارات المدمّجة (المطبوعة) ليس مقننا في المورثات.

□. R. Plomin, J. De Fries & G. Mc Clean, Behavioral Genetics, A Primer, Freeman, New York, 1990, p. 393.

إن بيئة الطفل غالبا ما تمثّل، بشكل معبّر، ميزة قابلة للوراثة، وذلك رغم ما في هذا الأمر من غرابة. فإذا كانت الموهبة الموسيقية سمة ذات قابلية وراثية عالية، وكان التغيّر في الموهبة الموسيقية يؤثر على تغيّر عدد الدروس في مادة الموسيقى التي يتلقاها الطفل، فإن هذا العدد - لدروس الموسيقى - يمكن أن يكون، بدوره، قابلا للوراثة، رغم أنه لا يُحدّد وراثيا. ومن ثمّ، فإن العديد من الدراسات التي أجريت حديثا حول القابلية الوراثية لميزات مختلفة تتعلق ببيئة الأطفال، قد بيّنت بأن هذه الميزات تتمتع بقابلية وراثية معتبرة: ذلك هو حال "حرارة" سلوك الأولياء إزاء أطفالهم. وحتى عدد الساعات التي يقضيها الأطفال أمام التلفزة، وكذا عدد الألعاب واختلاف أنواعها، لها صلة بالقابلية الوراثية[□]. وإن بدت هذه النقطة صعبة الإدراك، دعنا نقدّمها بالطريقة التالية: ترجع تغييرات هذه الميزات البيئية - بصفة جزئية - إلى التغييرات في السمات القابلة للوراثة لدى الطفل؛ وبالتالي فالخواص البيئية هي ذاتها قابلة للوراثة. إنه غالبا ما ينقاد قراء كتاب "المنحنى الجرسي" إلى افتراض تنقل الميزات الوراثية عبر المورثات. إن هذا التصوّر لا أساس له. إذ أن عدد الألعاب التي تقع في حوزة طفل ليست مقنّنة من قبل المورثات. والقابلية للوراثة تدلّ على ما يُنتج الفروق، وليس على ما "ينتقل".

لقد قدّمت بعض الأمثلة لسمات محدّدة وراثيا، لكنها ليست قابلة للوراثة، وقدّمت أيضا أمثلة أخرى لسمات قابلة للوراثة، غير أنها لا تتحدّد وراثيا. هل

□. R. Plomin & C. Bergeman, «The Nature of Nurture : genitic influence on 'environmental' measure», The Behavioral and Brain Sciences, 143, 373, 1991.

أنظر أيضا :

S. Scatt & K. Mc Carney, "How people make their own environments : A Theory of genotype-environment effects", Child development, 54, 424, 1983.

تعتبر تلك الأمثلة الغربية ملائمة لحالة نسبة الذكاء؟ ربما توجد حالات أخرى أقرب إلى الواقع وإلى نسبة الذكاء، ولا نلتقي فيها بالغرائب التي مرّت بنا آنفاً؟ لا، أبداً! ذلك أن نسبة الذكاء هي، بالتحديد، مثال ممتاز لسمة ذات قابلية وراثية عالية، ليست محدّدة وراثياً. لنذكر أن عدد أصابع الأرجل محدّد وراثياً لأن امتلاك خمسة أصابع أمر مقنّن بالمورثات، بحيث أن الأصابع الخمسة تنمو في كل بيئة عادية. وعلى العكس من ذلك، فإن نسبة الذكاء تتأثر كثيراً بالتغيرات البيئية العادية، وهذا عبر قنوات لا ندركها بصفة جيدة. وكما أشار هيرنشتاين وموري، فإن الأطفال الذين ولدوا في عائلات تعاني من الحرمان، ثم تمّ تبنيهم من قبل عائلات ميسورة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، كانت نسبة ذكائهم أعلى بكثير من نسب ذكاء ذويهم. وهي حقيقة أوضحها هيرنشتاين وموري فيما سمّوه بـ "فعل فلاين Flynn": تتزايد نسبة الذكاء في كل مكان عبر العالم بثلاث نقاط كل عشرة أعوام. وقد ارتفعت هذه النسبة، منذ الحرب العالمية الثانية، في العديد من البلدان بخمس عشرة نقطة - وهو رقم قريب من الفارق بين السود والبيض في الولايات المتحدة. وفي بعض البلدان، كان ارتفاع نسبة الذكاء يفوق هذا الرقم. ففي هولندا، ارتفعت نسبة الذكاء بإحدى وعشرين نقطة خلال الفترة 1952-1982[□]. لو وُجد نوع يتأثر عدد أصابع أرجله بهذه الكيفية إزاء البيئة (تخيّل مخلوقاً من نوع الزواحف المسماة "كثيرات الأرجل" والتي يتزايد عدد سيقانها كلما زاد غذاؤها)؛ لا أظن أن أحدهم اعتبر عدد أصابع الرجل لدى هذا الحيوان، محدّد وراثياً.

□. J. R. Flynn, Psychological Bulletin, 101, 2, 171, 1987.

والجدير بالإشارة هو جدية المعطيات حول قوة ارتفاع نسبة الذكاء الهولندي. إن زيادة الإحدى وعشرين نقطة التي أشار إليها فلاين تستند إلى اختبار أجري على جميع الهولنديين البالغين سن 18 سنة ممن نجحوا في فحص طبي (نسبة النجاح لم تتغير). ويتمتع الاختبار الذي اعتمد - وهو المسمى "مصفوفات رافن (Raven) التدريجية" - بسمعة عالية. إنه اختبار "غير شفوي"، وهو وسيلة ناجعة في قياس 'g' [الذكاء العام]□. وقد كتب الجنسني* [نسبة إلى مذهب عالم النفس الأمريكي جنسن Jensen] المتطرف ريتشارد لين (Richard Lynn) - الذي غدّت كتاباته مؤلف "المنحنى الجرسى" حول مسألة العرق - يقول: "إن نسبة التزايد بلغت تقريبا ثلاث نقاط كل عقد، أي خمس عشرة نقطة على مدى خمسين سنة. بل نلاحظ نسبة أعلى لدى الذين نودي عليهم لأداء الخدمة العسكرية في هولندا وبلجيكا، يصل معدّلها إلى سبع نقاط في نسبة الذكاء خلال كل عقد". كما أشار لين إلى نتائج مشابهة في فرنسا□. وقد تقبل هيرنشتاين وموري النتيجة القائلة إن "هناك ارتفاعا، في بعض البلدان، بلغ نقطة واحدة سنويا، خلال مدة معتبرة". وما يلفت الانتباه في هذا الحقل، الذي غالبا ما تكون فيه الوقائع محل جدل، أن هذه النتائج قد سلّم بصحتها كلا الطرفين.

هناك خلاصة أساسية ينبغي استنتاجها من معطيات فلاين، وهي أنه لا أحد يدرك كيف تؤثر تغييرات البيئة على نسبة الذكاء. وبعبارة بسيطة فإن سبب الارتفاع القوي لنسبة الذكاء في هولندا مجهول. وحتى هيرنشتاين وموري، فهما يسلمان بأن

□. The Bell Curve, p. 273.

□. R. Lynn, «Lynn replies to Flynn» in J. Lynch, C. Modjil. & S. Modjil, Cultural Diversity and the Schools, London, Falmer Press, 1992, p. 382.

”جزءاً ضئيلاً [من التغير الناتج عن البيئة] يمكن أن يكون مصدره المحيط العائلي. إذ أن هناك مجموعة تأثيرات بيئية [جلّها مجهولة في الوقت الراهن] يخضع لها الأشخاص بوصفهم أفراداً“ (الجملتان الموضوعتان بين عارضتين [] هما لصاحب هذا المقال). والواقع أن العامل الحاسم الذي أتاح القيام بالأبحاث التي يستند إليها هيرنشتاين وموري هو كوننا نستطيع قياس القابلية الوراثية لسمة من السمات دون أن تتوفر لدينا فكرة واضحة حول تلك السمة. وحتى نقيس القابلية الوراثية لنسبة الذكاء فلسنا في حاجة إلى معرفة ما تقيسه اختبارات نسب الذكاء. ذلك أنه يكفي أن نتكّن من قياس نسبة الذكاء - مهما تكن طبيعة هذا الكيان - في ظروف شتى.

وهناك ملاحظات إضافية حول القابلية الوراثية من شأنها أن تؤكد على ضرورة التحلي بالحذر الشديد عندما نرغب في استخلاص النتائج حول مصدر الفروق في نسب الذكاء. توجد طريقة معروفة لقياس القابلية الوراثية تتمثل في مقارنة نسبة ذكاء سلسلة من ”التوائم الحقيقيين“ (أصلهم من نفس البيضة)، وتربّوا على أيدي ذويهم البيولوجيين، مع نسبة ذكاء سلسلة من ”التوائم غير الحقيقيين“ (أصلهم من بيضتين مختلفتين)، وتربّوا أيضاً على أيدي ذويهم البيولوجيين. لنفترض أننا أجرينا اختباراً لنسبة الذكاء على طفلين وأنهما تحصلا على نفس النقطة. ولنفترض أن لأحد الطفلين توأماً حقيقياً وأن للثاني توأماً غير حقيقي. هب أننا نستطيع التنبؤ، بصفة شبه قطعية، بنقطة التوأم الحقيقي، وأن التنبؤ سيكون ضعيفاً في حالة التوأم غير الحقيقي. سيكون هذا الفرق دليلاً على قابلية وراثية قوية في نسبة الذكاء، لأن التوائم الحقيقيين لهم نفس المورثات، بينما يبدو أن التوائم غير الحقيقيين يتقاسمون نصف تلك المورثات.

تبيّن الدراسات حول مجتمع البيض في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، أن معدل القابلية الوراثية لنسبة الذكاء مرتفع ارتفاعا طفيفا: يبدو الرقم 60% الذي أشار إليه هيرنشتاين وموري معقولا. لكن علينا أن ننتبه بأنه لا يجوز أبدا القيام بدراسة حول القابلية الوراثية في مجتمع مختلط (بالبيض والسود). وسبب ذلك بسيط: عندما نضع زوجا من التوائم الحقيقيين السود في بيئات مختلفة «مختارة بالصدفة» فإن البيئة ستصبح تلقائيا غير "عشوائية"*. إذ أن التوأم الأسود سيجلب معه جزءا من بيئته؛ فهما أسودان وستعالج حالتها بوصفهما أسودان.

لنتصوّر أننا تمكّننا من إنشاء مجموعة مليون نسمة

من فئة لوبان (Le Pen) وأننا قمنا بتربيتهم في بيئات مختلفة جدا

وزيادة على ذلك، وخلافا للتحديد الوراثي، فإن القابلية الوراثية تستطيع أن تتغير كثيرا حسب المجتمعات. إذا انتقينا عن طريق الصدفة، في المجتمع الذي وقع عليه الاختيار، نصف الأفراد لإخضاعهم الى عملية في الدماغ قصد التأثير على نسب ذكائهم فإن القابلية الوراثية في هذا المجتمع ستتقلص: بسبب إلحاق أضرار بالأدمغة، سنرفع من دور العامل البيئي في تغير نتائج نسب الذكاء. لنتصوّر أننا تمكّننا من إنشاء مجموعة مليون نسمة من فئة لوبان (Le Pen) [السياسي الفرنسي المتطرف]، وأننا قمنا بتربيتهم في بيئات مختلفة جدا، بحيث نحصل على تغير في نسبة الذكاء يرجع كله للعامل البيئي. عندئذ ستكون القابلية الوراثية في هذا المجتمع معدومة لأن نسبة التغير الوراثي على التغير الكلي معدومة، ذلك أن التغير الوراثي معدوم. لنسق مثلا واقعيًا: إن القابلية الوراثية لنسبة الذكاء تتزايد طيلة عهد الطفولة والمراهقة. وقد قدّمت إحدى الدراسات قابلية وراثية أقل من 20%

خلال الفترة الأولى من الطفولة، و30% تقريبا خلال الطفولة، و50% خلال فترة المراهقة، وقابلية أعلى من ذلك بقليل خلال سنّ الرشد. ويوضح صاحب الدراسة أن النتائج ليست مرتبطة بدرجة الثقة المتزايدة في اختبارات نسب الذكاء[□]. كما أن بعض الدراسات أجريت في السويد على توائم لهم سن متقدّم نسبيا. وأفادت نتائج تلك الدراسات أن القابلية الوراثية تصل إلى 80% لدى الراشدين البالغين سنّ الخمسين مقابل 50% لدى توائم الأطفال[□].

هناك سبب محتمل، وهو أن التغيّر الوراثي لا يتغيّر بتغيّر العمر، بينما يتناقص التغيّر الراجع الى البيئة تناقصا تدريجيا. إن بيئة الأطفال تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا: فهناك بعض الأولياء الذين لا يتحدّثون مع أطفالهم، وهناك من لا يتوقفون عن استشارتهم ويثيرون معهم المناظرات الشفوية. وفي الدول المصنّعة، نجد أن بيئة الأشخاص الراشدين أكثر تجانسا: فهم منغمسون في الثقافة المشتركة (حيث يتفرجون مثلا على نفس الحصاص التلفزيونية، الخ). وكلما كانت البيئة متجانسة كانت القابلية الوراثية قوية. أأمل في أن تُزيل هذه الحجج المحاولة (الواضحة في كتاب "المنحنى الجرسى") الرامية الى جعل القابلية الوراثية لنسبة الذكاء من الثوابت (مثل سرعة الضوء). إن القابلية الوراثية مُعطى إحصائي يرتبط بالمجتمع، شأنها شأن معدل نسبة الولادات وعدد أجهزة التلفزة، ولذا فمن المتوقع أن تتغيّر مع الظروف: ليس هناك أي مبرر يجعلنا نعتقد بأن القابلية الوراثية لنسبة الذكاء بالهند تشبه مثيلتها بكوريا.

□. R. Plomin, Nature and Nurture, Brooks-Code, Pacific Grove, 1990.

□. N.L. Pedesen, R. Plomin, J. Nesselroade & G. McLearn, Psychological Science, 3, 6, 346, 1992.

إنه من المؤلم أن نجد شارل موري غير مدرك لهذه النقاط الأساسية. فقد أعلن في استجواب أجرته معه قناة التلفزة (CNN) - نقلا عن صحيفة □ (The New Republic) - أن "عندما نتحدث عن قابلية وراثية تساوي 60% فهذا لا يعني 60% من التغيير؛ بل هو 60% من نسبة ذكاء فرد معين". وعقب ذلك، كرر موري قوله بأن "60% من الذكاء تأتي وراثيا" بالنسبة للفرد المتوسط، مضيفا أن ذلك يصدق على "جنس البشر"، في حين لا نجد معنى لقابلية الوراثة بالنسبة لفرد واحد: لأن إحصائية القابلية الوراثة لا تحمل معنى إلا إذا تعلق الأمر بمجتمع. ثم اشتكى شارل موري، في رسالة موجهة إلى الصحيفة المشار إليها أعلاه، من كونه ذُكر في سياق غير مناسب، واستدرك هذا الخطأ موضحا فكرته قائلا: " ... ربما تكون نسبة ذكائك قد حدّتها بالدرجة الأولى، مورثاتك، وربما حدّتها - لك شخصيا - البيئة، بالدرجة الأولى. وهذا الأمر قد يتغير كثيرا من شخص لآخر. وفيما يخص جنس البشر إجمالاً، فإن المركبة الوراثة بالغة الأهمية" □. والملاحظ أن كتاب "المنحنى الجرسي" ذاته لا يحمل بين طياته مثل هذه الأخطاء المزعجة. ذلك أن الراحل هيرنشتاين - أحد مؤلفي الكتاب - كان يعالج هذه المواضيع بطريقة احترافية. لكننا نرى بأن قوة الإقناع في الاستدلال المركزي يعتمد جزئياً، على لبس دقيق بين القابلية الوراثة والتحديد الوراثي. والخلط الذي ارتكبه موري يُبرز الصعوبة الكامنة في هذين المفهومين، حتى لدى شخص ملّم بثقافة علمية متينة. كان آرثر جنسن قد أثار هذا الجدل، سنة 1969، في مقال بمجلة التربية لجامعة

□. 02/01/1995.

□. 30/01/1995.

هارفارد (Harvard Educational Review) حيث تحجج بالقابلية الوراثية لنسبة الذكاء لدى البيض، وذلك للدفاع عن فكرة الفرق الوراثي بين البيض والسود، من وجهة نظر نسبة الذكاء[□].

وبعد سنة، ردّ على هذا المقال ريتشارد لونتين (Richard Lewontin) المختص في علم الوراثة، موضحا الخطأ بواسطة رسم (أنظر رسم "تجربة التفكير لريتشارد لونتين" ضمن هذا المقال). لنفترض أنك اشترت كيسا من حبوب الدُّرّة العادية؛ وأنت قمّت بزرع كمشة منها في بيئة مراقبة بحيث تتلقى كل بذرة نفس كمية الضوء ونفس المحلول الغذائي. سيتغيّر ارتفاع النباتات. وبما أن البيئة هي نفسها بالنسبة لجميع تلك النباتات، فإن القابلية الوراثية - كما هي معرفة أعلاه - لارتفاع النباتات ستكون 100%. خذ الآن كمشة أخرى من نفس الكيس وازرعها ضمن بيئة لها نفس المواصفات السابقة، لكن بكمية محلول غذائي غير كافية. في هذه المرة أيضا، سيتغيّر ارتفاع النباتات، غير أنها ستكون كلها ضامرة. إن القابلية الوراثية لارتفاع نباتات الدُّرّة في الحالة الثانية ستكون أيضا تعادل 100% فرغم قابلية وراثية تقدّر بـ 100% في كلا الحالتين، سيرجع الفرق في الارتفاع بين الفئتين، كله إلى البيئة. وهكذا يمكننا الحصول على قابلية وراثية كاملة داخل كل فئة مع فرق محسوس بين الفئتين، وهذا دون فرق وراثي بين الفئتين.

إن قيمة هذا المثال بالنسبة لمسألة العرق واضحة: فهو يعني أن القابلية الوراثية لنسبة الذكاء لدى البيض مرتفعة. لكن لونتين يبيّن بأن القابلية الوراثية المرتفعة

□. A. R. Jensen, «How much can we boost IQ and scholastic achievement?», Harvard Educational Review, 391-123, 1969.

داخل فئة لا تسهم أبداً في تفسير الفرق بين الفئات؛ وبوجه خاص، فهي لا تسمح بالحديث عن فرق ذي طابع وراثي. كما أن ارتفاع القابلية الوراثية داخل فئة لا تمنحنا معلومات إضافية حول مغزى فرق وراثي محتمل بين الفئات. فربما كانت حبات الدُّرة التي تولدت عنها النباتات الضامرة ذات ارتفاع أعلى - من الناحية الوراثية - إلا أن الحرمان البيئي أزال هذه الخاصية.

لقد افترض في مثال لونتين بأنه لا توجد فروق وراثية بين فئتي الدُّرة. لنفترض أننا لا نعلم شيئاً حول فئتين من المخلوقات الحية عدا أنهما تختلفان بخمس عشرة نقطة في نسبة الذكاء، وأن لكل فئة قابلية وراثية معيّنة. هب أنه ينبغي علينا تحديد سبب ذلك. فبمراعاة كل ما ذكرناه لحد الآن، يبدو من المعقول أن نميل إلى الاعتقاد بأن الفئة التي لها قابلية وراثية ضعيفة فئة متضررة على المستويين الوراثي والبيئي. سأبيّن بأن حتى هذا المبدأ الضعيف مبدأ خاطئ. لنلاحظ بأنه لا ينطبق على القضية العرقية التي نمتلك بشأنها بعض المعلومات. نحن نعلم أن البيئة قادرة على التأثير في نسبة الذكاء تأثيراً كبيراً (نذكر بـ "فعل فلاين" وازدياد ثلاث نقاط كل عشر سنوات وبلوغ إحدى وعشرين نقطة بهولندا). كما نعلم، من الناحية البيئية، بأن السود الأمريكيين يعانون من الحرمان بشكل يؤثر على نسبة ذكائهم. غير أننا لا ندري كيف نقوم بقياس تأثير التعامل مع فئة باعتبارها "دون العادية Infranormal"؛ ولا تأثير الإرث التاريخي للرق والميز العنصري. كيف يمكننا القول إن انعكاسات هذه الآثار كافية لتخفيض نسبة الذكاء بخمس عشرة نقطة أو بأقل من ذلك أو أكثر؟ فنظراً للرهان الاجتماعي الذي يحيط بهذه المسألة فإننا لا نستطيع الاقتصار على اللعب بالألغاز.

إن الفرق في نسب الذكاء بين السود والبيض

أضعف لدى الفئات الدنيا اجتماعيا واقتصاديا

وبطبيعة الحال فقد أنصت هيرنشتاين وموري للحجج القائمة حول إرث الرق والميز العنصري. وقد أجابا عن ذلك بالإشارة، في آن واحد، إلى مظهر توزع الفروق العرقية ومداه.

لنبدأ بمظهر توزع هذه الفروق. يذكر هنا هيرنشتاين وموري بأن فرق نسبة الذكاء بين السود والبيض أضعف لدى الفئات الدنيا اقتصاديا واجتماعيا. ومن ثمّ، فهما يتساءلان: "إن كان الفرق بين السود والبيض يرجع كله إلى البيئة، فلماذا نجد التفوق في البيئة "البيضاء" بالنسبة للبيئة "السوداء" أعلى لدى الفئات الميسورة والأكثر تعلما عند السود والبيض؟ لم نتمكن من إيجاد تفسير مقبول لذلك. إن التحجج بآثار التمييز والميز العنصري لتفسير الفروق العرقية يتطلب تفسير سبب حصول فئات أخرى - لها أيضا بيئة مسمّمة بالميز العنصري، مثل الصينيين واليهود في بعض مناطق الولايات المتحدة - على علامات في نسب الذكاء أفضل من المعدل القومي."

ورغم ذلك فإن هذه الحقائق ليست صعبة الإدراك. إن السود والبيض يشكّلون، في أغليبيتهم، فئات ثقافية مختلفة، وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن عاملا، كعامل الوضع الاجتماعي والاقتصادي، ينبغي أن يكون له نفس المغزى في كل الثقافات. وقد ذكر هيرنشتاين وموري عمل الأنثروبولوجي جون أغبو (John Ogbu) الذي ميّز بين عدة فئات من الأقليات المستضعفة[□]. هناك فئة أساسية وهي فئة الأقليات "من

□. J. Ogbu, «The consequences of the American caste system », in U. Neisser (ed.), The School Achievement of Minority Children : New Perspectives, 1986, p. 19-56.

النوع الطائفي الطبقة المغلقة (caste) التي تعتبر نفسها (ونعتبرها) فئة دنيا، والتي لم يكونوا أهلها من المهاجرين الراغبين في الهجرة (إن كانوا من المهاجرين). وتشتمل هذه الفئة على الهاريجان (Harijans) في الهند وعلى البوراكومين (Burakumins) والكوريين في اليابان وعلى الماوريس (Maoris) في زيلندا الجديدة. وقد ميّز أغبو بين هؤلاء وبين الفئات الأخرى كالصينيين واليهود الذين هاجروا عن طواعية، والذين لهم ثقافة تجعلهم يعتبرون أنفسهم في مكانة راقية. وإذا كان السود ذوو الوضع الاجتماعي والاقتصادي الراقى ينتمون - إلى حد ما - لأقلية من النوع "الطائفي" فسيعانون، بيئيًا، مقارنة بالبيض الذين يتمتعون بنفس الوضع. لكن الظاهر أن السود والبيض ذوي الوضع المتدني يشتركون في الانتماء إلى بيئة من النوع "الطائفي". وكما لاحظ هنري لويس غاتس (Henri Louis Gates Jr)، فعقب برنامج "Affirmative Action" *** (الفعل الإيجابي)، تضاعف عدد السود المنتمين إلى الطبقة المتوسطة أربع مرات منذ 1967[□]. وقد التحق معظم هؤلاء السود بالطبقة المتوسطة مؤخرًا؛ وحدث ذلك في معظم الأحيان، في ظروف بعيدة عن المثالية التي تنمّي الاعتبار الذاتي. ولذا سيكون من الغريب أن يتمكن أطفال هؤلاء السود، خلال هذه المدة الوجيزة، من التخلص كليًا من ثقافتهم "الطائفية".

وأشار أغبو إلى أن نتائج اختبارات نسب الذكاء لـ "أطفال تلك الأقليات من النوع 'الطائفي' كانت أقل من نتائج أطفال الفئة المهيمنة بعدد نقاط يتراوح بين عشر نقاط وخمس عشرة نقطة". ولاحظ أيضًا بأن الفروق لا تزول "عندما يكون أعضاء الفئة المهيمنة وفئة الأقلية يشتركان في نفس الوضع الاجتماعي والاقتصادي". ورغم

□. New Republic, 31/10/1994.

هذا، فعندما "يهاجر أعضاء من النوع "الطائفي" الى مجتمع آخر يبدو أن مسألتني ضعف علامات نسب الذكاء والتخلف الدراسي لا تطرحان"[□]. هناك معطيات توحني بأن البوراكوميين المهاجرين الى الولايات المتحدة "يوقفون [مثلهم مثل يابانيين آخرين] في المدرسة وكذا في الحياة المهنية".

لنتصور ثقافة يتلقى فيها الأطفال ذوو الشعر الأشقر

ضربات خلف الرأس بشكل منتظم

لنتناول الآن قضية "مدى الفروق العرقية" : لقد قام هيرنشتاين وموري بحسابات أدت بهما الى استخلاص أنه " يجب أن تكون البيئة المتوسطة للسود في مستوى الـ 6% من البيض الأكثر حرمانا [...] حتى تُنسب الفروق العرقية إلى البيئة". وبعبارة أخرى، لكي نفسّر فارق الخمس عشرة نقطة بالعامل البيئي ينبغي أن تكون لـ 94% من البيض بيئة - لنمو نسبة الذكاء - أفضل من البيئة المتوسطة للسود. لا يعتقد هيرنشتاين وموري أن هذا الأمر معقولا لأن المعطيات التي تقيس البيئة - مثل الدخل العائلي أو نوعية المدارس - لا تبين بأن 94% من البيض يتمتعون ببيئة أفضل من البيئة المتوسطة للسود. لكن هذا الحساب لا يراعي عامل الانتماء إلى فئة "الأقلية من النوع 'الطائفي' ". لنقارن الهولنديين الذين بلغوا سنّ 18 سنة عام 1982 مع آبائهم الذين كانوا في ذلك السنّ عام 1952. إن الفرق بينهما يعود كله إلى البيئة، رغم احتمال ارتفاع القابلية الوراثية في كل فئة. بتطبيق طريقة هيرنشتاين وموري، قدر فلاين بأنه ينبغي أن تكون لـ 99% من فئة 1982

□. J. Ogbu, «The consequences of the American caste system », op. cit, p. 32-33.

بيئة أفضل من بيئة شخص متوسط في فئة 1952، وهذا حتى يكون ارتفاع نسبة الذكاء مفهوماً[□]. ونظرا لحجم هذه الفروق بين أفراد ينتمون إلى نفس الثقافة، ولا يفصل بينهم سوى جيل، فهل من غير المعقول أن تكون لـ 94% من البيض بيئة أفضل من الأسود "الوسيط"؟؟؟

وهكذا يتضح أن هناك فروقا بيئية - بما فيها تلك التي نجدتها لدى السود الأمريكيين - تؤثر بشكل محسوس على نسبة الذكاء. وفضلا عن ذلك، فإننا لا نمتلك حاليا أية إمكانية تسمح لنا بالتقدير العددي لهذا التأثير، وعليه ينبغي ألا نستخلص أية نتائج بخصوص احتمال وجود تخلف أو تفوق وراثي في نسبة الذكاء لدى السود. إذن، فإن تطبيق المبدأ الأساسي - المشار إليه أعلاه - على نسبة الذكاء غير سليم : إن مزج ارتفاع القابلية الوراثية في مجتمع أبيض مع الفروق المستمرة بين السود والبيض لا يعزّز أطروحة الفرق الوراثي.

لنتصوّر ثقافة يتلقّى فيها الأطفال ذوو الشعر الأشقر ضربات خلف الرأس بشكل منتظم، مع حسن معاملة الأطفال الآخرين[□]. ستكون القابلية الوراثية لنسبة الذكاء المقاسة مضخّمة، لأن نسبة ذكاء التوائم الحقيقيين ذوي الشعر الأشقر ستميل إلى التشابه - وهي منخفضة جدا - مهما كانت طبقة العائلة الاجتماعية التي نشأوا فيها.

□. J.R. Flynn, «Race and IQ : Jensen's case refuted», in S. Modjil & C. Modjil (ed.), Arthur Jensen : consensus and controversy, Falmer Press, London, 1987, p. 221-232.

□. C. Jensen, M. Smith, H. Acland, M. Bane, D. Cohen, H. Gintis, B. Heyns & S. Michelson, Inequality: A Reassessment of the Effects of Family and Schooling in America, Basic Books, New York, 1972.

يسمى تأثير المورث الذي يقنن لون الشعر الأشقر تأثيراً "مباشراً" لأن المورث يصيب اللون بطريقة بيوكيميائية داخلية. وخلافاً لذلك، يؤثر مورث على سمة بصفة "غير مباشرة" إذا نتج عنه تأثير مباشر يتفاعل مع البيئة (أنظر رسم "القابلية الوراثية غير المباشرة"). وفي حالة نسبة الذكاء، فلا أحد يدري كيف نميز بين الآثار الوراثية المباشرة وغير المباشرة، ذلك أنه لا أحد يدري كيف تؤثر المورثات والبيئة على نسبة الذكاء. وبالتالي، فنحن لا نعلم ما إذا كانت القابلية الوراثية - التي تقارب 60% - في المجتمعات البيضاء، هي قابلية وراثية مباشرة أو غير مباشرة^{*****} كما لا نعلم نطاقها.

إن المنهجية المتبعة في قياس القابلية الوراثية تخفي جهلنا لهذا الجانب، إذ أنها تفترض، كلما تعلق الأمر بوجود فرق وراثي، بأن الفروق بخصوص سمة معينة هي ناتجة عن ذلك الفرق، وذلك حتى في حالة تواجد فرق ذي طابع بيئي. ويترتب عن ذلك تشوّه في تفكيرنا حول مفهوم "السبب". إذا طبقنا هذه المنهجية على مثالنا فإنها ستركّز على الفرق بين مورثات الشقر ومورثات غيرهم، دون التحجج بكون الأطفال الوحيدين الذين يخضعون للضرب هم الشقر.

ذكرت آنفاً أن تعليق قرط في الأذن كان، فيما مضى، محل قابلية وراثية عالية، لأن الفروق في هذه السمة كانت "تكمن" في الفرق XY/XX. لقد وضعت لفظ "تكمن" بين " " " لأن المنهجية المذكورة أعلاه تؤدي إلى تبني الاتفاق الضمني بأن المورثات تهيمن على البيئة. عندما كانت النساء هن الوحيديات، تقريباً، اللواتي تعلّقن قرط الأذن، كان التغيّر في هذه السمة - على الرغم من أنه اجتماعي ووراثي في آن واحد - يعتبر قابل للوراثة إلى حد كبير. إذا طرأ فرق وراثي في السلاسل السببية

المؤدية إلى تغيير في إحدى السمات فإن التغيير يُعتَبَر وراثي المصدر، حتى لو طرأ فرق بيئي بنفس المفعول. لنفترض أننا تبيننا وجهة النظر العكسية المتمثلة في استخلاص وجود حتمية بيئية لا لشيء سوى لأن السلاسل السببية تحتوي على تغيير ذي طابع بيئي.. عندئذ ستكون المنهجية السارية المفعول غير عملية، إذ أن التقنيات الحالية لا توفر لنا طريقة عامة تسمح باستكشاف الآثار الوراثية غير المباشرة. وحسب وجهة النظر التي اخترناها فإن وجود آثار وراثية غير مباشرة ومحسوسة ستؤدي إلى فرق جذري في القابلية الوراثية.

كنا رأينا بأن القابلية الوراثية تُعرَّف كنسبة: إنها التغيير الذي تتسبب فيه الفروق الوراثية مقسوما على التغيير الكلي، ثم إن قياس التغيير الذي يستعمل دائما (رغم وجود إمكانيات أخرى) هو كمية إحصائية المغايرة (variance). هناك عامل يزيد في قيمة المغايرة وهو وجود ارتباط إيجابي بين المتغيرات الوراثية (تحدث عندئذ عن التغاير covariance). لنتخيل بأن الأطفال الذين يتمتعون بمورثات مساعدة للمواهب الموسيقية لهم - أكثر من غيرهم - أولياء يوفرون لهم بيئة مناسبة لنمو هذه المواهب: دروس في الموسيقى، حفلات موسيقية، توفير مجموعة من الأقراص المضغوطة (CD) الموسيقية، مناقشات حول الموسيقى خلال الأكل، الخ. ولنتخيل أيضا أطفالا متضررين، وراثيا، فيما يخص المهبة الموسيقية، وأن بيئتهم أيضا لا تساعد هذه المهبة. إن الارتباط بين المورثات والبيئة سيجعل هؤلاء الأطفال في طرفين متعارضين على سلم التوزيع، وهو ما سيزيد في تغاير المهبة الموسيقية.

إنه لا يجوز أن ندمج تغاير المورثات-البيئة مع المركبة الوراثية للمغايرة. هناك طرق مختلفة لفصلها عنه. من المعتاد في علم وراثية السلوك التمييز بين عدة أنواع من

التغيرات[□]. والتغير الذي أشرنا إليه آنفاً (في حالة الأولياء الذين يمنحون، في آن واحد، مورثات وبيئة مساعدة للمواهب الموسيقية) يسمى تغيراً سلبياً (passive) لأنه لا يتعلق بما يقوم به الطفل. وفي حالة التغير المسمى ارتكاسياً (reactive)، فإننا نراعي كون البيئة تتفاعل مع إيجابيات الطفل: كأن توفر إحدى المدارس مثلاً دروساً إضافية في الموسيقى للأطفال الذين تظهر فيهم مواهب موسيقية. وتحدث عن التغير النشط (active) إذا علمنا أن الطفل يخلق ارتباطاً مورثات - بيئة : كأن يقوم طفل موهوب في الموسيقى بتشغيل خياله حول مواضيع موسيقية أو أن يقوم باستثمار البيئة الموسيقية. من الممكن دمج التغير السلبي في حسابات القابلية الوراثية، وذلك بفضل دراسات التنبؤ التي تسمح بإزالة حالات الامتياز المزدوج وكذا حالات الضرر المزدوج. بينما لا نستطيع وضع التغيرين الإرتكاسي والنشط موضع قياس دون إدخال افتراض خاص حول الطريقة التي تؤثر بها البيئة على نسبة الذكاء. وهي نقطة لا نعرف عنها الكثير، كما أسلفنا، وأطراف هذا النقاش متفقون على ذلك.

وهكذا فإن التمييز بين التغير النشط والتغير الإرتكاسي أمر يخرج عن نطاق الطرق الراهنة في علم وراثية السلوك. ذلك أن هذه الطرق تركت مسألة معرفة مغزى نسبة الذكاء مسألة معلقة : هل هي ملكة معالجة الخبر أو هي الطريقة التي تُستغل بها هذه الملكة، وفي هذه الحالة فالأمر يتعلق بوجه خاص، بالانتباه ؟ ثم إن هذه الطرق تضع جانبا مسألة معرفة إلى أي مدى تتأثر نسبة الذكاء بالبيئة.

تفترض تحاليل التغير وجود مورثات لنسبة الذكاء، وتفترض أن هذه المورثات قد تصيب البيئة بشكل ينتج رد فعل على نسبة الذكاء، مرتبط بالتأثير الناتج مباشرة

□. J. Loebelin & J. De Fries, Behavior Genetics, 17, 3, 263, 1987 ; R. Plomin, J. De Fries & J. Loebelin, Psychological Bulletin 84, 2, 309, 1977 ; Plomin, Nature and Nurture, op. cit.

عن المورثات. لكن التأثير الوراثي غير المباشر لا يؤدي أبداً، كما يبيّن مثال الأطفال الشقر، إلى وجود "مورثات لنسبة الذكاء" أو الى أي شيء من هذا القبيل.

وبما أننا لا نعلم الكثير حول الكيفية التي يؤثر بها التغيّر البيئي على نسبة الذكاء فلا سبيل لنا سوى صياغة الافتراضات حول الكيفية التي يؤثر بها التغيّر الوراثي بصفة غير مباشرة على نسبة الذكاء، عبر البيئة. لنفترض أن جمال طفل وثقته بنفسه يؤثران، عموماً، على سلوك الراشدين، وأن هذا التأثير يفسر جزءاً كبيراً من تغيّر نسبة ذكاء الأطفال[□]. يمكننا، طبعاً، تصوّر أن الراشدين يولون انتباهاً أكبر لبعض الأطفال بالنسبة للآخرين، وأن هذا لا يؤثر في نسبة ذكائهم؛ إلا أن العكس أيضاً وارد. ولنسلّم كذلك بأن الجمال والثقة بالنفس عاملان نوا قابلية وراثية عالية. سنكون، عندئذ، أمام حالة ممتازة يحدث فيها تأثير وراثي بصفة غير مباشرة. ثم إن هذا التأثير ربما يُظهر، حسب علمنا، القابلية الوراثية لنسبة الذكاء. بدون فهم الطريقة التي تؤثر بها البيئة على نسبة الذكاء فإنه لا حيلة لنا تمكّننا من تحديد كمية مغايرة نسبة الذكاء التي تعتبر مغايرة وراثية غير مباشرة. وبطبيعة الحال، لو علمنا أن سلوكاً راشداً، متمخضاً عن خاصية قابلة للوراثة لدى الطفل، هو المسؤول فعلاً عن جزء كبير من تغيّر نسبة الذكاء لاستطعنا قياس هذا السلوك. غير أنه لا توجد أية نظرية في مجال الذكاء ونسب الذكاء تسمح بإدراك هذا النوع من العوامل بصفة جدية. إننا نرى بأن قسطاً كبيراً من القابلية الوراثية الناتجة عن آثار وراثية غير مباشرة (بما فيها ارتباط المورثات-البيئة) تقع خارج حدود ما يمكن قياسه وذلك نظراً لعاهة الطريقة المتوفرة اليوم والتي تفتقر الى كثير من "التقنين".

□. Scart & Mc Cartney, How People make their own environment, p.427..

أين يظهر، إذن، التغيرات مورّثات-بيئية في حسابات القابلية الوراثية؟
 الجواب : إن الآثار النشطة والإرتكاسية التي لا نعرف كيف نقيسها تقع، بالتأكيد،
 في المركبة الوراثية. وهناك العديد من علماء الوراثة لا يجدون ما يضيفون في هذا
 المقام [□]. لو تمكن الباحثون من التعرف عن تأثير غير "إستحقاقراطي (أي خاضع
 لقاعدة الاستحقاق) meritocratiq" مثل التأثير غير المباشر للشعر الأشقر، لأدخلوا،
 قطعاً، المغايرة الناتجة عن هذا التأثير بوصفها تغييراً بدل اعتبارها مغايرة وراثية. لكننا
 لا نعلم أي شيء حول حصة العامل الوراثي في الـ 60% من مغايرة نسبة الذكاء. ومن
 الناحية العملية، فإن التغيرات الناتج عن الآثار غير المباشرة التي نستطيع قياسها -
 على الأقل في الحالات التي لا يرتبط فيها التغيرات، بشكل واضح، بالاستحقاق -
 ليست محتواة في حساب القابلية الوراثية؛ بينما نجد آثاراً أخرى غير مباشرة محتواة
 في حساب القابلية الوراثية، باعتبارها وراثية. إذن، فما ندخله في المغايرة الوراثية
 (التي تزيد في القابلية الوراثية) يتعلق بأحكامنا التقويمية وبما نلّم به حول الآثار عند
 بدء المغايرة. والملاحظ أن ذلك يجعل القابلية الوراثية مفهوماً علمياً سيئاً جداً.

تقبّل علم وراثية السلوك، كمسئمة، الطرق الحالية التي

تسمح بقياس القابلية الوراثية لنسبة الذكاء

بيد أن علم وراثية السلوك تقبّل، كمسئمة، الطرق الحالية التي تسمح بقياس
 القابلية الوراثية لنسبة الذكاء. وبدون هذه الفرضية، سيكون الاستنتاج الصحيح على

□. R.C. Roberts, « Some concepts and methods in quantitative genetics », Behavior-Genetics », Behavior-Genetics Analysis, Mc-Graw-Hill, J. Hirsch (ed.), New York, 1967, p.214-257; A.R. Jensen, Educability and Group Differences, Harper and Row, New York, 1973.

النحو التالي : بما أننا لا نستطيع فصل الآثار الوراثية غير المباشرة (بما في ذلك بعض أشكال التغيرات مورثات-بيئة) عن المغايرة الوراثية المحضة ، فإنه من المستحيل أن نقوم بأي تقدير للقابلية الوراثية. لماذا يتقبّل علم وراثية السلوك هذه المسألة؟ إنه لا يمكنني ألا أفسر ذلك - جزئياً - بحدائثة عهد هذا العلم، الذي يناضل من أجل كسب الاعتراف والتمويل؛ ومن ثم فهو يستعمل القابلية الوراثية كوسيلة لجلب الانتباه. □

لنعد إلى الفرضية القائلة إن القابلية الوراثية البالغة 60% التي لوحظت لدى البيض كلها غير مباشرة وترجع الى المعاملة التفضيلية للأطفال حسب مميزاتهم القابلة للوراثة. عندئذ تكون القابلية الوراثية المباشرة تعادل الصفر، وفي هذه الحالة لن يكون هناك ما يدعو للاعتقاد أن "مورثات نسبة الذكاء" أو أي شيء آخر (مثل المورثات المقتنّة لإمكانية معالجة المعلومات) يتغيّر في المجتمع الأبيض. كما أنه لا يوجد ما يدعو للبحث عن الفروق الوراثية لتفسير النقاط الخمس عشرة الممثلة للفارق بين السود والبيض. بل إن تفسير هذا الفارق يدعونا إلى البحث عن الفروق في الطريقة التي يتعامل بها الراشدون مع الأطفال. وبالتالي فإن القابلية الوراثية غير المباشرة تؤدي إلى صياغة فرضية بيئية تكون أساساً محتملاً لسياسة اجتماعية. هل هناك ما يجعلنا ننتظر آثاراً وراثية غير مباشرة تساهم في تفسير الفارق المسجّل بين السود والبيض؟ لقد أشرت إلى المثال البديهي المتعلق بالمورثات المقتنّة للون البشرة. لكنه بالإمكان إيجاد آثار غير مباشرة أخرى، أقلّ بداهة. هناك أثر غير مباشر محتمل يتعلّق بالوزن عند الولادة. وهكذا فإن نسبة المواليد الذين يقل وزنهم، لحظة الولادة، عن المعتاد لدى السود تفوق كثيراً النسبة التي نجدها لدى البيض. ليس

هناك ما يمنعنا من تقديم تفسير وراثي لهذه الظاهرة[□]. إذا كانت للسود مورثات تجعلهم عُرضة، أكثر من البيض، لنقص الوزن عند الولادة، فإن أثر تلك المورثات قد يكون قابلاً للزوال بتناول حمية غذائية مناسبة خلال مدة الحمل أو بالخضوع لعلاج طبي. إنه لا يخطر ببال أحد اعتبار المورثات المحددة للوزن عند الولادة كـ "مورثات لنسبة الذكاء".

إن كل ما تطرقنا إليه بخصوص موضوع القابلية الوراثية غير المباشرة يبيّن بأنه من غير اللائق أن نستخلص وجود نقص وراثي بالاعتماد على الإحصائيات ذات الصلة بالقابلية الوراثية. وسيكون مثل هذا الاستنتاج معقولاً لو افترضنا أن القابلية الوراثية لنسبة الذكاء عند البيض تعكس فرقاً في نسبة الذكاء تسبب فيه فرق في مورثات نسبة الذكاء. غير أن تحليلنا للقابلية الوراثية غير المباشرة يبيّن بأننا لا نعلم ما إذا كان هناك قسط من التغير الموجود لدى البيض يرجع إلى تغيير مورثات نسبة الذكاء. وطالما لم ندرك الآليات التي تحدّد الـ 60% من القابلية الوراثية لدى البيض فإننا لا نستطيع تقبّل أي شكل من أشكال التعميم التي تشمل السود.

دعنا نصف مجموعة مورثات (Genome) فرد بأنها ناقصة وراثياً فيما يتعلق بنسبة الذكاء عندما تنتج عن تلك المجموعة نسبة ذكاء ضعيفة في بيئة عادية. ما الذي سنعتبره بيئة عادية؟ في المثال الذي ناقشناه أعلاه، كانت المورثات المقننة للشعر الأشقر تنتج نسبة ذكاء ضعيفة ضمن بيئة نعتبرها عادية في هذا المجتمع الافتراضي، بينما لا نجد علاقة لمورثات الشعر الأشقر مع نسبة الذكاء في المجتمع الذي نعتبره عادياً. ماذا يحدث الآن إن كانت القابلية الوراثية المسجلة بخصوص

□. E. Leiberman, New England Journal of Medicine, 332, 2, 117, 1995.

نسبة الذكاء هي نتيجة آثار مباشرة بمقدورها تغييرها بإجراء تعديلات على الممارسات الاجتماعية؟ ستكون عبارات مثل "ناقص وراثيا فيما يخص نسبة الذكاء" و"تضرر وراثي بخصوص نسبة الذكاء" قابلة للتطبيق فقط على مجموعات المورثات التي تنتج عنها نسبة ذكاء ضعيفة مهما كانت الممارسة الاجتماعية - كحالة المنغولية (التريزوميا 21). (Trisomie 21).

نفس الاستدلال ينطبق على الاكتشاف (المحتمل)

الحديث لمورث خاص بالجنسية المثلية

إن نفس الاستدلال ينطبق على الاكتشاف (المحتمل) الحديث لمورث خاص بالجنسية المثلية. لقد طاعتنا مثلا صحيفة النيويورك تايمز بالعنوان "برهان جديد لوجود مورث 'gay'".[□] إذا كان أخوان يتميزان بالجنسية المثلية فإن لهما حظوظا أكثر ليشتركا في بعض خصوصيات الصبغية X. لكن هذه الخصوصيات قد تقنن مميزات بدنية أو نفسية تتفاعل مع بنياتنا الاجتماعية - البالغة التغير - بشكل يزيد في احتمال انتماء مكتسبها إلى أصحاب الجنسية المثلية. وقد تؤدي تلك الخصوصيات بالأخوين إلى أن يصبحا أكثر جاذبية للآخرين؛ وربما تنمي فيهم الاهتمام بالثقافة البدنية، مما قد يجرهما إلى الاحتكاك بثقافة الجنسية المثلية التي تشاطرها هذا الاهتمام. هذا إذا لم تكن تلك الخصوصيات بمثابة مورث بلوغ مبكر يجعل الأطفال يافعين في سنّ يمكنهم من ربط صلات بأطفال آخرين، دون البنات. فإذا كان الأثر غير مباشر، يكفي أن يتغير السياق الثقافي حتى يزول ذلك الأثر.

□. في مقال ل :

إن هذا النقاش حول القابلية الوراثية غير المباشرة يلوّح ببعض الشكوك في أفكار هيرنشتاين وموري المتعلقة بالترصيف الاجتماعي الوراثي الأصل لدى البيض. إن كانت الـ 60% من القابلية الوراثية لا تعكس مورثات لنسبة الذكاء فإنه لا يوجد أي مبرر يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هناك فروقا من هذا القبيل بين الطبقات الاجتماعية. ويبدى هيرنشتاين وموري قلقا بخصوص التلوث الذي أصاب التراث الوراثي القومي بسبب الهجرة وضخامة عدد الأطفال الذين لهم أولياء يتمتعون بنسبة ذكاء ضعيفة. لكن، إذا كانت القابلية الوراثية لنسبة الذكاء هي، أساسا، عاملا غير مباشر فهما يتيهان عندما يؤكدان على أهمية المورثات. لو كنا نعيش ضمن ثقافة يتم فيها الحاق أضرار بأمخاخ الأطفال الشقر لكان من الضلال أن نشككي من التلوث الوراثي عندما نشاهد قدوم عدد كبير من المهاجرين الشقر. بل ينبغي علينا أن نحاول، حينئذ، تغيير ممارسة اجتماعية تحرم مالكي مورث الشعر الأشقر من حق تكافؤ الفرص. ■

* جنسني : المؤيد لأطروحات عالم النفس الأمريكي آرثر جنسن، الذي اقترح رؤية حتمية للشخصية البشرية ولتنظيم المجتمع.

** نقول عن مجتمع إنه صار عشوائيا ("مَعْشَوًّا") إن كان بالإمكان معالجته كعينة عشوائية دون تأثير على نتائج التحقيق.

*** الفعل الإيجابي (Affirmative Action) هو مجموعة التدابير، القسرية أحيانا، التي اتخذت في الولايات المتحدة لمحاولة الحد من "انعزالية ghettoisation" الأقليات.

**** الوسيط : الواقع على الخط الذي يفصل مجتمع الى قسمين متساويين.

***** القابلية الوراثية غير المباشرة : عبارة ادخلها كاتب هذا المقال عام 1974[□]. يتحدث الآن بعض المؤلفين عن " القابلية الوراثية الإرتكاسية"[□].

□. N. Block & G. Dworkin, « IQ Heritability and Inequality », Part 2, Philosophy and Public Affairs, 4, 1, 49, 1974.

□. J. Tooby & L. Cosmides, Journal of Personality, 58, 1, 17, 1990.

التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص التي تعتمد اللغة العربية

أ. موسى زموي
إطار في صندوق الإنماء الاقتصادي
والاجتماعي بالكويت

التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص التي تعتمد اللغة العربية

موسى زمولي

الملخص

نطرح في هذا البحث - بعد التذكير بأهداف مشروع " حوسبة ذخيرة اللغة العربية " الذي يعتزم المجمع الجزائري للغة العربية إنجازه - إشكالية أهمية ومدى إمكانية إنجاز مثل هذا العمل الطموح، ونتطرق بعد ذلك إلى عرض وتقييم تجارب مماثلة تمت خلال العقدين الأخيرين، وكان من بين أهداف بعضها حيازة النصوص العربية في ذاكرة الحاسوب ونشرها عبر وسائط تكنولوجيا المعلومات، كما نسرد ما أنجز من أبحاث في مخابر فروع اللسانيات الحاسوبية خاصة منها التي تتعلق بموضوع معالجة اللغة العربية الطبيعية. ثم نتعرض من خلال هذا البحث إلى التطبيقات العملية المتمثلة في تجارب الشركة العالمية للإلكترونيات، والخطة المستقبلية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومشروع الوراق الإماراتي، وفعاليات القسم الثقافي بالمركز الجهوي للبرمجيات وهندسة المعلومات. كما نقارن هذه التجارب بتجارب خاصة باللغة الإنجليزية وأخرى متعلقة بمشروع "حوسبة اللغة الفرنسية" لمجمع اللغة الفرنسية.

ونخلص في تقييمنا لهذه التجارب إلى أن فاعليتها، بصفة عامة، لازالت دون حاجات المستخدم العربي.

وفي الفقرة الأخيرة نقترح بعض التوصيات حول طريقة إنجاز وتطوير مشروع حوسبة اللغة العربية الرائد للمجمع الجزائري للغة العربية.

إطلاقات أولية : ذخيرة اللغة العربية، حوسبة، توليد المعاجم حاسوبيا

1. مقدمة

إن التقدم السريع في تكنولوجيا المعلومات، بالإضافة إلى انتشار فكرة عولمة الثقافة، يملي على المؤسسات التي تعنى باللغة العربية أن تُعجّل في ربط جسر التواصل بينها وبين بقية العالم في هذا المجال.

لقد أنجزت أعمال قيمة في ميدان معالجة اللغة العربية الطبيعية، منذ السبعينات من طرف الباحث د. حاج صالح و فريقه (1) و خبراء آخرين، إلى جانب شركات تجارية ذات الاهتمام بالقضايا العربية[□].

- التأكيد على تبوأ اللغة العربية مرتبة هامة في صف اللغات المتطورة و ذلك بفضل مميزاتا المتمثلة خاصة في الاشتقاق والبنية المنطقية لقواعد الصرف والنحو و ثراء مفرداتها ومرونة التعامل معها مع قابليتها لاستقبال أول توليد المصطلحات الحديثة.

- إنجاز أبحاث معتبرة غايتها تحويل قواعد علم اللغة العربية إلى خوارزميات قابلة للحوسبة.

- توفر برمجيات عربية في الأسواق تضاهي نظيراتها في اللغات الأجنبية.

□. نذكر من بينهم د. نبيل علي (العلمية الكويت) ود. عبد القادر الفهري بجامعة محمد الخامس.

في هذا الإطار قرر المجمع الجزائري للغة العربية إنجاز مشروع "حوسبة الذخيرة اللغوية العربية" و يهدف المشروع حيازة أهم نتاج اللغة العربية من أدب وعلوم، على وسائط حاسوبية، لتوفير بنك معطيات نصية عربية محوسب يمكن نشره عبر شبكة الانترنت ومن خلال وسائل رقمية أخرى ليتسنى لأي مستخدم الاطلاع عليه بكل يسر.

سنعرض فيما يلي بعض الأمثلة حول التجارب الحالية ذات العلاقة بموضوعنا ومن بينها تطبيقات عملية لنماذج حاسوبية.

لنبدأ أولاً بتساؤلات حول جدوى و حظوظ إنجاز هذا المشروع الطموح.

2. الإشكالية

نرى أنه من الأجدر، في هذه المرحلة، أن نطرح ما يتراءى لنا من الأسئلة قبل الخوض في الأجوبة و اقتراح الحلول.

السؤال الأول : من أين نبدأ ؟

ج1 : لقد ترك موضوع المصطلحات الحديثة، جانبا، ولقرون عدة، ليخضع لاجتهادات وإرتجالات المستخدم العربي دون أي سند، لينتج عن ذلك تراكم الأعمال وتأخر كبير في تحديث اللغة العربية ولا بد من مواجهة هذه الحقيقة قبل أو بالتوازي مع مشروع الحوسبة.

ولو طرح السؤال، حاليا، حول مفهوم عبارة اللغة العربية لكانت الردود مختلفة : هناك اللغة الفصحى المقررة في المدارس، وهناك ما يسمى "باللغة العربية العصرية" المستخدمة في مختلف وسائل الإعلام، ثم يأتي بعد ذلك دور اللهجات المتفرعة عنها.

السؤال الثاني : ما هي شروط انتقاء النصوص لضمها للذخيرة ؟ ومن هو

المستخدم المستهدف للذخيرة اللغة العربية المحسوبة ؟

ج2 : تعج الساحة الآن بمواقع عربية كثيرة على شبكة الإنترنت تجعل

بالإمكان الوصول إلى برمجيات عديدة مثل نظام القرآن الكريم بمختلف مزاياه ونظم المواريث والأحاديث النبوية الشريفة (الملحق 1). كما يمكن تصفح معظم الصحف العربية على الإنترنت في شكلها النصي ، أو الاطلاع على الشعر الجاهلي والمعلقات ، في إطار الوسائط المتعددة ، كما يمكن كذلك زيارة مواقع عربية مخصصة للأطفال وأخرى للمرأة ، وهناك مساحات على الشبكة للسياحة وغيرها (الملحق رقم 2). إلا أن المستخدم العادي للأنترنت في العالم العربي ما يزال ، في نظرنا ، في حاجة إلى معاجم عربية لتزويده بالمصطلحات العربية المرادفة لنظيرتها في الإنجليزية في ميادين التكنولوجيا والمالية ووسائل الإعلام وفي الطب وغيره ، كما هو بحاجة كذلك إلى موسوعات باللغة العربية في كل المجالات . باختصار فإن المستخدم العربي يطالب بعمل شمولي ومهني .

السؤال الثالث : ضرورة التنسيق .

ج3 : لقد أثبتت التجربة فشل محاولة التنسيق حتى بين مراكز البحث في بلد

عربي واحد بل حتى في نفس المؤسسة وذلك في معظم الحالات .

ويحضرني بهذه الخصوص قرارات ، أخذت منذ عدة سنوات في إطار الجامعة

العربية ، تتعلق بإنشاء شبكة بيانات حاسوبية عربية (2) ، مع تعيين لجنة متابعة

؛ ولحد الآن لا تزال حبرا على ورق وتنتظر من ينفذ عنها غبار النسيان !

السؤال الرابع : ما هي العوائق الفنية التي تعترض حيازة ذخيرة اللغة

العربية ؟

ج4 : حتى الآن وحسب علمنا توجد ثلاث طرائق للحصول على نص محوسب : إدخال كامل النص يدويا أو عن طريق المسح الضوئي للوثائق والتعرف عليها آليا، وأخيرا التعرف آليا على الكلام وتحويله إلى نص. ولا تزال هذه الطرائق الثلاث غير قادرة على الوفاء تماما بالغرض المنشود بسبب حجم ونوعية الوثائق المراد حيازتها. مما يستوجب الاستفادة من الوسائل الثلاث معا إلى أن يتوفر حل بديل مرضٍ □ .

3. أمثلة من التطبيقات الحالية

انطلقت الأبحاث في ميدان اللسانيات الحاسوبية في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات. وكان كل الباحثين من مشرق العالم العربي إلى مغربه يعملون تقريبا على نفس المواضيع. وكان همهم الأول توحيد المحارف العربية، أو العمل على إنجاز منسق كلمات ومعالج للجداول وتوفير قاعدة بيانات تتعامل مع اللغة العربية للاستخدامات المكتبية وتطوير كل ذلك. وفي نهاية الثمانينات شرع الباحثون في تطوير خوارزميات لمعالجة اللغات الطبيعية.

وفي هذا المجال قدمت هيئات علمية مثل مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر ومركز الحاسوب بجامعة محمد الخامس بالمغرب أعمالا نظرية

□. مثل نظام (Arabdox) الذي تقترحه شركة العالمية والذي ينطلق من المسح الضوئي للوثائق وفهرستها آليا مع إمكانية الربط بين الوثائق وإجراء بحوث موضوعية.

معتبرة. وحاولت تلك الهيئات وضع القواعد المناسبة بتطوير المحللات الصرفية والدلالية والمحللات النحوية التي تضبط اللغة العربية. وكمثال على ذلك يمكن الإشارة بالأبحاث المتعلقة بالمدرسة الخليلية الحديثة التي طورها د. حاج صالح وفريقه، كما سهر فريق المغرب والشركة العالمية وغيرهم على تحقيق تجربة التوليد الآلي للمعجم والتعرف آليا على المحارف وعلى الكلام المنطوق وكذا الترجمة الآلية، أما الشركات التجارية ومنها شركة العالمية الرائدة في هذا المجال وشركة (Alis) الكندية ومؤسسة ميكروسوف الأمريكية، فقد انحازت إلى الجانب العملي وأبلى بعضها فيه بلاء حسنا.

1.3. إنجازات شركة العالمية (3) و (4).

بدأت الشركة الكويتية "العالمية للالكترونيات" في الثمانينات بالاهتمام بالحاسوب العائلي (Home Computer) بتقديم برامج تثقيفية، تعليمية وترفيهية مثل برامج رحلة إلى مكة، تعلم الإنجليزية وكلمات ساحرة. وبداية من التسعينات حققت مؤسسة صخر (مجموعة مختصة بالبرمجيات تفرعت عن العالمية) نقلة نوعية بتوجهها نحو جيل جديد من البرمجيات يعتمد معالجة اللغات الطبيعية فطورت الشركة محلا صرفيا كان نواة لإنجاز برمجيات عربية مكتبية معتبرة (الملحق رقم 1)، على أقراص الليزر، مثل :

- برامج الناشر المكتبي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمواريث
- المحلل النحوي
- المشكل الآلي
- المفهرس الآلي

- نظام الترجمة الآلية
- القارئ الآلي
- ونظام (Arabdox) الشامل لمعالجة الوثائق العربية مع فهرستها آليا وإمكانية الربط الموضوع كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وانتقلت الشركة في نهاية التسعينات إلى التركيز على شبكة الأنترنت كأكبر وسيلة متداولة في العالم. فأنشأت "السندباد" متصفح على موقع صخر (Sakhr.com) وخادوم عجيب (Ajeeb.com) الذي يسمح على سبيل المثال بتعريب بعض "البرتالز" وكان آخر منتجاتها الموقع الإعلامي المتميز (Johaina.com).

ولمجموعة صخر علاقات جيدة مع شركات تكنولوجيا المعلومات الدولية إذ تمثل الشركة العربية همزة الوصل بين العالم الغربي والمستخدم العربي. ولمزيد من المعلومات حول خدمات هذه الشركة يمكن الحصول على ذلك بتصفح المواقع التالية :

www.sakhr.com أو www.ajeeb.com أو www.johaina.com.

2.3. مشروع الوراق (www.alwaraq.com)

انتهى المجمع الثقافي بأبو ظبي من وضع الملامح الأساسية لمشروع الوراق وهو مشروع ثقافي رائد يستهدف إحياء التراث العربي من خلال نشر أبرز مقتنيات المكتبة العربية إلكترونيا على شبكة الأنترنت. وحسب تصريحات الشاعر نوري الجراح المشرف على المشروع فإن هذه الخطة تعتبر ثورة حقيقية بكل المقاييس، تهدف إلى تكوين أول موقع إستراتيجي من نوعه باللغة العربية على الأنترنت. فمن المعروف أن هناك أكثر من 2.5 مليار صفحة مكتوبة على الأنترنت في أكثر من 200 مليون موقع، هي عبارة عن

معارف ووثائق وأفكار تتصارع فيما بينها، والأغلبية منها إلى الآن باللغة الإنجليزية التي تحتل 86% مقابل 2.1% للغة الفرنسية، وبقية 12% لباقي لغات العالم.

قسم المشروع إلى ثلاث مراحل : الأولى لحيازة كتب التراث، والثانية للمؤلفات الموضوعية بعد الحملة الفرنسية على مصر، وخصصت المرحلة الأخيرة للمؤلفات التي تم وضعها بعد الحرب العالمية الأولى حتى اليوم.

ويقول الجراح رئيس المشروع أنه قد تم إنجاز المرحلة الأولى نهائياً، واستطاع المشروع نقل الثقافة العربية من عالم الورق إلى أفق الضوء عبر شبكة الأنترنت، لأن من لا موقع له على الأنترنت لا موقع له على الأرض. ويضيف الجراح : إنه تم نشر 600 كتاباً على الشبكة الدولية، بلغ عدد صفحاتها أكثر من مليون صفحة ومن المنتظر أن يبلغ عدد الصفحات نحو 10 ملايين صفحة.

وعن كيفية اختيار الكتب المرشحة للنشر على الشبكة قال مسؤول المشروع : نحن نحاول تغليب تراثنا العقلاني عن تلك التي خوض في الغيبيات وسوف تدخل الكتب في شكل نصوص لا صور ليسهل التعامل معها سواء بالحفظ أو الأرشفة، وفي المرحلة الحالية يتم إدخال المجالات التنويرية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين مثل : المنار والمقتطف والعصور والرسالة. وانتهى الجراح إلى القول بأن المشروع يسعى إلى تكوين جمعية عربية للنشر الإلكتروني تضم كل المواقع العربية للتنسيق بينها لحماية حقوق الملكية الفكرية.

ويمكن للباحثين الدخول على موقع الوراق لتصفح العديد من الكتب التراثية ومن بينها : الأصمعيات والإمتاع والمؤانسة، رسالة الغفران، نهج البلاغة، تاريخ الطبري، عجائب الآثار للجبريتي، رحلة البلاغة وغيرها.

3.3. مشروع المركز الجهوي للبرمجيات وهندسة المعلومات

(Ritsec.com.eg)

استفاد المركز من هبة قدرها 550000 د.ك. (1.650.000 دولار) قدمها له الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في السنوات التالية 1993 ، 1994 و1997 لإنجاز نظام متكامل للمخطوطات العربية الإسلامية. في سنة 1995 ، صدر عن المركز مجموعة من الأقراص الضوئية بعنوان "ذخيرة الحضارة الإسلامية" (Treasure of Islamic civilization) وهي مجموعة صور لمخطوطات عربية محفوظة بجامعة برنستون الأمريكية. وفي سنة 1997 صدر عن المركز مجموعة أخرى من الأقراص الضوئية حول عينة من الصور لمخطوطات دار الكتب المصرية.

4.3. مشروع مركز مكي جمعة الماجد (الإمارات العربية المتحدة)

يعمل هذا المركز منذ سنوات على إحياء التراث العربي وهو أيضا مركز توثيق ومعلومات. و من إنجازاته على سبيل الخصوص، تصوير بوساطة كاميرا رقمية، أكثر من 3000 مخطوط تابع للمكتبة الوطنية الجزائرية في سنة 2000.

5.3. آفاق عمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (2010.2003)

في 16 يونيو (جوان) 2001، استضافت الكويت ملتقى خبراء للبحث في الخطة المستقبلية لعمل المنظمة وجاء الحاضرون بتوصيات أهم ماله صلة بموضوعنا ما يلي :

- العناية باللغة العربية وتوظيف أساليب واستراتيجيات جديدة في تدريسها، مع الاهتمام بنشر القيم العربية واللغة العربية في الدول الإسلامية من خلال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها،
- المساهمة في إقامة البنية التحتية لصناعة ثقافة عربية،
- إحياء التراث العربي بمعناه المادي والمعنوي تقديمًا وصياغة و ترميماً،
- دفع جهود التنظير اللغوي،
- توثيق التراث اللغوي والاستخدامات الحديثة للغة العربية،
- تطوير أساليب بناء المعاجم،
- العناية بالترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية،
- التأكيد على أن استخدام التقنيات الحديثة أصبح ضرورة ملحة ومدخلا رئيسا للاندماج في العصر،
- الاستفادة من شبكة الانترنت في التواصل بين الدول العربية ومختلف مؤسسات البحث العلمي، ومراكز الدراسات الاستراتيجية في الدول العربية،
- تحديث منهجيات تعلم وتعليم اللغة العربية،
- إقامة قاعدة ببلوغرافية للتنظير اللساني الحديث،
- تعميم النظم البرمجية لمعالجة اللغة العربية آليا،
- وضع القوانين اللازمة لحماية الملكية الفكرية.

6.3. شبكة بيانات المؤتمر الإسلامي (OICS – Net) [□]

يعد مشروع منظمة المؤتمر الإسلامي من الشبكات الحاسوبية الرائدة في العالم الإسلامي حيث انطلق المشروع في منتصف الثمانينات باستخدام بنية الاتصالات التابعة لشركة (SITA) [□]. وبدأت المنظمة بوضع محطات (Help desks) لشبكتها في بعض الدول الإسلامية والتنسيق مع البلدان الأخرى لتبادل المعلومات التي تهتم العالم الإسلامي. وبعد ظهور شبكة الانترنت سعت المنظمة لإعادة تصميم شبكتها للاستفادة من البنية الجديدة لتقانة المعلومات ولجعل المعلومات المتعلقة بالعالم الإسلامي في متناول الجميع.

7.3. مركز التعريب التابع للجامعة العربية

يهتم المركز، الذي يوجد مقره الرباط، منذ سنوات بدراسة وتطوير المصطلحات العربية خاصة العلمية والتقنية منها. كما قام المركز بإصدار معاجم متخصصة. ومن المفترض أن يكون للمركز، الذي يمارس مهامه منذ حوالي 20 سنة، بنك بيانات بالمصطلحات العربية والأجنبية يمكن للمجمع الجزائري للغة العربية الفتي والمجلس الأعلى للغة العربية الاستفادة منه.

8.3. تجربة الكاتب الطاهر وطار (www.aljahidhiya.ass.dz)

قام الروائي الجزائري الطاهر وطار بتعلم لغة (Java Script)، بمفرده لإنجاز موقع للمؤسسة التي يرأسها. ونشر عبر صفحات هذا الموقع مجلة الجاحظية وأخبار الأدب والفنون بالإضافة إلى رواياته الشهيرة. وحسب علمنا فإن سي الطاهر روائي قدير ولكن لم يكن على دراية بتكنولوجيا المعلومات وحقق بمفرده هذا الإنجاز مما يعني أن ذلك سيشجع الكتاب والأدباء للاحتذاء به خاصة بعد قيام ميكروسفت

□. Société Internationale de Télécommunications Aéronautiques.

بتحديث برنامج (Front Page)، في الإصدار الأخير : (Ms office XP) حيث وفرت قوالب لإنشاء مواقع على الانترنت بسهولة ويسر. كما لا يفوتنا هنا أن نشيد بدور مركز [□] (CERIST) الذي استضاف موقع الجاحظية.

9.3. الصندوق العربي و مشروع " المعجم العربي الحديث "

في سنة 1987، خصص الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، 100 ألف دينار كويتي (حوالي 300 ألف دولار) كقسط أول لإنجاز معجم عربي حديث واستقطب الصندوق خبراء وأعضاء في مجامع اللغة العربية، تحت إشراف د. عثمان سعدي (عضو مجلس إدارة الصندوق العربي آنذاك).

وقامت للجنة بتحديد أهداف المشروع ومراحل تنفيذه كما تم ضبط منهجية العمل. وكان المشروع يهدف في النهاية إلى إنشاء مؤسسة دائمة مستقلة، على غرار مؤسسة (لاروس)، لتحديث المعاجم العربية دوريا. وكان مقررا أن تتم حيازة البيانات على الحاسوب. وتم بالفعل إنجاز جزء من المشروع حسب المنهج العلمي الذي اعتمده اللجنة. إلا أن العمل توقف بسبب حرب الخليج الثانية. من جهة أخرى، وعلى سبيل المقارنة، نعرض في ما يلي تجربتين تخصان اللغتين الإنجليزية والفرنسية :

10.3. معجم (Colins Cobuild English Dictionary)

وهذا المعجم من إصدارات دار جامعة كولنز - برمنغهام، التي تتوفر بها قاعدة بيانات لغوية. وقد تم توليده حاسوبيا من هذه القاعدة. ومن أهداف هذا المعجم

□. Centre des Etudes et de Recherche en Information Scientifique et Technique.

مساعدة الطلبة والأساتذة في أبحاثهم وأعمالهم، ويعد ثمرة جهد فريق من خبراء جامعة برمنغهام الذي كرس سبع سنوات من العمل الدؤوب، بالاستعانة بكل خدمات الحاسوب لتحليل اللغة الإنجليزية المتداولة حالياً مستخدمين في ذلك ملايين النصوص ومختلف نماذج استخدام اللغة الإنجليزية.

11.3. المشروع الفرنسي "حوسبة ذخيرة اللغة الفرنسية"

(Trésor de la langue Française Informatisé)

ارتأينا أنه من اللائق عرض هذه التجربة للاطلاع على منهجية هذا العمل الذي تتقارب أهدافه مع مشروع المجمع الجزائري الفتى.

وللاطلاع على مراحل وأماكن إنجازه وعلى الصعوبات التي عانى منها اللسانيون والمؤسسات ذات العلاقة بالمشروع، يمكن تصفح الموقع التالي :

www.ciril.fr/~masina/TLF ، وكذا الاطلاع على الملحق رقم 3.

4. تقييم هذه التجارب

بالاطلاع على قائمة البرمجيات (الملحق 1)، وباستثناء نظام القرآن الكريم والحديث الشريف، التي تمت الموافقة على نشره بعد فحص دقيق من طرف الجهات الإسلامية المعنية بالموضوع، فإن معظم باقي البرمجيات يمكن مناقشة محتواها ونوعيتها. وعلى سبيل المثال فإن نظام التعرف آلياً على المحارف العربية (OCR) لا زالت نسبة جودته غير كافية للاستخدام المهني. وإذا كان بالإمكان تحسين منتج الـ OCR عن طريق البرمجة، فإن قضية تحسين الترجمة الآلية، مثلاً، تكمن في التحليل الضمني للكلمة المراد ترجمتها، وهذه قضية شائكة من قضايا

التحليل الدلالي. فعلى سبيل المثال نجد كلمة "علم" التي تشير إلى عدة معانٍ من علم إلى علم. ولمعرفة معناها الدقيق في النص فليس لنا سوى اللجوء إلى التحليل الضمني أو تشكيل الكلمة. ويبدو أن شركة العالمية نجحت في إنجاز برمجيات لتشكيل النصوص العربية آلياً.

أما بخصوص المواقع العربية (الملحق رقم 2)، فمعظمها لا يلبي الغرض المنشود لا من حيث شمولية المواضيع ولا من حيث نوعيتها وأغلبها يعالج مواضيع إسلامية تراثية بشكل سطحي أو تجاري إعلاني أو ترفيهي. أما مجموعة صخر التي أنجزت ثلاثة نظم : (ajeeb.com، Johaina.com و www.al-islam.com) فإنها توفر أدوات جيدة للهواة والمحترفين في آن واحد وتستحق الزيارة والتقييم. كما لنا وقفة بخصوص مشروع الوراق الطموح وهو أقرب عمل إلى مشروع المجمع الجزائري وللمشروع بداية حميدة لكن من الصعب الحكم له أو عليه حالياً.

وبخصوص مراكز اللسانيات ودور البحث النظري فلن نجدوا فرصة أحسن من مشروع حوسبة ذخيرة اللغة العربية لتطبيق نظرياتهم وخدمة مستخدمي اللغة العربية.

5. التوصيات

مما لاشك فيه أن الهوة بين مجامع اللغة العربية وحاجة مستخدمي هذه اللغة، كبيرة وقائمة منذ قرون. ولذا يتحتم علينا إعادة النظر في المشاريع ذات العلاقة بموضوع توفير الذخيرة العربية على الانترنت ومنهجية البلوغ لهذه الغاية. ومن استقراءنا للتجارب السابقة والمتعلقة بالمبادرات والنوايا الحسنة لخدمة القارئ العربي خلصنا إلى أن هذه المحاولات لحوسبة التراث العربي، على سبيل الخصوص، لا زالت جنينية في بدايتها. وتبقى فردية دون أي تنسيق بين مختلف

الجهات مما يفقدها شيء من المصداقية مع مصرة عدم الاستفادة من أخطاء الآخرين. في هذا الإطار وبخصوص خطة تنفيذ مشروع "حوسبة ذخيرة اللغة العربية" نقترح ما يلي :

أولاً : الجانب الأكاديمي

- اختيار المؤلفات : يجب أن يتم ذلك بواسطة فريق متخصص يشمل كل فروع المعرفة لمراجعة الحصيصة الموثقة للتراث العربي الإسلامي.

- اختيار المنهجية : حيث أن مصادر الذخيرة العربية مختلفة كما ونوعاً ولأن الاختيار المتأني السليم في البداية سيعود على الجميع بالفائدة المؤكدة ولا يمكن استعمال طريقة الخطأ والتجريب في مثل هذا العمل الضخم، لذا يتحتم على أصحاب القرار، ومنذ البداية اختيار المنهجية اللائقة من أجل احازة الوثائق والأدوات المعلوماتية التي سترافق المشروع طول حياته والعمل على احترام هذه المنهجية مع احتمال مراجعتها، بالمشورة، إذا اقتضى الأمر لتتماشى مع التطور التكنولوجي.

- تحديد الأولويات : بما أن لكل مشروع قيود مادية أو زمنية فلا بد إذا من تحديد الأولويات وتخطيط مراحل تنفيذها. على سبيل المثال يمكن في مرحلة متوسطة المدى من المشروع العمل على حيازة الذخيرة واستخلاص مكنز يتم من خلاله التوليد الآلي لمعجم عربي حديث ينشر على شبكة الانترنت.

- الاستناد على أبحاث اللسانيات : إن أهم ما تميز به عصرنا، بعد تكنولوجيا المعلومات، هو تطور فرع اللسانيات ليصبح علماً مستقلاً من علوم المعرفة وإن النماذج

الرياضية التي وصلت إليها مراكز البحث كما أشرنا إليه سابقا لا يمكن إلا أن تخدم قضيتنا هذه وأن تضمن مصداقيتها. ولذا يجب أن تكون هذه النماذج الرياضية هي النواة التي يحيط بها باقي النسيج.

ثانيا : الجانب الفني

على خبراء تكنولوجيا المعلومات اختيار، قدر المستطاع، أحدث أدوات حاسوبية تم اختبارها وأكثرها تطابقا وتمشيا مع نظم التشغيل الحالية والمنظورة. أما ميكانزمات حيازة الذخيرة فيجب أن تكون مجزئة (Modular) ومرنة بحيث يمكن تحديث جزء من العملية دون المساس بالمشروع ككل، أو إضافة حصيللة قد تأتي من طرف آخر أو تجربة سابقة. كما يجب أن يكون هناك منذ البداية تصور للمنتج النهائي حتى من حيث نوع وسائط نشره و توزيعه (ليس فقط على الانترنت بل لا بد و أن تراعي احتياجات المعوقين، مثلا).

ثالثا : أعمال التشغيل والصيانة

تحديث النظام وصيانتته ليس بالأمر الهين مع تقدم أبحاث اللسانيات وتطور التكنولوجيا من جهة ومع توفر كم هائل من المعلومات التراكمية يوميا. ولضمان استمرارية المشروع وتجانس وحداته لا بد من تخصيص جهد كبير لهذا العمل كما يجب للمحافظة على سلامة المشروع اعتماد قواعد وقائية وأمنية مؤكدة تضمن استمرارية المشروع في كل مراحله.

رابعا : الموارد البشرية

لا يمكن أن يضمن نجاح مثل هذا العمل المضمني والجاد إلا عن طريق فريق من مختلف فروع المعرفة مؤمن بأهمية هذه القضية ومتفرغ لها. وعلى أصحاب القرار توفير الجانب المادي لهذا الفريق وظروف عمل تشجع على خلق روح الإبداع والإنتاجية. وينطبق ذلك على كل المستويات سواء تعلق الأمر بخبراء أم بعمال بسطاء.

خامسا : الجانب المالي

لقد بات معروفا لدى الكثير بأن نسبة نجاح المشاريع الطموحة وذات المدى المتوسط أو البعيد، في محيطنا، ضعيفة وذلك بسبب الموارد المالية أو بسبب سوء استخدامها. ويجب تظافر الجهود لإنجاز المراحل الأولى من المشروع الذي قد تأتي بعوائد تسمح بالاستقلالية المالية للمشروع. علما بأن الغرض المنشود لا يمكن أن يكون تجاريا.

سادسا : الجانب التشريعي

على الجهات المعنية بالموضوع أن تعمل بالتكامل على سن القوانين التي تحث المثقفين على توفير إنتاجهم على وسائل رقمية لتسهيل مهمة الاستفادة منها. وأخيرا يبقى الهدف المنشود هو إنجاز نظام يضمن إستمراريته وتطوره مستقبلا.

المراجع

1. Al Hadj Saleh, A, المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب ، 1989, Proceedings of the International Conference on « Arabic computational linguistics, held in Kuwait Scientific Research Center, Kuwait, 1989.
2. Zemouli, M, 2000, Information technology in Arab Countries : Assessment and perspectives. International conference on “ Arab Development Challenges of the new Millennium ”, organized by the Arab Planning Institute (API) in Kuwait and the University of Mohammed V, June 26-28, 2000 in Rabat, Morocco.
3. Nabil, A, 1988, The Arabic Language and the Computer (اللغة العربية) (والحاسوب), Taarib.
4. Abu al-Azm, A. Arabic Language and Automatic Processing, ‘ اللغة العربية ’, « و المعالجة الآلية برنامج صخر نموذجاً Fikr wa naqd, n° 31, September 2000.

الملاحق

الملحق 1 : قائمة ببعض البرامج النصية العربية المحسوبة

ملاحظات	الجهة المصدرة للمنتج	تسمية المنتج
عمل قيم يقدم النص الكامل للقرآن مع تفسيره وترجمته بعدة لغات وطريقة لتحفيظه.	شركة العالمية	القرآن الكريم
برامج شامل ودقيق لأحكام المواريث	//	المواريث
برنامج كامل للأحاديث النبوية الصحيحة	//	الحديث
إنجليزي عربي وناطق	//	القاموس
مليون كلمة، عربي - إنجليزي	ATA (الكويت)	الوافي
قاموس ابن منظور	جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت) 1999.	لسان العرب
يقوم بإلقائها ممثلون مشهورون	//	المعلقات السبع
مجموع من مؤلفات ابن القيم	مكتبة ابن قيم الجوزي، الكويت 1999	أعمال ابن قيم الجوزي
في إطار الحوسبة	وزارة الأوقاف الكويت	الموسوعة الفقهية

//	وزارة الاعلام الكويتية	تاج العروس
//	مؤسسة عبد العزيز البابطين - الكويت	موسوعة الشعر العربي

الملحق 2: عناوين بعض المواقع العربية على الانترنت

Portal Name	Portal Address
Algerian General Information Database	www.algeriainfo.com
One hundred Arab sites	www.arank.com/
Taher outar	www.aljahidhiya.ass.dz
Naseej	www.naseej.com
Ayna	www.ayna.com
4Arabs	www.4arabs.com
Arabseek	www.arabseek.net
Konouz	www.konouz.com
Gulf Palace	www.gulf-palace.com
Al Saha	www.alsaha.com
Planetarabia	www.planetarabia.com
Moheet	www.moheet.com
Saudi Online	www.saudionline.com.sa
Middle East Inernet Pages	www.middle-east-pages.com
Arabia Online	www.arabia.com
1001sites	www.1001sites.com
Arab Net	www.arab.net
Wahat	www.homestead.com
Arab View	www.arabview.net
Maktoob	www.maktoob.com
Horizons	www.ihorizons.com
Dabbagh Information Technology	www.dit.net
Arab Business	www.arab-business.com
Lexic Orient Front Page	www.i-cias.com
Arabvista	www.arabvista.com
Al Jareh	www.aljareh.net
Arabic 2000	Arabic2000.com
Sites for all	www.sitesforall.com
Arabist	www.arabist.com
All Saudi	www.all-saudi.com
Ya Salam	yasalam.com
Bawaba	bawaba.com
Zorona	www.zorona.com

Nawal	www.nawal.com
Nana	www.nana.co.il
Arabji	www.arabji.com
Sinsal	www.sinsal.com
Arabcafe	www.arabcafe.com
Zooloo	Zooloo.co.il/Arabic
Daleel	Adleel.com
Kufta	www.kufta.com
Arabic Seek	www.seek.com
Fares	www.fares.net
Saudi Land	www.saudiland.com
Yalla	www.yalla.com
Raddadi	www.raddadi.com
Al Aseel	www.alaseel.net
Al Multaga	www.almultaga.com
Arabichat	www.arabichat.net
Arabian Oasis	www.arabianoasis.net
Kunoozy	www.kunoozy.com
Cafe Arabia	www.cafearabia.com
Kuwaitvoice	www.kuwaitvoice.com
Sandroses	www.sandroses.com
Quality Net	www.qualitynet.net
Jeeran	www.jeeran.com
Inter Nec	www.inter-nec.com
Mauje	www.mauje.com
Bayt	www.bayt.com
Khaleej	www.khaleej.com
Khayma	www.khayma.com
Yafea	www.yafea.com
Saudi Links	www.saudilinks.com
Eqla3	www.eqla3.com
Awalnet	www.awalnet.com
Lakianti	www.lakianti.com
Jahra Net	www.jahra.net
Arabna	www.arabna.com
Beseen	www.beseen.com
Les enchères au Maroc	www.dlala.com
Arabia online Guernsey Ltd.	www.arabia.com
Al Alamiah	ajeeb.com
Al Alamiah	paintings.ajeeb.com
Arabic news	www.arabicnews.com/
Lybia	www.hmnet.com/africa/libya.html
Al Alahmiah	tarjim.ajeeb.com/ajeeb/
Al-Alamiah	johaina.ajeeb.com
Arabic Media Internet Network	www.amin.org-jourmag/
African links	www.afrik.com/

Egyptian children web	www.horus.org.eg
Inter-Arab Investment Guarantee corporation	www.iaigc.org
Qatar, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs	www.Islamweb.net
Afkar Information Technology Ltd.	www.Islamonline.net
Kuwait Studies & Reseach Center	www.crk.org
Algerian newspaper	www.comfm.fr/presse/dz.html
Harf	www.al-islam.com

Annex 3 : French Automated Dictionary

Trésor de la langue Française informatisée, T.XIV, interrogeable sur internet à www.ciril.fr/~mastina/TLF.

Aspects de la base informatisée du Dictionnaire de l'Académie française de 1694 Russon Wooldrige, University of Toronto.

© R. Wooldrige, juin 1998

[Version révisée d'une conférence présentée à Paris, le 15 mai 1998, au Groupe d'études en Histoire de la langue française.]

1. Modalités de saisie
 - 1.1. Compétence du claviste
 - 1.2. Explication des co-vedettes elliptiques
2. Aspects de la genèse du dictionnaire
 - 2.1. Ordre alphabétique
 - 2.2. Renvoi et article
 - 2.3. Oublis rattrapés
 - 2.4. Regroupements étymologiques
3. Nomenclature dictionnaire et lexique réel
 4. Nomenclature cachée et mots oubliés
5. Adéquation typographie / microstructure
6. Le texte comme dictionnaire et corpus
7. Conclusion

الملحق رقم 4 : تجربة برمجيات الترجمة

النص المراد ترجمته من الانجليزية إلى اللغتين العربية والفرنسية

Subject : CEO OF HEWLETT PACKARD one Islam !!!

- Dear friends,
- I have received this email from a friend and I am passing it to you.
- This is the best article I read after September 11 tragic events.
- When you read this article you know why Hewlett Packard, the great global
- Technology company, is putting has lady, this lady in the world of men, have its
- CEO
- What has great business leader and thinker she is, and what has harmony between
- Business and ethics she has.
- You will enjoy reading the full article if you like reading, morale, ethics,
- Leadership, business, religion, and humanity.
- Moussa Zemouli
- Carly Fiorina, the CEO OF HEWLETT PACKARD , recently mountain stream has speech (september 26, 2001) defining the relevance of leadership in today world ("WHAT DOES FUTURE OUR DEMAND OF LEADERS TODAY ?"). The example she used was Islam between 800 and 1600 It. This gives a look at Islam which is quite different from the ones we have seen /heard/ read in the media since September 11. The Raising (finding) part of her speech is quoted below. For the full speech, please go to : <http://www.hp.com/hpinfo/execteam/speeches/fiorina/minnesota01.htm>

of here the final leaves of Fiorina speech :

- Have business leaders, have we are faced with questions of life and death
 - Rather than how much our stock is worth, the significance of our business
- Contribution to the world may be increased. And that is has good thing.
 - I ll end by telling a story.
- There was ounce a civilization that was the greatest in the world.
 - It was able to create has continental high-octane gasoline-state that stretched from ocean to ocean, and from northern climes to tropics and deserts. Within its Dominion.
- Lived hundreds of millions of people, of different creeds and Origins ethnic.

ترجمة النص بواسطة Ajeeb.com

الموضوع : سيو هوليت باكارد الإسلام واحد !!!

- الأصدقاء الأعزّاء
- قد تلقيت هذا البريد الإلكترونيّ من صديق و أناوله لك.
- هذه هي أفضل قطعة قرأتها بعد 11 سبتمبر أحداث مأساويّة.
- عندما تقرأ هذا المقال أنت تعرف لماذا هوليت باكارد، العظيم عالميّ.
- شركة التكنولوجيا، يضرب لدى سيّدة، هذه السيّدة في عالم الرجال، قدها.
- سيو.
- ما لدى قائد تجارة عظيم و مفكّر هي، و ما لدى ائتلاف بينهما.
- التجارة و الأخلاقيات هي قد

- سوف تستمتع بقراءة المقال الكامل إذا أحببت القراءة، الروح المعنوية، الأخلاقيات.

- القيادة، التجارة، الدين و البشرية.

- موسى زمولي

- كارلي فيورينا، سيو هوليت باكارد، حديثا لدى جدول الجبل خطبة (26 سبتمبر، 2001) تعريف صلة القيادة بالداخل اليوم عالم (ماذا مستقبل ملكنا يطلب من القادة اليوم ؟). كان المثال الذي استعملته الإسلام بين 800 و

على

1600 آي تي. هذا يعطي نظرة عن الإسلام المختلف إلى حد ما عن الذين قد رأينا/ سمع/ قرأ في الإعلام منذ 11 سبتمبر. الرفع (تحقيقات) جزء خطبتها يستشهد إلى أسفل. للخطبة الممتلئة، من فضلك اذهب إلى : <http://www.hp.com/hexecteam/speeches/fiorina/minnesota01.htm> . من هنا

الورق النهائي من خطبة فيورينا :

- لدى قادة تجارة، قد نواجه نحن مع / ب أسئلة الحياة و الموت

- بدلا من كم سهما مستحق، مغزى تجارتنا

- قد تكون المساهمة إلى العالم.

ترجمة نفس الفقرة بوساطة برمجيات : Reverso Pro Softissimo

Sujet : PDG D'HEWLETT PACKARD un Islam ! ! !

- Chers amis

- J'ai reçu cet email d'un ami et je vous laisse le passe.

- C'est le meilleur article 1 lu après le 11 septembre ddes évènements tragiques.
- Quand vous lisez cet article vous savez pourquoi Hewlett-Packard, le grand global { *mondail* }.
- La société de technologie, met a la dame, cette dame dans le monde d'hommes, avoir son
 - PDG
- Ce qui a le grand leader économique { * chef d'entreprise* } et le penseur elle est et ce qui a l'harmonie entre
 - L'Affaire et l'éthique elle a.
- Vous aimerez lire le plein article si vous aimez lire, la morale, l'éthique,
 - Direction, affaire, religion et humanité
 - Moussa Zemouli

De voirement Fiorina, le PDG d'HEWLETT PACKARD , récemment le flot de montagne a le discours (le 26 septembre 2001) la définition de la pertinence de direction dans l'aujourd'hui monde (" QU'EST-CE QUI FAIT L'AVENIR NOTRE DEMANDE DE LEADERS AUJOURD'HUI ? "). L'exemple qu'elle a employé était l'Islam entre 800 et sur 1600 CELA. Cela jette un regard à l'Islam qui diffère tout à fait de ceux nous avons vu / a entendu/ lu dans les médias depuis le 11 septembre. Le levage (la découverte) la partie de son discours est cité ci-dessous . Pour le plein discours, allez s'il vous plait :

<http://www.hp.com/hpinfo/execteam/speeches/fiorinaminesota01.htm>

D'ici les feuilles { *congs* } finales de discours Fiorina:

- " Ayez des leaders économiques { *chefs d'entreprise* }, faites faites face nous sommes avec les questions de vie et la mort.
- Plutôt que combien de notre réserve { *valeur* } vaut, la signification de notre affaire.
- La contribution au monde peut être augmentée. Et c'est a la bonne chose.

- Je II fin en disant une histoire.
- Il y avait l'once une civilisation qui était la plus grande dans le monde.
- Il était capable de créer a l'essence d'octane haut continentale-déclarent que s'est étiré de l'océan à l'océan et de climats du nord aux tropiques et des déserts. Dans son Dominion.
- Vécu centaines de millions des gens, de credos différents et ethnique Origines.

الانترنت : دراسة اتصالية ومصطلحية

د. محمود إبراهيم
أستاذ بجامعة الجزائر

مقدمة

يعني مصطلح "Internet" باللغة الإنجليزية : "Interconnected Networks". وهي شبكة تقوم على ربط عدة شبكات معلوماتية réseaux informatiques فيما بينها لتسمح للمستخدمين فيها، في كل أرجاء العالم، بالتحاور فيما بينهم وتبادل معلومات بعضهم البعض.

وهي بذلك تمكنهم من النفاذ إلى مختلف بنوك المعلومات العالمية (في ميادين: الصناعة، التجارة، الأسواق المالية، الصحة، الصحافة، الخ). إنها أحدث وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات وتساهم في رفع مختلف الحواجز التي تحول دون المرور الحر للمعلومات إرسالاً واستقبالاً، سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات أو الهيئات.

لمحة تاريخية

تعود جذور الأنترنت إلى سنة 1969 حين أنشأت دائرة الدفاع التابعة للبانناغون شبكة تدعى "الأربانيت" Arpanet (انظر هذا المصطلح) : وهي شبكة معلوماتية لا يمكن تخريبها في حالة تعرضها لهجوم نووي.

ونظراً لما حققته من نتائج جيدة تم توسيع شبكة الأربانيت إلى مؤسسات شبه عسكرية ثم إلى مؤسسات مدنية كالوزارات والسفارات. وفي الفترة الممتدة بين 1980 و 1988، سلّمت هذه الشبكة إلى العلماء، الباحثين، المهندسين والفنانين : من خلال ربط مختلف مراكز البحث، الجامعات والمعاهد بشبكة أصبحت تحمل اسم "إنترنت" Internet.

وفي بداية التسعينيات، نتج عن التطور المذهل الذي شهده مجال المعلوماتية informatique ظهور حواسيب شخصية P.C (Personal Computers) أو micro-ordinateurs مجهزة بالوسائط الاتصالية المتعددة multimedia ومتداولة بأسعار معقولة، الأمر الذي شجع الكثير من الأفراد على الاشتراك في شبكة الأنترنت.

وهكذا، تطورت شبكة الأنترنت من شبكة تجريبية إلى شبكة في متناول الجميع. وحسب دراسة قامت بها مؤسسة "فيرم كمبيوتر أندوستري آلنك" Computer Industrie Almanac بلغ عدد المشتركين في شبكة الأنترنت، مع نهاية عام 1999، 259 مليون مشترك[□]. وبخصوص عدد الدول المرتبطة بالأنترنت، فإنه يقدر[□]، إلى غاية شهر أوت 1996 بـ: 186 دولة، مع بقاء 51 دولة : معظمها من قارتي آسيا وإفريقيا (وعلى رأسها ليبيا) بدون أي ربط. تجدر الإشارة، إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، أستراليا وكل دول أوروبا (باستثناء البوسنة) كانت مرتبطة بالشبكة.

من استخدامات الأنترنت، نذكر بأنه، في عام 1991، وعلى إثر محاولة الانقلاب بالرئيس الروسي بوريس يلتسين (التي تعطلت أثناءها كل شبكات الاتصال الخارجي)، تمكّن هذا الأخير، بفضل الأنترنت، من الاتصال بالعالم الخارجي وإعطاء تصريحات مهمة إلى وسائل الإعلام الغربية[□].

□. BADRI Salim, «259 millions d'internautes dans le monde», journal «La Tribune», 8 mars 2000, p. 11.

□. حسب ما أفادنا به شقويا السيد موسى بن حمادي مدير "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" CERIST (الجزائر).

□. حسب برقيات وكالة الأنباء الفرنسية (AFP) التي استندت إليها مختلف وسائل الإعلام، بشأن تلك المحاولة الانقلابية الفاشلة.

إن شبكة الأنترنت، بوصفها وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات هي التي ستجسّد، خلال الألفية الثالثة، في إطار العولة Mondialisation المجتمع الاتصالي العالمي الذي يصبح بموجبه العالم ليس فقط قرية واحدة مترامية الأطراف بل : << القرية الصغيرة التي يعرف بعضها البعض الآخر>>. كما قال ذلك مارشال ماكلوهان □.

شروط الاشتراك في الأنترنت

يجب على كل راغب في الاشتراك في الأنترنت أن تكون لديه الأجهزة والأدوات الآتية :

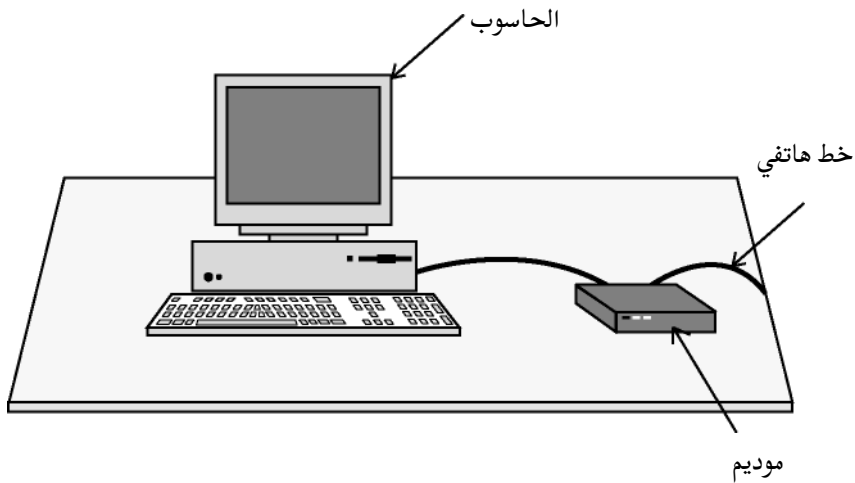
1. الحاسوب ordinateur : سواء كان ذلك من نوع "بي.سي" PC أم م نوع "ماكنتوش" Mac أم من الحواسيب المحمولة portables، الخ، على أن يكون مزوداً ببرمجية إبحار logiciel de navigation، في شبكة الأنترنت. مثل :
برمجية "نيتسكاب" Netscape أو برمجية "أنترنت إكسبلورر"
Internet Explorer أو برمجية سندباد Sindbad.

2. الموديم Modem : هو الجهاز الإلكتروني الذي يوضع بين الحاسوب والخط الهاتفي، للربط بينهما (انظر الشكل المرفق). ويقوم بتشكيل أرقام الهاتف ليسمح للحاسوب بإجراء الاتصال عبر خط هاتفي: بتحويل الإشارة الرقمية (= numérique) إلى الإشارة التماثلية (= analogique) الهاتفية (téléphonique). والعكس.

□. Mc LUHAN Marshall, Pour comprendre les média, Paris, Ed. Mame / Seuil, Coll. Points, 1977, 404 p.

3. الخط الهاتفي ligne téléphonique : الذي يربط بالموديم. تجدر الإشارة، إلى أن الخط الهاتفي حال ربطه بالموديم لا يمكن لصاحبه أن يستعمله بالطريقة العادية (إجراء الاتصال الهاتفي أو تلقي مكالمات هاتفية).

4. إن أرقام الهاتف التي يقوم بتشكيلها الموديم هي التي تسمح للمشارك بربطه بـ : "المؤسسة المانحة الربط بالانترنيت" Fournisseur d'Accès à Internet. وهي المؤسسة التي يتعيّن على كل مشترك جديد أن يفتح فيها رقم حساب Numéro de compte خاص به يماثل رقم الحساب المصرفي، حتى يستطيع من خلاله الدخول، في شبكة الأنترنيت.



كيفية ربط الحاسوب بشبكة الانترنيت

ربط الجزائر بالإنترنت

في سنة 1993، تم ربط الجزائر بالإنترنت، عن طريق: "خط هاتفي متخصص" par dialup. وفي مارس 1994، أقامت الجزائر "الربط الكامل" Full Connexion بشبكة الأنترنت عن طريق كابل (من اللبيفة الضوئية Fibre optique. انظر هذا المصطلح) يربط "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" [□] بمدينة "بيز" Pise الإيطالية. وتقدر طاقة هذا الربط ب: 9.600 بايت bits [□]، في الثانية. ويندرج هذا الربط، في إطار مشروع تعاون مع اليونسكو الذي يهدف إلى إقامة شبكة معلوماتية، في قارة إفريقيا، تكون فيها الجزائر النقطة المحورية للشبكة، على مستوى شمال إفريقيا.

وفي ديسمبر 1997، وبالتعاون مع مصالح البريد والمواصلات، تم تدعيم هذا الكابل بخط متخصص liaison spécialisée يمر بمدينة باريس وتبلغ سرعته 256 كيلوبايت [□]، في الثانية.

-
- . Centre de Recherche sur l'Information Scientifique et Technique (CERIST)
 أنشئ هذا المركز بموجب المرسوم 72-86 المؤرخ في 8 إبريل 1986، تحت وصاية المحافظة السامية للبحث HCR. وهو حالياً تابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وقد أسندت إلى هذا المركز مهمة إقامة شبكة وطنية للإعلام العلمي والتقني وربطها بشبكات إقليمية ودولية.
- . يمكن أن يعادل مصطلح "بايت Bit" التعبير العربي "حرف ثنائي". يدل مصطلح "بايت" على كل رقم من الأرقام الثنائية التي يتضمّن النظام الثنائي Système binaire .. وهي الأرقام المؤلفة على وجه الحصر من أصفار "0" وآحاد "1". انظر المصطلحين: Bit, Système binaire.
- . 1 كيلوبايت = 1.000 بايت bits.

في أكتوبر 1998 ، وبموجب اتفاقية أبرمت بين "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" وهيئة "ناتسات" NetSat الأمريكية تم ربط هذا المركز بشبكة الإنترنت بصفة مباشرة: بتشغيل محطة اتصال جديدة عن طريق الأقمار الصناعية. وتقدر طاقة هذا الربط بـ : 1 ميغابايت [□] ، في الثانية.

ونظرا لازدياد عدد المشتركين في شبكة الإنترنت، عمد مسؤولو هذا المركز، في شهر إبريل 1999 ، إلى تطوير هذا الربط لتبلغ طاقته 2 ميغابت في الثانية.

ومن مزايا الاتصال عن طريق القمر الصناعي ، مقارنة بالخطوط الهاتفية ، أن العلاقة تكون مباشرة مع العمود الفقري للإنترنت الموجود في الولايات المتحدة الأمريكية (بدلا من المرور بثلاثة متعاملين: مصالح البريد الجزائرية ، مصالح البريد الفرنسية وشركة أوروبية للإنترنت).

وتقدر اليوم طاقة هذا الربط، حسب جريدة "لاتريبين" [□] ، 5 ميغابت : فيما يخص "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" (بوصفه مؤسسة عمومية تمنح الربط بشبكة الإنترنت) و5 ميغابايت أخرى منحت لمؤسسة "أوباد" EEPAD (بوصفها مؤسسة خاصة تمنح الربط بشبكة الإنترنت).

الإنترنت: وسيلة اتصال متميزة

إن شبكة الأنترنت نافذة على العالم. وهي عبارة عن محيط من المعلومات وكل فرد يصبح بإمكانه الإبحار بين مختلف "مواقع" sites "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW (انظر هذا المصطلح) ، وبخاصة أن تكنولوجيا الأنترنت بسيطة ولا تتطلب جهدا كبيرا.

□. 1 ميغابايت = 1.000 كيلوبايت = 1.000.000 بايت bits.

□. BADRI Salim, «L'internet en Algérie», journal «La Tribune», op. cit., p.11.

تتميز شبكة الأنترنت بالخصائص الآتية :

1. هي عبارة عن شبكة مفتوحة réseau ouvert ليست ملكا لأي جهة ، الأمر الذي يحول دون تمركز المعطيات centralisation des données في يد مؤسسة واحدة من جهة ويجنب السيطرة على الشبكة من قبل أي كان من جهة أخرى .
2. قدرة شبكة الأنترنت على الوصول إلى أبعد نقطة في الكرة الأرضية ، لتغطي بذلك مختلف المناطق الجغرافية وتفسح المجال أمام عولمة المعلومة mondialisation de l'information .
3. ضمان وصول المعلومة في الحين (= أي في زمن حدوثها Temps réel . انظر هذا المصطلح).
4. تمكن شبكة الأنترنت المشتركين فيها من تبادل المعلومات بين بعضهم والبعض الآخر على نحو ما هو سائد في تجربة "فيديوتيكس" Vidéotex (انظر هذا المصطلح) : لأن تدفق المعلومات لا يتم من المرسل في اتجاه المتلقي فحسب ، بل يتم كذلك من المتلقي إلى المرسل .
5. تسمح شبكة الأنترنت -بفضل بعض البرمجيات الخاصة بالمهاتفة téléphonie (مثل : Microsoft Net-Meeting) - بنقل المعطيات الصوتية والصور المتحركة . وفي هذه الحالة ، يمكن لأي مشترك في الأنترنت من <<التحدث ومشاهدة المراسل correspondant الموجود على الخط، في أي نقطة من العالم>>¹ وتتطلب هذه العملية استخدام كاميرا خاصة (مثال : "كونيكتكس كيككام" Connectix QuickCam) تتلاءم مع تلك البرمجية .

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, Astuces et Secrets Internet, 1^{ère} éd, traduit par WOLF Pierre M, SERRI Laurence, Paris, Ed. Micro Application, 1997, p. 691.

6. يعدّ الاتصال، عن طريق شبكة الأنترنيت، اتصالاً شخصياً يسمح للفرد الواحد بالاتصال مباشرة بمختلف الأفراد، في شتى أنحاء العالم. من هذا المنظور، يمكن لنا أن نضع الأنترنيت في مقابل وسائل الاتصال الجماهيري moyens de communication de masse التي تتمثل في الوسائل التقليدية الآتية : الصحافة المكتوبة، الإذاعة، التلفزة، السينما، المسرح، الفيديو، الخ.

خدمات شبكة الأنترنيت

من بين الخدمات التي تقدمها شبكة الأنترنيت نذكر ما يأتي :

أ. خدمات "بروتوكول نقل الملفات" FTP : على غرار "بروتوكول نقل النص الفائق المحتوى" HTTP:// (الذي يقوم بنقل صفحات "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW لعرضها على شاشة جهاز الحاسوب) توجد طرق أخرى للدخول في شبكة الأنترنيت يأتي في مقدمتها "بروتوكول نقل الملفات" FTP:/// : الذي يعدّ الطريقة الأولى (انظر مصطلح FTP) المستخدمة من قبل مستعملي الأنترنيت لتبادل الملفات بين بعضهم والبعض الآخر. إنه البروتوكول الذي يسمح بالحصول على أي ملف مهما كان نوعه (بفضل الاستعانة ببرمجية "قائمة عناوين بروتوكول نقل الملفات" Archie : راجع هذا المصطلح) ونقله من الموقع الذي وجد فيه لجلبه إلى حاسوب المشترك، في الأنترنيت. ويتضمن هذا البروتوكول العديد من الملفات الاتصالية (من نوع "تفاعل تبادلي" Interactivité. انظر هذا المصطلح).

ب. البريد الإلكتروني (Electronic Mail (E-mail) : يمكن الاشتراك، في

شبكة الأنترنيت، للاستفادة فقط من خدمات البريد الإلكتروني (انظر

(Courrier électronique). وهو البريد الذي يسمح بتبادل الرسائل إلكترونيا بين كل المشتركين، مهما كانت المسافة الجغرافية التي تفصل بينهم.

ج. النقاش الحر : تضمن شبكة "يوزنات" Usenet (انظر هذا المصطلح) لمستعملي الأنترنت التبادل اليومي للأخبار ومناقشة مختلف الموضوعات. إنها الشبكة التي تضم عدة "فرق نقاش" Newsgroups أصبح من الصعب وضع قائمة وافية لها لأنها موجودة، في مختلف أرجاء العالم، بشكل يكاد يكون فوضويا. لكن، يمكن تصنيف "فرق النقاش" المسجلة في القوائم الرسمية لشبكة "يوزنات" إلى سبع مجموعات كبرى تدعى "بيغ سيبين" Big Seven (راجع Newsgroups). تجدر الإشارة، إلى أن كل مجموعة من هذه المجموعات متخصصة في موضوعات محدّدة (ثقافية، فنية، علمية، سياسية، اقتصادية، الخ). وهي بذلك تعدّ "فضاءات حرة للمناقشة" Forums de discussion، إذ يمكن من خلالها لكل مشترك في شبكة الأنترنت، من المشاركة في نقاش أي موضوع يهّمه.

د. التجارة الإلكترونية Commerce électronique (انظر هذا المصطلح) : هي التجارة التي تسمح للمنتجين بعرض منتجاتهم (أو خدماتهم) عبر شبكة الأنترنت. وهي التجارة التي توفر لأصحابها المجال الواسع لترويج بضائعهم. كما تسمح بتخفيض أسعار المعاملات الحالية، في التجارة العالمية.

هـ. التعليم عن بعد Téléenseignement : لقد أدرك المربون، منذ ظهور المعلوماتية informatique وتطورها، أن التعليم ليس شيئا ينجز في حجرة الدراسة أو تحت إشراف المدرسين فقط. فإذا كان الإنسان يواجه حاليا صعوبة في الحصول على المعلومات المناسبة، فإن شبكة الأنترنت ستوفر له، بفضل منظومة

”واب“ WWW ، وصولا كاملا لمعلومات لا حصر لها. كما يمكن من خلالها لأي إنسان مشاهدة التلاميذ الصغار وهم يعملون معا حول جهاز حاسوب ، أو أن يشارك في الحوارات التي تدور بين طلاب موجودين في حجرات دراسة تفصل ، بين الواحدة والأخرى ، البحار والمحيطات.

و. يمكن لمستعمل الأنترنت ، من الاستفادة من العلاج الطبي عن بعد Télémédecine : الأمر الذي يتم ذلك من خلال الاستشارة الطبية عن بعد Téléconsultation والتشخيص عن بعد Télédiagnostique وتبادل المعلومات والأشعة والصور بين المرضى والأطباء.

ز. تسمح شبكة الأنترنت للمشاركين فيها بالإطلاع على الكثير من المعلومات المثيرة وتقديم عدة خدمات مهمة. مثل : السياحة عن بعد Télétourisme ، العمل عن بعد Télétravail (لاسيما بالنسبة للأشخاص المعوقين العاجزين عن التنقل إلى مكان عملهم) ، الخ.

بخلاف الخدمات الثلاث الأولى (خدمات ”بروتوكول نقل الملفات“ FTP ، البريد الإلكتروني والنقاش الحر) تعدّ التجارة الإلكترونية ، التعليم عن بعد ، العلاج الطبي عن بعد ، السياحة عن بعد والعمل عن بعد خدمات تقدمها منظومة ”واب“ Web التي تدعى ”الشبكة العنكبوتية العالمية“ WWW (راجع هذا المصطلح).

كما يمكن للبلاد العربية أن تحقّق ، من خلال شبكة الأنترنت ، الخدمات

الآتية □ :

□. ذكر هذه الخدمات السيد موسى بن حمادي مدير ”مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني“ ، في محاضرة بعنوان : ”شبكة الأنترنت والخدمات المعلوماتية“. وهي المحاضرة التي ألقاها بالأكاديمية العسكرية بشرشال ، إبريل 1998.

1. الوصول إلى مصادر المعلومات العالمية مهما كانت طبيعتها : علمية، ثقافية، فنية، اقتصادية وسياسية.
2. إخراج الإنسان العربي من عزلته الثقافية، بتمكينه من الانفتاح على مجالات العلم والمعرفة والتكنولوجيا.
3. التعريف بالتراث التاريخي والخصوصيات الثقافية لكل بلد.
4. إبراز الطاقات العلمية والتقنية، في كل بلد.

لكل هذه الاعتبارات، يتعين على البلاد العربية أن تقم تكنولوجيا الأنترنت : بإنتاج أقراص CD-ROM خاصة بها لتسوق محليا، عربيا وعالميا. وهي بذلك، تتيح الفرصة للمؤسسات العربية (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، العلمية، الإعلامية، الخ)، للتعريف بنفسها ومنتجاتها عربيا وعالميا.

نظمت منظمة اليونسكو UNESCO، خلال عام 1999، "جائزة واب" Web Prix تقدّر قيمتها بـ 10 000 دولار أمريكي. يمكن للمبدعين المستعملين للأنترنت أن يشاركوا، في هذه الجائزة، باقتراح مواقع "واب" Web جديدة.

ينبغي أن تدرج مضامين هذه المواقع، في إحدى الفئتين الآتيتين :

الفئة الأولى : تستدعي الفئة الأولى اقتراح مواقع تعكس مضامينها التعاون الدولي في المجال التربوي أو العلمي أو الثقافي أو الاتصالي. ولهذا الغرض، تشجع منظمة اليونسكو المواقع التي تخدم الفئات الاجتماعية الآتية: النساء، الشباب والتنمية. كما تشجع المواقع التي تتعلق بالتعددية اللغوية multilinguisme والتعددية الثقافية multiculture.

الفئة الثانية : ينبغي أن تسهم المواقع الجديدة المقدمة، ضمن هذه الفئة، في ضمان "النقل الحر للمعلومات" libre circulation de l'information وتيسير الخدمة العمومية service public : لتمكين أفراد مختلف المجتمعات من الحصول - بكل حرية وسهولة - على الوثائق النصية documents textuels، المقاطع الموسيقية، اللوحات الفنية، الخ.

كما تتضمن هذه الفئة تقديم اقتراحات لمواقع "واب" تسهم في مواكبة الرهانات الثقافية والاجتماعية التي يحدثها "الوصول الحر إلى مصادر المعلومات" l'accès à l'information.

إذا كان هدف "مجتمع المعلومات" société d'information يتمثل في جعل كل مواطن يتمكن من الوصول إلى مصادر العلم والمعرفة، فإن منظمة اليونسكو تسعى، بدورها، إلى ضمان "التداول الحر للمعلومات" libre circulation de l'information، وفق ما أصبح يسمى اليوم بـ "الإتاحة الدولية للمعلومات" l'accès universel à l'information.

تتمتع شبكة الأنترنت -بوصفها وسيلة اتصال قائمة بذاتها- بعدة مصطلحات متخصصة أصبح من الضروري دراستها وفهمها بشكل دقيق تيسيرا لاستخدامها بالشكل الأمثل. لأهمية هذه المصطلحات نتناول، في هذا البحث، دراسة المصطلحات الأساسية التي تتطلبها عملية الاتصال عبر الأنترنت.

معجم بأهم المصطلحات

عنوان : Adresse électronique

هو عبارة عن شفرة سرية خاصة بكل مشترك في شبكة الأنترنت، تسمح لمختلف المستعملين internautes بمراسلته إلكترونياً.

مثال : iberraken_2000 @ yahoo.fr

مثال آخر : iberraken @ hotmail.com

أمريكا أونلاين : America Online

هو اسم إحدى الشركات الأمريكية التي تختص في تقديم الخدمات العامة، عبر الأنترنت، لصالح العائلات. نذكر من بين هذه الخدمات الخدمتين الآتيتين [□]:

1. تمكين العائلات من قراءة مختلف الجرائد والمجلات.

2. منح الربط بـ "فرق النقاش" Newsgroups (انظر هذا المصطلح) : التي هي

عبارة عن "فضاءات للمناقشة" forums de discussion، يمكن من خلالها لكل مشترك في شبكة الأنترنت، من المشاركة في نقاش أي موضوع يهمه.

بروتوكول نقل الملفات المجهولة الهوية : Anonymous FTP

هو البرمجية logiciel التي تسمح بالدخول، في أي موقع site من مواقع شبكة الأنترنت : لنقل ملفاته، دون استخدام رقم حساب ذلك الموقع أو أي "كلمة عبور" mot de passe خاصة به. وما ييسر هذه العملية هو أن كل مقدمي

□. RUDOLPH MARK Torben et BEYER Arne, Trucs, Astuces et Secrets Internet, 1^{ère} éd, traduit par WOLF Pierre M., SERRI Laurence, op. cit., p. 38-39.

الخدمات serveurs المدرجين، في شبكة الأنترنيت، لهم كذلك - إلى جانب أرقام الحساب وكلمات العبور التي يميز بعضهم عن البعض الآخر- أرقام حساب مجهولة الهوية comptes anonymes.

ويعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي FTP anonyme.

قائمة عناوين "بروتوكول نقل الملفات" : Archie

هي البرمجية logiciel التي تسمح بالعثور على الملفات الاتصالية □ المدرجة في "بروتوكول نقل الملفات" FTP (انظر هذا المصطلح). وبمجرد العثور على أي ملف يقوم "بروتوكول نقل الملفات" FTP بنقله من "موقعه" (site)، لجلبه إلى حاسوب المستعمل.

شبكة الأربانيت : Arpanet

هي الاسم الأول لشبكة الأنترنيت. ظهرت شبكة الأربانيت التي تكفلت وزارة الدفاع الأمريكية بتمويلها، عام 1969. وكانت تضم حينئذ عدة مؤسسات علمية نذكر من بينها : جامعة أوتا Université de l'Utah ومعهد البحث لستاندفورد Institut de Recherche de Standford.

يعني مصطلح ARPANET، في اللغة الإنجليزية :

Advanced Reserch Projects Administration Network

قائمة المناقشة الآلية : Automatic Mailing List

هي برمجية خاصة بالمناقشات الإلكترونية الآلية. انظر Mailing List.

□. أي الملفات الاتصالية من نوع تفاعل تبادلي interactivité. وهي ملفات التي تهدف إلى إقامة اتصال فعلي بين مخلف مستعملي الأنترنيت : بتبادل البرامج بين بعضهم والبعض الآخر، بواسطة أجهزة الكمبيوتر المرتبطة بشبكة الأنترنيت. راجع مصطلح Interactivité.

ويعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي :
 .Liste de Discussion Automatique

Client : الزبون

هو برمجية Logiciel تسمح للمستخدم، في شبكة الأنترنت، بالاتصال عن طريقها، بمقدم الخدمات Serveur. انظر هذا المصطلحين.
 وتمتاز برمجية الزبون بمهارة فائقة تجعلها لا تنقل إلى مقدم الخدمات إلا المعلومات اللازمة.

Commerce électronique : التجارة الإلكترونية

هي التجارة التي تسمح للمنتجين بعرض منتجاتهم أو خدماتهم، عبر شبكة الأنترنت. وهي التي تضمن لأصحابها عرضا واسع النطاق وبإمكانها جلب عدد كبير من الزبائن. كما تسمح بتخفيض أسعار المعاملات الحالية، في التجارة العالمية، وتمكن من تحقيق اقتصاد في كلفة الهاتف والورق (المستعمل في المراسلات التقليدية).
 لكن هذه التجارة لا تتمتع، إلى اليوم، بنصوص قانونية خاصة بها. لضمان أمن المعاملات، فإن التجارة الإلكترونية الحالية تستلزم إطارا قانونيا وتشريعا مناسباً لحماية حقوق المتعاملين، على الصعيد العالمي.

Connexion : الربط بشبكة الأنترنت

يتطلب الربط بشبكة الأنترنت المستلزمات الآتية: جهاز الحاسوب والخط الهاتفى والموديم. ويوضع جهاز الموديم بين الحاسوب والخط الهاتفى (انظر الشكل الموضح في مصطلح Internet).

البريد الإلكتروني : Courrier électronique

يدلّ هذا المصطلح على الخدمات البريدية التي تقدمها شبكة الأنترنت للمستخدمين فيها. وتتجسد هذه الخدمات في تبادل الرسائل إلكترونياً بين مختلف الأشخاص والمؤسسات، بشرط أن يكون لكل مشترك عنوان إلكتروني Adresse électronique (انظر هذا المصطلح. مثال : HASSIB @ IST. CERIST. DZ).

تتكون الرسالة الإلكترونية E-mail، على غرار الرسالة التقليدية، من جزأين أساسيين □ :

1. الرأس (en-tête) Header.

2. المتن (corps) Body.

يتضمن الرأس العناصر الآتية: تاريخ الرسالة، عنوان المرسل from، عنوان المرسل إليه to، موضوع الرسالة subject، الخ. أما المتن فإنه يتعلق بمضمون الرسالة. تواجه مستعمل البريد الإلكتروني عقبة أساسية تتمثل في صعوبة الحصول على عناوين مختلف المراسلين. ولم يتم تذليل هذه العقبة إلا بعد اختراع محركات البحث المتخصصة (مثل : "هووير" whowhere أو "فور 11" Four 11²) التي تتولى البحث عن عنوان المرسل إليه، استناداً إلى المعلومات البسيطة التي هي بحوزة المرسل. لكن، يعاب على هذه المحركات أنها لا تقبل إلا المشتركين الذين سبق لهم أن أعربوا عن رغبتهم في تسجيل عناوينهم ضمن دليل خاص.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op. cit., p. 648.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op. cit., p. 217.

ينفرد البريد الإلكتروني بالمزايا الآتية :

1. إنه أقل تكلفة مقارنة له بالفاكس والهاتف.
2. إنه أسرع بكثير من البريد العادي، بحيث لا تستغرق مدة إرسال أي رسالة إلا بضعة ثوانٍ.
3. إمكانية إلحاق الرسالة الإلكترونية بمختلف الملفات أو الوثائق (مثل : الصور، الرسوم، الموسيقى، الخ).
4. إن الرسالة الإلكترونية تبقى مخزنة في رقم الحساب Numéro de Compte (انظر هذا المصطلح)، طوال فترة غياب المرسل إليه. وتبقى محفوظة في مساحة خاصة، إلى حين قراءتها من قبل المستقبل الذي يمكن له حذفها إذا أراد ذلك. إذا كانت >> المحاورة التليفونية تتسم بأنها تزامنية synchrone¹، إذ إن على كلا الطرفين أن يكون على الخط في اللحظة نفسها>>²، فإن الاتصال، عبر البريد الإلكتروني، يعدّ اتصالاً "لا تزامنياً" communication à-synchrone. والواقع أن إيجاد وسائل لتحويل أشكال الاتصال التزامني إلى أشكال اتصال لا تزامني إنما هو جزء من الطبيعة البشرية : >> فقبل اختراع الكتابة منذ خمسة آلاف عام مضت، كان الشكل الوحيد للاتصال بين البشر هو الكلمة المنطوقة، وكان على جمهور الناس أن يكونوا حاضرين أمام المتكلم وإلا فستفوتهم الرسالة. وما إن أصبح بالإمكان كتابة الرسالة حتى توفرت إمكانية تخزينها وقراءتها في وقت لاحق من قبل أي إنسان ووقتاً رغب في ذلك>>³.

□. اللهم إذا كان المشترك في الهاتف قد حرص على تسجيل جميع المكالمات الواردة إليه باستخدام جهاز "الآنسر ماشين" أو "المجيب الهاتفي" Répondeur automatique.

□. جيتس بيل، المعلوماتية بعد الأنترنت (طريق المستقبل)، ترجمة : عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص. 114.

□. جيتس بيل، المرجع السابق، ص : 114.

5. إذا كان المتكلم في الهاتف يمكنه أن يخفي هويته عن متلقي المكالمات الهاتفية، فإن المستقبل المشترك، في البريد الإلكتروني، بإمكانه أن يعرف هوية المرسل حال تلقيه أي رسالة منه: لأن العنوان الإلكتروني [□] يحتوي على قرائن indices تسمح بمعرفة البلد الذي وردت منه الرسالة، المنطقة الجغرافية التي يوجد فيها الموقع (site) الذي أرسلت بواسطته تلك الرسالة، اسم الشخص الذي راسله، الخ. يقابل هذا المصطلح الفرنسي المصطلح الإنجليزي Electronic Mail (E-mail).

البريد الإلكتروني : Electronic Mail (E-mail)

انظر Courrier électronique.

عالم الجوفر : Espace Gopher

انظر Gopher Space.

إيدورا : Eudorat

هو البرمجية الخاصة بتشغيل البريد الإلكتروني Courrier électronique (انظر هذا المصطلح).

ليفة بصرية (ج. ألياف) : Fibre optique

هي ليفة رقيقة جدا مصنوعة من زجاج أو من مادة لدنة (بلاستيك)، مؤلفة من قلب cœur وغلاف gaine.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op. cit., p. 725

وقد شهدت الألياف البصرية، خلال السنوات الأخيرة، تطورا كبيرا إلى أن أصبحت وسيلة ناجعة في إرسال مختلف المعلومات (في شكل إشارات ضوئية). وتمتاز الليفة البصرية، مقارنة لها بالسلك المعدني *câble métallique*، بسهولة نقلها.

تجدد الإشارة، إلى أن الجزائر قد أقامت "الربط الكامل" *Full Connexion* بشبكة الأنترنت، في مارس 1994، عن طريق هذه الليفة الضوئية. راجع مصطلح *Internet*.

ملفات : Fichiers

تستعمل أجهزة الكمبيوتر نوعين رئيسيين من الملفات :

1. ملفات "آسكي" *Fichiers ASCII*،

2. الملفات الثنائية *Fichiers binaires*.

انظر هذين المصطلحين.

ملفات "آسكي" : Fichiers ASCII

هي الملفات النصية المكتوبة بالحروف المطبعية التي تتلاءم مع "شفرات آسكي" *codes ASCII*. وتتجسد هذه الشفرات في مجموع الحروف التيبوغرافية *caractères typographiques* (راجع المصطلحين : *Caractères d'imprimerie, Codes typographiques*).

لنذكر بعض ملفات آسكي، بالنظر إلى تركيباتها *formats* المختلفة :

- تركيبة "دوك" *Doc*.

- تركيبة "بي.إس" PS (Post Script).
- تركيبة "الهيبرتاكست" HTML (Hypertext Markup Language).
- تركيبة "في.آر.إيم.أيل" VRML (Virtual Reality Modeling Language) :
الخاص بالواقع الافتراضي Réalité virtuelle (انظر هذا المصطلح).
راجع الجدول المرفق.

الملفات الثنائية : Fichiers binaires

هي الملفات التي تشفر معطياتها، وفق النظام الثنائي Système binaire :
بوصفه النظام الذي يقوم على ترجمة مختلف المعلومات وتخزينها داخل حاسوب،
باستخدام الرقمين الأساسيين الآتين: "0" وعدد "1".
وهي الملفات التي لا تقتصر على النصوص فحسب □ ، بل تتضمن كذلك الجداول،
الرسوم البيانية، البيانات المكتوبة mentions écrites، الصور □ والأصوات □ .
يمكن تصنيف الملفات الثنائية، وفق الوسائط الاتصالية المتعددة multimedia
الآتية :

-
- . RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne Trucs, astuces et secrets internet, op. cit., p. 629.
 - . يمكن أن تكون الصور images ثابتة fixes (مثل : الصور الفوتوغرافية) أو متحركة animées (مثل : الصور السينمائية وصور الفيديو).
 - . تتجسد الأصوات من المنظور السيميولوجي، من خلال العناصر الدالة الآتية :
- الصوت المنطوق به son phonique (مثال : صوت المتكلم من خلال حوار الممثل السينمائي أو التعليق السمعي - البصري أو أي محادثة عادية).
- الصوت الموسيقي son musical : أي الموسيقى الآلية musique instrumentale.
- الصوت التماثلي son analogique (مثل : الضجيج أو الضوضاء، دوي المدافع).

أ. الملفات النصية documents textuels :

نذكر من بينها الملفات الثلاثة ذات التركيبات المختلفة الآتية: تركيبة "دوك"

Doc، تركيبة "إتش.تي.إيم.آيل" HTML، تركيبة "إتش.تي.إيم" HTM.

الملفات الثنائية Fichiers binaires	ملفات آسكي Fichiers ASCII	الوسائط الاتصالية multimedia
	- ملف دوك .DOC - ملف "الفيوناكست" .HTML .HTM .SHHTML (Hypertext Markup Language) - ملف "بي.إس" .PS .EPS (PostScript) - ملف "تي.إي. إكس" .TEX - ملف "تي.إكس.تي" .TXT	الملفات النصية Documents textuelles
- ملف "جي.أي.أف" .GIF (Graphics Interchange Format) - ملف "جي.بي.إي.جي" .JPEG .JPG (Joint Photography Experts Group) - ملف "بي.إين.جي" .PNG (Portable Network Graphics) - ملف "تي.أي.أف" .TIFF .TIF (Tagged Image File Format)		الصور الثابتة Images
- ملف "إي.يو" .AU - ملف "إي.أي.أف" .AIFF (Audio Interchange File Format) - ملف "إيم.أي.دي" .MID (Musio Instrument Digital Interface) - ملف "آر.إي" .RA (RealAudio) - ملف "واف" .WAV (Waveform Audio File Format)		الأصوات Audio
- ملف "إي.بي.أي" .AVI (Video For Windows) - ملف "كويك تايم" .MOV .QT (QuickTime Movie) - ملف "إيم.بي.إي.جي" .MPEG . MPG (Moving Pictures Expert Group) - ملف "آر.إي" .RA (Real Audio)		الصور المتحركة Vidéo
- ملف "إي.آر.إيم.أيل" .VRML .WRL .WRZ .VRW (Virtual Reality Modeling Language)		الواقع الافتراضي Réalité virtuelle

ب. الملفات المتعلقة بالصور images :

مثال : لنذكر الملفين الآتيين :

1. ملف "جي.آي.آف" GIF (Graphics Interchange Format) : الخاص

بالأيقونات وبعض أنواع الصور images.

2. ملف "جاي.بي.إي.جي" JPEG (Joint Photography Experts Group) :

الخاص بالصور الفوتوغرافية.

ج. الملفات الصوتية Audio :

مثال : لنذكر الملفين الآتيين :

1. ملف "إي.يو" AU (Audio).

2. ملف "إيم.آي.دي" MID (Music Instrument Digital Interface) :

الخاص بالموسيقى.

د. الملفات المتعلقة بالصور المتحركة Vidéo :

نذكر من بينها الملفين الآتيين :

1. ملف "إي.في.آي" AVI (Video for Windows).

2. ملف "آر.إي" RA (Real Audio) : الخاص بالصور المتحركة الناطقة.

راجع الجدول المرفق.

الملفات الطباعية : Fichiers graphiques

هي الملفات التي تتضمن الجداول والرسوم البيانية.

"المؤسسة المانحة الربط بالإنترنت" : Fournisseur d'Accès à Internet

هي المؤسسة التي يتعيّن على كل مشترك جديد، في الأنترنت، أن يفتح فيها

رقم حساب Numéro de compte (انظر هذا المصطلح) خاص به حتى يستطيع،

من خلاله الدخول، في شبكة الأنترنت. مثال: يعدّ، في الجزائر، "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني" CERIST - إلى غاية مارس 2000 - "المؤسسة المانحة الربط بالأنترنت": سواء بالنسبة للأشخاص الطبيعيين أم الأشخاص المعنويين.

بروتوكول نقل الملفات : FTP

على غرار "بروتوكول نقل النص الفائق المحتوى" HTTP:// الذي يقوم بنقل صفحات "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW (انظر هذا المصطلح) لعرضها على شاشة جهاز الحاسوب، توجد عدة طرق أخرى للدخول في شبكة الأنترنت يأتي في مقدمتها "بروتوكول نقل الملفات" FTP:// الذي يعدّ الطريقة الأولى [□] المستخدمة من قبل مستعملي الأنترنت، لتبادل الملفات بين بعضهم والبعض الآخر.

يختص هذا البروتوكول في نقل الملفات الاتصالية (من نوع تفاعل تبادلي interactivité) : لضمان تبادل المعلومات والوثائق بين المشتركين، في شبكة الأنترنت.

للحصول على هذه الملفات الاتصالية يمكن الاستعانة ببرمجية "آرشي" Archie (انظر هذا المصطلح). بمجرد العثور على أي ملف من قبل برمجية "آرشي" يقوم "بروتوكول نقل الملفات" (FTP) بنقل ذلك الملف من "موقعه" site، لجلبه إلى حاسوب المستعمل. والهدف من ذلك هو تحقيق تبادل الملفات بين

□. Initiation à la navigation sur Internet, support de cours rédigé par les techniciens du Centre de Recherche sur l'Information Technique et Scientifique (CERIST), Alger, 1999, p. 17.

الزبائن Clients ومقدمي الخدمات Serveurs بشكل صحيح. انظر هذين المصطلحين. وقد تكون هذه الملفات برمجيات logiciels [□] أو وثائق أخرى.

يعني مصطلح FTP باللغة الإنجليزية : File Transfer Protocol .

ويعني باللغة الفرنسية : Protocole de Transfert de Fichier .

بروتوكول تبادل الملفات من خلال البريد :

FTP à Travers Electronique le Courier

انظر FTP-by-mail .

بروتوكول تبادل الملفات من خلال البريد : FTP-by-Mail

يسمح "بروتوكول تبادل الملفات من خلال البريد" لكل مشترك، في شبكة الأنترنيت، بإرسال رسالة، عبر البريد الإلكتروني Electronic Mail (انظر مصطلح Courier électronique)، إلى أي مقدم خدمات اتصالية يتضمنه "بروتوكول نقل الملفات" FTP، ليطلب منه فيها إفادته (عن طريق البريد الإلكتروني نفسه) بالملفات التي تهتمه. في بعض الأحيان، يمكن لمستعمل الأنترنيت، أن يلاقي صعوبات في الحصول على ملف معين، عن طريق "بروتوكول نقل الملفات" FTP، وبخاصة أن هذا البروتوكول يشهد، من حين إلى آخر، فترات ازدحام لكثيرة الطلب عليه. أمام هذه الوضعية وربحا للوقت، يمكن لهذا المشترك اللجوء إلى

□. نذكر من بينها البرمجيات الآتية : برمجيات ألعاب الشطرنج، برمجيات خاصة بالحسابات comptabilité، برمجيات متعلقة برقن النصوص Traitement de textes وبرمجيات خاصة بالصور.

”بروتوكول تبادل الملفات من خلال البريد“ Ftpmail : ل << يتولى جلب ذلك الملف ، بواسطة البريد الإلكتروني ، إلى جهاز الكمبيوتر الموجود في بيته >> □ .

يعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي :

.FTP à Travers Electronique le Courrier

الجوفر : Gopher

برمجية logiciel تسمح بالعثور على مختلف المصادر والمعلومات ، بالاعتماد على القوائم menus (أي من غير تسجيل عناوين المواقع adresses des sites).

يعني هذا المصطلح ، في اللغة الإنجليزية : ”الحيوان الصغير من فصيلة القوارض ، الذي يكدح كثيرا للحصول على قوت صغاره“. وقد اشتق من الكلمتين الإنجليزيتين : go fer : أي ”أذهب وأبحث“.

إذن ، فإن برمجية جوفر تشبه ذلك الحيوان من فصيلة الثدييات mammifère التي تقرض شبكة الانترنت.

عالم الجوفر : Gopher Space

يطلق هذا المصطلح على عملية الانتقال بين القوائم المدرجة في برمجية الجوفر Gopher. وهو ما يعني الإبحار Navigation ، في عالم الجوفر. انظر هذين المصطلحين.

يعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي Espace Gopher.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, Astuces et Secrets Internet, op cit., p. 628.

المضيف : Host

هو كل جهاز كمبيوتر مرتبط بشبكة الأنترنت يقع في مكان بعيد. ويمكن الدخول عليه باستخدام برمجية "الربط عن بعد" Telnet (انظر هذا المصطلح).

لغة إشارات النص الفائق المحتوى : HTML

هي لغة برمجة langage de programmation محتويات مختلف مواقع "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW (انظر هذا المصطلح). وهي كذلك اسم التركيبة format [□] التي تتميز بها صفحات "الشبكة العنكبوتية العالمية" (من حيث التصميم، الكتابة، الطبع والعرض).

كما تمتاز هذه اللغة بشمولها العديد من الوسائط الاتصالية المتعددة multimedia (مثل : النصوص، الجداول، الرسوم البيانية، الصور والأصوات).
الرسوم البيانية، الصور والأصوات).

يعني هذا المصطلح باللغة الإنجليزية : Hyper Text Markup Protocol.
ويعادله المصطلح الفرنسي : Protocole de Balisage Hypertext.

بروتوكول نقل النص الفائق المحتوى : HTTP

هو البرمجية logiciel التي تسمح بنقل صفحات "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW (انظر هذا المصطلح) عرضها على شاشة جهاز حاسوب المستعمل.
يعني مصطلح HTTP باللغة الإنجليزية : Hyper Text Transfer Protocol.
ويعادله المصطلح الفرنسي : Protocole de Transfert Hypertext.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op.cit. p. 742.

النص الفائق المحتوى : Hypertexte

هو النص المدرج في "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW الذي تتشابك عناصره بين بعضها والبعض الآخر من خلال روابط منطقية liens logiques (راجع مصطلح WWW)، إذ تسمح لأي مشترك، في شبكة الأنترنت، بالإبحار نحو نصوص أخرى.

وهو النص الذي يكون مسجلا في ملف يتضمن وسائط اتصالية متعددة multimedia (مثل: النص، الصورة، الصوت، الخ).

تفاعل تبادلي : Interactivité

هي الملفات الاتصالية التي يقترحها مقدمو الخدمات serveurs التابعين لـ : "بروتوكول نقل الملفات" FTP (انظر هذا المصطلح). وهي الملفات التي تهدف إلى إقامة اتصال فعلي بين مختلف مستعملي الأنترنت.

كما يمكن أن تكون هذه الملفات عبارة عن برمجيات (مثال : برمجيات خاصة بألعاب الشطرنج أو برمجيات متعلقة بالحسابات comptabilités، الخ).

الأنترانيت : Intranet

إذا كانت شبكة الأنترنت Internet (بوصفها "شبكة الشبكات" le réseau des réseaux) تجسد الاتصال ما بين مختلف الشبكات المعلوماتية العالمية المرتبطة بين بعضها والبعض الآخر، فإن شبكة الأنترانيت Intranet (بوصفها شبكة المؤسسة) هي التي تضمن الإعلام والاتصال داخل المؤسسة الواحدة.

قائمة المناقشة : Liste de discussion

انظر Mailing List.

قائمة المناقشة الآلية : Liste de discussion automatique

يعادل هذا المفهوم الفرنسي المفهوم الإنجليزي Automatic Mailing List (انظر هذا المصطلح).

قائمة المناقشة : Listes Mailing

انظر Mailing List.

قائمة المناقشة : Mailing List

هي برمجية logiciel تسمح لأي مشترك، في شبكة الأنترنيت، بأن يناقش إلكترونيا مختلف الموضوعات (الثقافية، الفنية، السياسية، الاقتصادية، الخ) مع مجموعة من المشتركين، في الشبكة. ولا يمكن إجراء هذه المناقشة الإلكترونية إلا للأشخاص الذين سبق لهم أن سجلوا أسماءهم ضمن قائمة خاصة.

كما يمكن لمستعملي البريد الإلكتروني Courrier électronique (انظر هذا المصطلح) من الاستفادة من هذه الخدمة. وهو ما يفسح المجال لهم من المشاركة في مثل هذه المناقشات أو المؤتمرات.

ويعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي : Liste de discussion.

انظر المصطلحين : Automatic Mailing List, Newsgroups.

النمط الطباعي : Mode graphique

- في الأنترنت : هو النمط الذي يتم بوساطته الحصول على النص المكتوب
 texte (انظر Fichiers ASCII)، مرفقا بعدة وسائط اتصالية multimedia أخرى
 (مثل: الصورة، الرسوم البيانية، الصوت، الخ). انظر Fichiers binaires.
 ويقابل النمط الطباعي النمط النصي Mode textuel (انظر هذا المصطلح).

الموديم : Modem

- في الأنترنت : هو الجهاز الإلكتروني الذي يوضع بين الحاسوب والخط
 الهاتفي للربط بينهما. ويقوم بتشكيل أرقام الهاتف ليسمح للحاسوب بإجراء الاتصال
 عبر خط هاتفي: بتحويل الإشارة الرقمية numérique (= المعلوماتية informatique)
 إلى الإشارة التماثلية analogique (= الهاتفية téléphonique). والعكس.

النمط النصي : Mode textuel

- في الأنترنت : هو النمط الذي يتم بوساطته الحصول على النصوص
 textes المكتوبة (انظر Fichiers ASCII) فقط، دون الوسائط الاتصالية الأخرى.
 ويقابل "النمط النصي" "النمط الطباعي" Mode graphique (انظر هذا
 المصطلح).

المبحر : Navigateur

هو البرمجية Logiciel التي تسمح بالانتقال (استنادا إلى روابط "النص الفائق
 المحتوى" liens Hypertextes) من "موقع" site إلى آخر، داخل "الشبكة العنكبوتية
 العالمية" WWW. كما تسمح هذه البرمجية بعرض صفحات "بروتوكول نقل النص

الفائق المحتوى " HTTP على شاشة جهاز الحاسوب. انظر مختلف هذه المصطلحات.

الإبحار : Navigation

يدل هذا المصطلح، في لغة الأنترنت، على عملية الانتقال بين "مواقع" sites "الشبكة العنكبوتية العالمية" WWW (انظر هذا المصطلح): لعرض مختلف الملفات fichiers المدرجة، في شبكة الأنترنت.

فرق النقاش : Newsgroups

هي فرق النقاش groupes de discussion التابعة لشبكة "يوزنات" Usenet (انظر هذا المصطلح). وتوجد عبر العالم عدة "فرق نقاش": بعضها مسجل في القوائم الرسمية لشبكة "يوزنات" والبعض الآخر غير مسجل وغير معروف.

يمكن تصنيف "فرق النقاش" المسجلة في القوائم الرسمية لشبكة "يوزنات" إلى سبع فئات كبرى تدعى "بيغ سبين" Big Seven. وهي: "كامب" COMP، "مايسك" MISC، "نيوز" NEWS، "راك" REC، "إس.سي.آي" SCI، "إس.أو.سي" SOC و"تولك" TALK.

تقترح مجموعة "نيوز" NEWS الموضوعات الآتية: علم الأحياء biologie، الطب médecine، الرياضيات mathématiques، المعلوماتية informatique، علم الاجتماع sociologie، القضايا السياسية la politique، الشؤون الدينية la religion، الخ.

أما مجموعة "تولك" TALK فهي التي تسمح بإجراء النقاش الحي (live) المباشر (en direct). وتستدعي تقنية المباشر أن يكون المتحدثان على الخط، في اللحظة نفسها.

تعدّ هذه المجموعات "فضاءات حرة للمناقشة" discussion forums de من خلالها لمستعملي الأنترنت من نقاش العديد من الموضوعات المهمة: ضمانا لتبادل وجهات النظر بين بعضهم والبعض الآخر.

كما ترتبط هذه الخدمة أيضا بالبريد الإلكتروني Electronic Mail : فإذا طرح أحد المشتركين (المسجل في فرقة نقاش معينة) أي سؤال يتعلق بقضية من القضايا فإن ذلك السؤال يُستقبل بطريقة آلية من قبل جميع مشتركى تلك الفرقة. انظر Mailing List.

ومن جهة أخرى، نلاحظ بأن المؤسسة الأمريكية "أمريكا أونلاين" America Online (انظر هذا المصطلح) هي التي تمنح الربط بـ "فرق النقاش"، بمقابل أسعار معقولة [□].

رقم حساب : Numéro de compte

عند الاشتراك في شبكة الأنترنت، يتعين على كل مشترك فتح حساب يحمل رقما خاصا (يمثل رقم الحساب المصرفي) لدى "المؤسسة المانحة الربط بشبكة الأنترنت" Fournisseur d'accès à internet (انظر هذا المصطلح). وبفضل هذا الرقم الخاص يمكن التمييز بين مختلف مستعملي internautes شبكة الأنترنت.

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op.cit. p. 249

بروتوكول مكتب البريد : POP

هو برمجية logiciel تسمح للمشاركين، في شبكة الأنترنت، باستلام رسائلهم الإلكترونية المودعة في صناديق بريد B.P "المؤسسات المانحة الربط بشبكة الأنترنت" Fournisseurs d'Accès à Internet (انظر هذا المصطلح).

يعني مصطلح POP، في اللغة الإنجليزية : Post Office Protocol.

ويعادله المصطلح الفرنسي : Serveur de Courrier Entrant.

الواقع الافتراضي : Réalité virtuelle

هو الواقع الذي يتكون من صور افتراضية images virtuelles يحصل عليها المبدع عن طريق الحاسوب. وهي صور اصطناعية ثلاثية الأبعاد تمتزج فيها الحقيقة بالخيال. إذا كان مسؤولو القاعات السينمائية المختصة في عرض "الأفلام المجسمة ذات السطح البارز" films en relief يسلمون للمتفرجين نظارات خاصة تسمح لهم بمشاهدة هذا النوع من الأفلام، فإن تكنولوجيا الواقع الافتراضي تستدعي، هي كذلك، ارتداء خوذات (ذات نظارات خاصة) وقفازات، الأمر الذي يمكن مستخدم هذه التكنولوجيا من الغوص بكل حواسه في بيئة الكمبيوتر المصطنعة، لاستكشاف الصور المعروضة ومعايشة عالم المحاكاة أو الخيال كما لو كان واقعا فعليا.

تعد ملفات "آسكي" الآتية : VRW ، WRZ ، WRL ، VRML (انظر الجدول المرفق بمصطلح Fichiers ASCII) ملفات قادرة على وصف الأشكال الثلاثية الأبعاد، في وسطها الفعلي. وهي الملفات المعلوماتية informatiques التي تستعمل كذلك، في الأنترنت، وبالتحديد في منظومة "واب" WWW (انظر هذا المصطلح).

وتستعمل تكنولوجيا الواقع الافتراضي لعدة أغراض وتطبيقات عسكرية. وقد استخدمت، خلال السنوات الأخيرة (وبخاصة في حرب الخليج وخلال القصف الجوي الأمريكي على أفغانستان)، في تحديد الأهداف أثناء أي هجوم عسكري.

مُقَدِّم الخدمات : Serveur

هو البرمجية logiciel التي تقدم خدمات محددة، في شبكة الأنترنت. وهي الخدمات التي تنقل إلى الزبون Client (انظر هذا المصطلح)، في شكل رسائل messages إلكترونية.

الخط المتسلسل للأنترنت : SLIP

هو البرمجية التي تسمح باستعمال شبكة "بروتوكول مراقبة النقل / بروتوكول الأنترنت" TCP/IP : لغرض ربط أي جهاز حاسوب بالأنترنت عبر جهاز الموديم modem والخط الهاتفي.

يعني هذا المصطلح، باللغة الإنجليزية : Serial Line Internet Protocol .

ويعادل المصطلح الفرنسي : Protocole Internet pour les Lignes en Série .

بروتوكول مراقبة النقل / بروتوكول الأنترنت : TCP/IP

يدل هذا المصطلح على الجزء الخفي partie cachée، في شبكة الأنترنت. وهو الجزء الذي يتمثل في مجموعة من البرمجيات logiciels التي تسمح بربط الشبكات المعلوماتية الموجودة في شتى أنحاء العالم، بغرض إقامة الاتصال بين بعضها والبعض

الآخر، عبر شبكة الأنترنيت. بمعنى آخر، يعني هذا المصطلح : >> اللغة المشتركة التي تتخاطب بوساطتها كل أجهزة الكمبيوتر المرتبطة بشبكة الأنترنيت<<[□].
يعني هذا المصطلح، في اللغة الإنجليزية :

.Transmission Control Protocol / Internet Protocol

ويعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي :
.Protocole de Contrôle de Transmission / Protocole Internet

الربط عن بعد : Telnet

هو برمجية logiciel تسمح بالاتصال مباشرة بالحواسيب البعيدة المرتبطة بشبكة الأنترنيت. ويمكن للمشارك، من خلال هذه البرمجية، من الاستفادة من عدة خدمات. مثل : الاتصال بينك المعلومات الخاص بمختلف المؤسسات، الاطلاع على عناوين الكتب الموجودة في مختلف المكتبات العالمية، إمكانية الحصول على مضايمين تلك الكتب، الخ.

ويعادل هذا المصطلح الإنجليزي المصطلح الفرنسي Machine Distante.

زمن الحدث : Temps réel

تتميز الأنترنيت، مقارنة بوسائل الإعلام والاتصال الجماهيري (Mass media)، أن الاتصال بين المرسل والمتلقي يمكن أن يكون سواء اتصالا "لا تزامنيا" (à-synchrone) أو اتصالا "مؤجلا" différé (كما هو الحال، في نموذج البريد الإلكتروني Courrier électronique. انظر هذا المصطلح) أم اتصالا

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op. cit. p.

”تزامنيا“ synchrone : وهو الاتصال الحي (live) أو المباشر على الهواء (en direct) الذي تعتمد عليه ”فرق النقاش“ (وبخاصة فيما يتعلق بمجموعة ”تولك“ TALK. انظر Newsgroups)، الأمر الذي يضمن وصول المعلومات -من المرسل إلى المتلقي- في زمن حدوثها.

شبكة الأخبار عبر الأنترنت : Usenet

هي إحدى شبكات الأنترنت المتخصصة في الأخبار ومناقشة مختلف الموضوعات. وهي شبكة تضم عدة ”فرق نقاش“ Newsgroups (انظر هذا المصطلح) تحظى بإقبال عدد كبير من المشتركين. وتصلهم الأخبار، في شكل مقالات مكتوبة تدعى news (nouvelles) لتسمح لكل مشترك بقراءتها: سواء للتعليق عليها أم لإعادة كتابتها من جديد (إذا كان ذلك ضروريا).

من جهة أخرى، نلاحظ بأن عددا كبيرا من مستخدمي الأنترنت لا يتابعون إلا هذه الشبكة المتخصصة، وبخاصة أنها تُعدّ، منذ ربطها بمختلف شبكات الأنترنت، في نهاية الثمانينيات، وسيلة اتصال مهمّة (بوصفها منبرا حرا) وشبكة عالمية كبيرة (بحيث تشغل حوالي 30.000 نظام[□] قادر على تحقيق التبادل اليومي للأخبار بين كل المشتركين).

فيرونيكا : Veronica

برمجية logiciel تسمح بالبحث عن مختلف قوائم menus ”الجوفر“ Gopher (انظر هذا المصطلح).

□. RUDOLPH Mark Torben et BEYER Arne, Trucs, astuces et secrets Internet, op. cit. p. 670.

الواقع الافتراضي : Virtual reality

انظر Réalité virtuelle.

الشبكة العنكبوتية العالمية : WWW

تتميز نهاية القرن العشرين بالتطور المذهل الذي حدث في مجال المعلوماتية informatique والاتصالات السلكية واللاسلكية télécommunications. وقد نجم عن الزواج السعيد لهذين المجالين ميلاد عدة شبكات معلوماتية réseaux informatiques تأتي في مقدمتها شبكة الأنترنت Internet.

إذا كانت شبكة الأنترنت، في الثمانينيات، وفقا على الباحثين والجامعيين فإنها أصبحت، في التسعينيات، وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات لكثير من سكان العالم.

وقد أصبح هذا التواصل (بين مختلف الأفراد والمؤسسات) ممكنا بفضل :

<< منظومة "واب" (World Wide Web) >> . تم اختراع هذه المنظومة، عام 1989، في سويسرا، من قبل "المركز الأوروبي للبحث النووي" CERN.

تعدّ هذه المنظومة أداة طباعية outil graphique قوية بإمكانها الحصول على النص المرفق بعدة وسائط اتصالية (مثل: الجداول، الرسوم البيانية، الخرائط

□. OUAHES Karim, "Etude et conception d'une interface Web avec les SGBDS relationnels", CERIST (Revue d'Information Scientifique et Technique), Vol 7, n° 2, 1997, p. 11.

الجغرافية، الصور والأصوات). وهي منظومة سهلة الاستعمال تمكن مستعملي الأنترنت، من الاطلاع على الكثير من المعلومات المثيرة وتحقق لهم الخدمات المهمة الآتية: التجارة عن بعد *télécommerce*، السياحة عن بعد *télétourisme*، العلاج لطبي عن بعد *télémedecine*، التعليم عن بعد *téléenseignement* والعمل عن بعد *télétravail*.

وهكذا، أصبحت هذه المنظومة الإعلامية والاتصالية شبكة عنكبوتية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وهي تقوم على ربط مختلف مقدمي الخدمات *Serveurs*¹ بين بعضهم والبعض الآخر، من خلال روابط شكلية *liens physiques* (أي الشبكة المؤلفة من الأجهزة الإلكترونية *le réseau matériel*) وروابط منطقية *Liens logiques* (أي روابط "النص الفائق المحتوى" *liens Hypertextes*).

تتم هذه الخدمة بفضل: >> "لغة الهيبيرتاكست" *HTML* (انظر هذا المصطلح)². وهي لغة البرمجة *langage de programmation* التي تسمح بهيكلية *structuration* صفحات "الشبكة العنكبوتية العالمية" (من حيث التصميم، الكتابة، الطبع والعرض). ويتم نقل هذه الصفحات لعرضها على شاشة جهاز الحاسوب، عن طريق "بروتوكول نقل النص الفائق المحتوى" *HTTP* (انظر هذا المصطلح).

يعني تعبير *Web* "الشبكة العنكبوتية" *Toile d'araignée*.

ويعادل مصطلح *"WWW"* المصطلح الفرنسي:

«*Toile d'araignée de documents couvrant le monde entier*».

□. نذكر من بينهم: مقدم خدمات الجوفر *Gopher serveur*، مقدم خدمات بروتوكول نقل الملفات *serveur FTP*، مقدم خدمات الربط عن بعد *Telnet serveur*، مقدم خدمات بروتوكول نقل النص الفائق المحتوى *serveur HTTP* (الخاص بمنظومة "واب")، الخ. انظر المصطلحين: *Serveur, Client*.

□. *Idem., ibid., p. 12.*

إكس موديم : X modem

هو إحدى البرمجيات logiciels الأولى المستعملة من قبل "بروتوكول نقل الملفات" FTP (انظر هذا المصطلح). ويُعبأ على هذه البرمجية أنها بطيئة جدا ولا تسمح بنقل الملف دفعة واحدة وإنما يتم ذلك على عدة مراحل. وتستخدم لاكتشاف الأخطاء التي قد تحدث أثناء عملية النقل.

واي موديم : Y modem

هو إحدى برمجيات "بروتوكول نقل الملفات" FTP (انظر هذا المصطلح). وتستخدم لنقل الملفات بسرعة فائقة، وبخاصة أنها ترفق بعدة خصائص (مثال: تاريخ اليوم، الساعة، الخ).

زاد موديم : Z modem

هو إحدى برمجيات "بروتوكول نقل الملفات" FTP (انظر هذا المصطلح) التي تقوم بالنقل المتواصل لعدة ملفات (بمجرد إعطاء أمر واحد). كما تسمح بنقل أي فقرة من ملف ما (دون اللجوء إلى نقل ذلك الملف بكامله).

عنوان الدراسة باللغة الفرنسية :

«Internet : étude communicationnelle et terminologique»

Par : IBERRAKEN Mahmoud

الملخص باللغة الفرنسية Abstract :

Cette étude comporte deux parties. La première partie met en exergue les caractéristiques communicationnelles de l'internet : les origines et l'évolution de ce réseau , son usage dans les différents aspects de la vie, les procédures d'abonnement et son introduction en Algérie ainsi que les

différents services que propose l'internet à la société de communication d'aujourd'hui et de demain. La deuxième partie étant lexicologique passe en revue les principaux termes relatifs à l'internet, comme le courrier électronique, le commerce électronique Fichiers binaires, FTP, Newsgroups, Réalité virtuelle, WWW, etc.

عنوان الدراسة باللغة الإنجليزية :

"Internet : Communicational and Terminological Study"

تجربة المجلس الأعلى للغة العربية
في وضع المصطلحات
قراءة في معجم المصطلحات الإدارية

لعبيدي بوعبد الله
أستاذ مساعد بجامعة البليدة

إن أهم سمة يتسم بها هذا العنصر هي العلمية في تناول مختلف القضايا الإنسانية والاجتماعية، وتقتضي هذه العلمية استخدام الأسلوب العلمي، الذي هو عبارة عن عدد من المفردات مثل الأسلوب الأدبي أو الديني، إلخ، أضيفت عليه معان خاصة، تعارف عليها العلماء كل في مجال تخصصه" وهي ما تعرف بالمصطلحات العلمية.

وإذا كان الميل إلى دراسة المصطلحات بما يصحبه من استقرار وضبط وتحقق وتحليل وتقييس وفهم للنظام الاصطلاحي وتخيل لاستراتيجيات الوضع هو أهم ما يهدف إليه علم المصطلح (Terminologie)، فإن الخوض في موضوع هذا العلم ليس من السهولة بمكان؛ للمكانة التي يحتلها بين بقية العلوم، فهو علم العلوم بلا منازع، والرواق الذي نلج من خلاله في أغوار الحقول المعرفية المتعددة.

أصف إلى خطورة الموضوع إمكانية الفشل في اختيار المصطلحات المناسبة (التسمية) الدالة على المعاني المقصودة (المفهوم)، باعتبار أن المصطلحات تدخل ضمن الأرصدة اللغوية لمختلف الألسن البشرية، ومن ثم كان النظر الفاحص والتفكير المتريث والوعي بعملية ميلاد المصطلحات تلك أولى من محض التبني الذي قد يسيء إلى اللغة من حيث بنيتها وقواعدها وأنماطها الداخلية وفلسفتها ووظائفها أكثر مما يثريها ويطورها.

ذلك أن تطور الأمم مرهون بمدى استيعاب للعلوم وتطويرها للمفاهيم واعتناؤها بالتسمية يضمن لها تنمية لغوية وتواصلًا ابستمولوجيًا لا يمكن أن يستغني عنه تنمية جميع الأصعدة الفكرية والمناحي الحياتية.

وإذا عرفنا ما للجهاز المصطلحي من دور في إثراء اللغة والحفاظ على توازنها اللساني والاجتماعي والمعرفي أدركنا دافعية اهتمام العلماء اليوم البالغ بعلم المصطلح، وتخصيص المؤتمرات العلمية والدورات المنتظمة العديدة لوضع المصطلحات وتوحيدها والتنظير لها، وحل العضلات التي تلحقها وقد تعيقها في شتى الميادين العلمية والفنية والتقنية، إلخ، على الرغم من أن للعرب السابقة في الاهتمام بهذا المجال. فنظرة خاطفة على حركة الترجمة والنقل[□] خلال عصر المأمون (170هـ-218هـ) تكشف أن مئات من العلماء قد بذلوا طاقات هائلة قصد تأدية المفاهيم العلمية، وبها حددوا مبادئ العلم الذي أتاح للأوروبيين -فيما بعد- معاشتها بفضل ما نقل إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى من كتب عربية[□]، وأورد في هذا الصدد ما قاله الجاحظ (162هـ/775م-255هـ/868م) حيث يقول : "وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان، وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا"[□].

□. ينظر بحث "حركة النقل والترجمة حتى العصر العباسي" : منجية منسية ضمن الترجمة ونظرياتها : لمجموعة من الأساتذة، بيت الحكمة، تونس، 1989 : 145 وما بعدها.

□. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي : محمد المنجي الصيادي. مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1993 : 33-34.

□. كتاب الحيوان : الجاحظ، تح : عبد السلام هارون، ط1، 1938 : 75/1.

وترجع بوادر المصطلحية (Terminographie) المعاصرة إلى بعض علماء الاختصاص في أوروبا، ثم عند العلماء العرب بعد النهضة التي عاشتها مصر في عهد محمد علي (1183هـ/1769م-1266هـ/1849م) [□].

ثم رعييل آخر في نهايات القرن 19 وبداية القرن 20 [□].

ولقد كان النشاط المصطلحي في البلاد العربية ولا يزال تنظيراً ووضعاً في عدد من الاقطار كمصر وسوريا والعراق والأردن حيث المجامع اللغوية، ومكتب تنسيق التعريب في المغرب، وبعض المؤسسات الأخرى، وجهود بعض العلماء في المشرق والمغرب [□].

وفي الجزائر يعد معجم المصطلحات الإدارية الذي نشره المجلس الأعلى للغة العربية مبادرة رائدة -حسب علمي- ومحاولة تأسيسية حسنة لولا بعض النقائص التي يستحسن مراعاتها قصد استدراكها في الطبقات اللاحقة والمشاريع القادمة.

إنها قراءة متواضعة أحاول من خلالها الإشارة إلى أهم النقاط المتعلقة بجوانب نظرية تتعلق بعلم المصطلح "Terminologie" وأخرى إجرائية تتعلق بالمصطلحية "Terminographie".

أولاً : معجم خاص أم معجم عام !

□. انظر : "من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقسيمه في اللغة العربية" : إبراهيم بن مراد، ضمن : الثقافة بوصفها تعبيراً، مطبعة م ع ت ث ع، تونس، 1992 : 100 وما بعدها.

□. "المصطلحية العربية المعاصرة" : جواد حسني عبد الرحيم سماعنه، ضمن مجلة : اللسان العربي، العدد 37، 1993 : 163.

□. ينظر المرجع نفسه : 164.

إن أول ما يلفت نظر متصفح المعجم أنه يضم مصطلحات من شتى التخصصات "Multidisciplinaire" مما يجعله معجماً عاماً، وليس إدارياً بالمفهوم الدقيق للفظ، أما باعتبار المفهوم الإجرائي أي واقع الاستعمال، فإن كثيراً من المصطلحات قد أغفلت لأسباب لم يشر إليها في مقدمة المعجم، رغم كثرة استخدامها في مختلف إدارتنا ومؤسساتنا، وهي تنتمي إلى هذه الحقول المفهومية نفسها. وإلا كيف نفسر ورود مصطلح "الكلب-Rage" و"قرص مضغوط-Cd rom" و"سنة كبيسة - Année bissextile" و"رياضة الدراجات - Cyclisme" وأغفلت "Asthme" و"Fax" و"Clavier" و"Cadastre" و"Athlétisme" وغيرها من المصطلحات التي لا يمكن حصرها في هذا المقام مما لها نظيراتها في المعجم. والجدول الآتي يبرز عينة من هذه المجالات، وأمثلة عن مصطلحات كل مجال :

أ- المصطلحات الاقتصادية والفلاحية :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
63	4	Crises économiques	أزمات اقتصادية
37	5	Charges	أعباء وتكاليف
32	8	Capitaux marchands	أموال تجارية
غير وارد	26	Caisse nationale	الصندوق الوطني
107	49	Inflation monétaire	تضخم مالي
61	56	Coût	تكلفة

32	74	Campagne labour- semaille	حملة الحرث والبذر
194	88	Surtaxe	رسم إضافي
36	94	Champêtre	زراعي
110	99	Irrigation	سقي أو ري
121	102	Marché libre	سوق حرة
36	111	Change de monnaie	صرف العملة

ب - الأدوات والآلات :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
38	63	Chignole	ثاقبة أو مثقاب يدوي
61	68	Couveuse	حاضنة
34	99	Cable secteur	سلك كهربائي
غير وارد	122	Reflecteur	عاكسة أو مرآة عاكسة
49	122	Compteur gaz	عداد الغاز
93	123	Cristallin de l'œil	عدسة بلورية
29	138	Bouteilles à gaz	قارورات الغاز
25	193	Balance électrique	ميزان إلكتروني

ج - المصطلحات الفنية والرياضية :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
65	93	Cyclisme	رياضة الدراجات
29	93	Boulisme	رياضة الكرة الحديدية
61	96	Course de vitesse	سباق السرعة
60	96	Cours de demi-fond	سباق نصف الطويل
32	135	Calligraphie	فن الخط
18	135	Arts plastiques	فنون تشكيلية
18	135	Arts graphiques	فنون خطية
86	184	Echelle de dessin	مقياس الرسم

د- المعادن والأحجار :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
25	91	Ballast en gravier	رصة حصبوية
182	93	Sable caillouteuse	رمل حجري
182	93	Sable grossier	رمل خشن
180	110	Roche acide	صخر حمضي
6	136	Acier laminable	فولاذ مطرق

هـ- المصطلحات الطبية والبيطرية والبيولوجية :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		

158	51	Putréfaction	تعفن
61	52	Couverture médicale	تغطية طبية
180	94	Rhume	زكام
86	127	Ecobiologie	علم البيئة الحيوية
44	131	Coma	غيبوبة
161	150	Rage	كلب
45	153	Commission médicale	لجنة طبية

و- مصطلحات الإعلام الآلي :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
27	35	Bogue 2000	بوغ 2000
15	49	Applications informatiques	تطبيقات معلوماتية
132	68	Ordinateur	حاسوب
176	104	Reseau local	شبكة معلوماتية محلية
190	133	Souris	فأرة الحاسوب
175	135	Répertoire de fichier	فهرس البطاقية
34	142	Cd rom	قرص مضغوط
87	162	Effacer un fichier	محو ملف
201	179	Touche clavier	مفتاح وظيفي
202	200	Transferer un fichier	نقل بطاقية

ز- المصطلحات الكيميائية والفيزيائية :

الصفحة	المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
--------	-----------------	--------------

فرنسي عربي	عربي فرنسي		
13	8	Amiante Ciment	أميانت الإسمنت
44	18	Combustion	احتراق
27	35	Biotechnologie	بيوتكنولوجيا
27	35	Polarographe	جهاز الاستقطاب البياني
155	78	Propriété[s] physico-chimiques	خصائص فيزيوكيميائية
189	85	Solubilité	ذوبان ، أو انحلال
182	99	Sacharose	سكر القصب أوسكاروز
139	137	Physique	فيزياء[*]
29	145	Brai	قطران
39	151	Chemie	كيمياء
27	151	Biochemie	كيمياء حيوية
178	180	Resistance thermique	مقاومة حرارية

ح- المصطلحات القانونية والسياسية :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
80	3	Dispositions statutaires	أحكام قانونية
176	10	Reserve légale	احتياط قانوني
166	13	Refonte des statuts	إصلاح القوانين الأساسية
31	13	Cadre juridique	إطار قانوني
5	18	Accord international	اتفاق دولي
156	32	Protocole	بروتوكول أو اتفاق
194	58	Surjection canonique	تلفيق قانوني
33	69	Cas litigieux	حالة موضوع نزاع
7	81	Action judiciaire	دعوى قضائية

ط- المصطلحات الإدارية البحتة :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
184	7	Secretariat	أمانة أوسكرتارية
82	10	Domaines	إدارة أملاك الدولة
24	12	Avis d'arrivée	إشعار بالوصول
58	21	Convocation du conseil de direction	استدعاء مجلس الإدارة
154	44	Promotion à l'ancienneté	ترقية بالأقدمية
165	62	Recrutement	توظيف
66	119	Demande d'audience	طلب مقابلة
51	125	Congé annuel	عطلة سنوية

ي- مصطلحات أخرى :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
28	3	Bonnes mœurs	أخلاق حسنة
70	79	Déception	خيبة أمل
189	80	Sombre	داكن أو مظلم أو قاتم
135	88	Paquet	رزمة أو حزمة
14	101	Année bissextile	سنة كبيسة
41	102	Clôture : en Zimerman	سياج : بالأسلاك الشوكية
198	103	Taxi collectif	سيارة أجرة جماعية
139	121	Phénomène à	ظاهرة عشوائية

		léatoire	
203	200	Transport public de voyageurs	نقل عمومي للمسافرين

لقد كان بالإمكان تفادي مثل هذا النقص وذلك الخلط لو خصص المجلس عدة لجان تتألف كل لجنة من لسانيين و مترجمين وإعلاميين ومختصين في مختلف المعارف والفنون، تهتم كل لجنة بتخصص معين، بحيث تستقصى فيه كل المصطلحات المستعملة بطريقة مسحية، ووفق المنهج العلمي الموافق للمناهج الحديثة لوضع المصطلحات والتقييس. ونثمر في النهاية هذه الجهود بطبع عدة معجمات خاصة يمكن بعد ذلك أن تشكل موسوعة للمصطلحات العلمية والفنية والتقنية، إلخ أو بنكا للمصطلحات.

ولعلّ هذا الذي أدى بالدكتور عبد الملك مرتاض أثناء تقديمه المعجم بوصفه دليلاً في قوله "ذلك، وقد ارتأينا أن نصدر هذا "الدليل" أو هذا المعجم الإداري الصغير، تحت ثلاثة أشكال تيسيراً للاستعمال..."[□] والفرق واضح عند اللسانيين بين القاموس "Dictionnaire" والمعجم "Lexique" والملفظة "Vocabulaire" والملسنة "Glossaire" والدليل "Guide" ينظر في محله.

ثانياً : انتقاء المصطلحات

جمع أغلب علماء المصطلح على أن أفضل تعريف (أوربي) للمصطلح هو التعريف التالي : "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة

□. معجم المصطلحات الإدارية : المجلس الأعلى للغة العربية، دار هومة، الجزائر، 2000 :

(تقديم)، ب.

مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها، وحدد في وضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري".[□]

وإن الناظر في المصطلحات المتواجدة في المعجم لي طرح عدة تساؤلات حول طبيعتها ومصادقية تواجدها ضمنه؛ ذلك أنها كونت حشدا اصطلاحيا أحدث بعض الخلط المنافي للمفهوم السابق، ولبسا حول معايير الاختيار و/أو الانتقاء التي اعتمدها واضعوه، وبالتالي غموضا في سمات الوحدات الاصطلاحية الأساسية التي تشكل لنا نظاما اصطلاحيا منسجما، آخذين بعين الاعتبار قواعد الضبط الاصطلاحي. حتى لتوجد بعض الألفاظ التي لا تعدو كونها ملفوظات لغوية تدخل في تركيب نظام أغلب الألسن البشرية، أي ما يتعلق باللغة العامة. والجدول الآتي يوضح عينة منها :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
125	7	Moins que	أقل من
142	7	Plus grand que	أكبر من
125	15	Moins que (à)	إلا إذا
141	15	Plus au moins	إلى حد ما
105	16	Il est fort probable	إنه لمن الأرجح
78	17	Dés à présent	ابتداءً من الآن، أو من

□. التعريف وارد في : Linguistisches wörterbuch لـ Th.Lewandowski نقلا عن : الأسس

اللغوية لعلم المصطلح لـ : محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة، القاهرة، ب ت : 11-

			الآن فصاعدا
1	17	A partir de	ابتداء من
1	17	A compter de	ابتداء من
82	26	Dont la teneur suit	التالي نصه
90	31	En caractères très apparents	بحروف واضحة جدا
1	33	A cause de	بسبب
158	34	Purement et simplement	بلا قيد ولا شرط
193	37	Suite à	تبعاً لـ
98	37	Faisant suite	تبعاً لـ
21	39	Au-dessous	تحت
91	39	En prevision de	تحسباً، أو احتياطاً لـ
90	49	En application de	تطبيقاً لـ
1	54	A peu ptés	تقريباً
147	54	Presque	تقريباً
53	75	Considérant que	حيث إن، أو بما أن
137	75	Partout	حيث ما كان
21	75	Au moment de	حينما، أو حينئذ
55	79	Contrairement	خلافاً لـ
127	131	Neanmoins	غير أن
132	132	Or	غير أن، أو إلا أن
204	135	Uniquement	فقط، أو لا غير
21	136	Au plus vite	في أسرع وقت
33	136	Cas : en aucun cas	في أي حال من الأحوال
145	153	Pour	لـ، أو من أجل
96	159	Exemple	مثال

135	159	Par exemple	مثلا
82	187	Dorénavant	من الآن فصاعدا
105	187	Il est évident	من البديهي، أو من الواضح
105	188	Il est certain que	من المؤكد أن
68	189	Depuit	منذ
68	190	Depuis peu	منذ قليل أو حديثا
91	194	En conséquence	نتيجة لذلك، أو بالتالي
34	202	Ceci étant	هذا وإن
11	209	Ainsi que	وكذا
105	210	Il semble	يبدو
167	210	Relatif à	يتعلق بـ
49	210	Concernant	يتعلق بـ، أو فيما يخص
14	210	Apparaît	يتضح

إذا كان الشيء يستغرب إذا ظهر في غير موضعه، فإن الغرابة هنا تنتفي إذا علمنا أن انتقاء هذه المفاهيم كان من الوثائق الإدارية بشكل عشوائي مثلما ورد في التقديم: "... وإنما قام على جهود الهيئات الحكومية الجزائرية أمدتنا بوثائق تتعلق بالمصطلحات الإدارية كانت أصدرتها مثل وزارة الداخلية والجماعات المحلية والمديرية العامة للتوظيف العمومي، وزارة الفلاحة والري، ووزارة التربية، ووزارة الشباب والرياضة"□.

إن هذه الملفوظات لا تحتاج إلى جهد كبير للبحث عن مقابلها الأجنبي من وإلى لغة ما. بل إن قاموسا ثنائي اللغة كفيل بأداء وظيفة الترجمة هذه التي صنف فيها

□. المعجم : (تقديم)، ج.

الكثير من المترجمين والمختصين في تعليم اللغات، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- تعابير وترجمة من الفرنسية إلى العربية لإبراهيم أبو حميدة، طبع بالجزائر، ب ت.
- دليل تقنيات التحرير الإداري والمراسلة لرشيد حباني، Les belles imprissions، الجزائر، 2000م.

ولعل أحسن مثال على النزعة اللغوية -التعليمية لهذا المؤلف هو ما جاء في (ص 207/39) :

تجدون رفقة هذا ← Veuillez trouver ci-joint

إن هذه العلامات اللغوية من ظروف وصفات وجمل فعلية واسمية مفيدة وغير مفيدة ومركبات اسمية إذا كانت تنتمي إلى اللغة كاصطلاح يعبر بها عن غرض ما في مجتمع ما، فهي لا تنتمي إلى الاصطلاح كلغة بين المختصين، بحيث إنها تستعمل في الخطاب الأدبي والديني، الخ بخلاف المصطلحات فإن ظهورها في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمات تنتمي إلى مجال محدد على نحو ما ذهب إليه كوبيكي (1935) أحد اللغويين المنتمين إلى مدرسة براغ أثناء تعريفه للمصطلح □.

لذلك يفترض عدم الحسم في "اصطلاحيتها" إلا بعد دراستها علامة علامة، بالكشف عن نوع العلاقات التي تربطها بالمجال الاصطلاحي عاما كان أو خاصا،

بشكل يضمن لها -فيما بعد- اتساقا داخليا وتماسكا مفهوميا، ويرفعها إلى رتبة المصطلح العلمي لأنها تتصف بسماته [□].

ثالثا : استراتيجيات الوضع

إن هذا المعجم يستوقف قارئه في عدة حالات تتعلق بعملية وضع المقابلات للمصطلح الأجنبي، ويمكننا الإشارة إلى حالتين منها :

الحالة الأولى : ما يتعلق بوضع عدة مقابلات لمصطلح واحد : وتنقسم هذه الحالة إلى :

أ/ ما يتعلق باللغة العامة :

189/80	Sombre	- داكن أو مظلم أو قاتم
207/99	Voie	- سكة، مسلك، سبيل
139/145	Piece	- قطعة، وثيقة، حجرة
201/151	Total	- كلي، شامل، تام، مجموع

وهذه سمة طبيعية بالنسبة لقاموس عام فيما يتعلق بمفهوم عام تتحدد الفروق فيه حسب الاستعمال والسياق والمقام...

وينبغي هنا أن لا ننسى أن اللغة العامة تستسيغ هذا الترادف، وتستسيغ أيضا من الاشتراك والزخرف اللفظي وحتى الغموض أحيانا ما يساعد على تلوين المعاني وتنويع الأساليب الشعرية والبلاغية وغيرها مما يضمن لها الفعالية اللغوية "L efficacité langagiere" وهذا خارج نطاق المعجم كما سبق.

ب/ ما يتعلق بالمصطلحات : وهو نوعان :

1. تسمية واحدة لعدة مفاهيم : ومن أمثلة ذلك :

202/40	Tranfert	} - تحويل :
57/ 40	Conversion	
202/40	Transformation	
168/41	Remise	} - تخفيض
2/41	Abaissement	
161/41	Rabais	
42 / غير وارد	□ Manipulation	} - تداول
40/42	Circulation	
12/42	Alternance	
154/58	Prolongation	} - تمديد
12/58	Allongement	
155/58	Prorogation	
164/58	Reconduction	
154/58	Prolongement	

2. عدة تسميات لمفهوم واحد : ومن أمثلة ذلك :

تحقيق

□. إن مصطلح "Manipulation" غير وارد في القسم (فرنسي عربي) بمفهوم "التداول" بل "المعالجة باليد" وفي هذا من الاختلاف ما لا يخفى لأنَّ الفرق بين المفهومين بين.

207/40	Vérification	مراقبة فحص
128/61	Normalisation	{ توحيد ضبط تقييس
116/107	Licence (Diplôme)	{ شهادة ليسانس إجازة رخصة
17/143	Arrêté	{ قرار ... مقرر ...
144/193	Port	{ ميناء مرفأ مرسى

إن وضع المصطلحات يفرض التعامل مع مفهوم واحد وفي مجال واحد باختيار تسمية واحدة، بعيداً - ما أمكن ذلك - عن الاعتباطية في العلاقة. وعند الضرورة القصوى يمكن اختيار أكثر من لفظ - وهو المطرد في المعجم - ولكن ذلك يقتضي وضع شروح لهذه التسميات، ونقسيمها إلى معالم ومداخل، وتفريعها وفق ضوابط منهجية محددة، وكذلك توضيح الفروق بينها، ومجالات استعمالها، ومرجعياتها كما هو الشأن في (قرار-مقرر)، (توحيد-ضبط-تقييس) و(Transformation-conversion-transfert)

و(Circulation-Manumulation-Alternance). وذلك حتى نتفادى الدخول في حقول دلالية مرتبكة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللفظ "Interpréte" وضع مقابله "مترجم"، في حين أن واقع الاستعمال يحدده بـ"ترجمان" والحق أن لفظ "مترجم" يقابل "Traducteur"؛ للتفريق بين الترجمة الكتابية "Traduction" والترجمة الفورية الشفوية "Interprétation" التي تحمل معاني التفسير والتأويل. وإلى هذا أشار المتنبي في قوله :

ملاعب جنّة لو سار فيها سليمان لسار
بترجمان □

[وافر]

وفي اللسان : الترجمان : المفسر للسان □ .

الحالة الثانية : ما يتعلق بطرق الوضع :

لقد وظف القائمون على المعجم الطرق المعروفة في وضع المصطلحات من اشتقاق وترجمة ونحت واقتراض وغيرها □ .

□. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب : ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، ب ت : 452/2.

□. لسان العرب : ابن منظور، ب ت، مادة (ترج).

□. لوضع المصطلحات شروط وضوابط حددتها المجامع العربية وبعض الدراسات الفردية، ينظر مثلا : دور المؤسسات الثقافية في تنمية اللغة العربية : صالح بلعيد، 1993، (مخطوط).

أ/ فمن أمثلة الاشتقاق :

- 180/37 Rivure - تبرشم (تبرشمت)
 180/34 Rivet(s) - برشام (براشيم)
 22/87 Autorisation de change - رخصة صرافة

على أن الاشتقاق مع ما يقدمه من إثراء اللغة العربية ينبغي أن يراعي فيه الابتعاد عن الصيغ الغريبة التي لا تنسجم مع المجال المعرفي المحدد، ويستحسن وضع تعريف يحدد معناه ومطانه، ومجال استخدام كل مصطلح، بشكل يضمن له التداول وعدم الهجران، ومن أمثلة ذلك :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
180	34	Rivetage	برشمة
202	44	Transcodage	ترقنة
38	68	Chicane	حابسة
3	97	Abrasion	سجج...
199	157	Telautographe	مبرقة

و"اللغة العربية في مواكبة الفكر العلمي" : محمد سويسبي، ضمن : من قضايا اللغة العربية المعاصرة لـ : مجموعة من الأساتذة. مطبعة م ع ت ث ع، تونس، 1990 : 140 وما بعدها.

205	168	Usager de la poste	مرتفق البريد
29	176	Broché	مضبور
79	194	Dispositif	نبيضة ...

ب/ ومن أمثلة النحت :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
180	34	Rivetage	برشمة
27	35	Biotechnologie	بيوتكنولوجيا
11	65	Algérianisation	جزرأة
73	66	Dédouanement	جمركة
155	78	Propriété physico-chimiques	خصائص فيزيوكيميائية
156	146	Puissance électromagnétique	قوة كهرومغناطيسية
81	171	Distance orthodromique	مسافة أورتودرومية
123	185	Mécanisation	مكننة

ويمكن ملاحظة عدم التوافق في طريقة وضع المقابل للفظ "Mécanisation" و "Automatisation" بحيث وضع للفظ الأول مصطلح "مكننة" والثاني "أداء تلقائي" مع وجود مصطلح "تألية" المستعمل في كثير من البحوث والدراسات الإعلامية والاقتصادية. فقد وقفت على بعض مذكرات التخرج في المدرسة العليا للتجارة وقسم الإعلام الآلي للتسيير أذكر منها : - تألية تسيير الموارد البشرية - دراسة حالة

شركة سوناطراك (مديرية الخدمات الاجتماعية). إعداد : موسى بوسرية وآسيا عدّار، إشراف : مصطفى شلبي وسعيدة زيروني (1999).

- تألية حساب سعر التكلفة - دراسة حالة مؤسسة النسيج الجزائري (Etexal)، إعداد مونية بوذراع وأحمد عيادن وكمال بوخاري، إشراف لخضر لعلام (1999). وكذا مصطلح "Biochimie" فإن مقابله "كيمياء حيوية" □ ومصطلح "Biotechnologie" مقابله "بيوتكنولوجيا"، فالملاحظ أن السابقة "Bio" قوبلت مرة بالصفة "حيوية" ومرة بالترجمة اللفظية "بيو" وغيرها من الأمثلة. والأفضل اتباع منهج واحد.

على أنني أرى في هذه الحالة استعمال المقابل "بيو" مع ما يحدثه من مخالفة قانون الاتساق (Cohérence) بين الصفة والموصوف في "كيمياء حيوية" فإنه يجعل المقابل لفظا واحدا، أخصر، منحوتا، سهل النطق، واضح الدلالة ؛ باعتبار سابقة اللفظ الواحد على أكثر من لفظ، إذ من شأن العرب أن تقلل الكثير إذا عرف المعنى. ونظير هذا مصطلح "ربع سنوي" مقابل "Trimestriel" مع وجود لفظ "فصلي" الأخصر والأشيع.

ومن أمثلة الاقتراض :

الصفحة		المقابل الفرنسي	اللفظ العربي
فرنسي عربي	عربي فرنسي		
192	22	Stratégie	استراتيجية
165	24	Reconnaissance de diplôme	الاعتراف بالشهادة أو الدبلوم

غير وارد	30	Baryte	باريت
60	32	Courier électronique	بريد الكتروني
156	32	Protocole	بروتوكول
27	35	Bogue 2000	بوغ 2000
غير وارد	35	Bauxite	بوكسيت
202	43	Transit importation	ترانزيت عند الاستيراد
33	77	Cartouche imprimante	خرطوشة الطابعة
84	81	Douzaine	دزينة
107	82	Indicatif telex	دليل التلكس
75	83	Demographie	ديموغرافيا
184	7	Secretariat	أمانة أو سكرتارية
182	99	Sacharose	سكر القصب أو سكاروز
38	108	Cheque nominatif	شيك اسمي
		Cheque de voyage	شيك السفر
		Cheque	شيك مصرفي
98	133	Facture	فاتورة
139	137	Physique	فيزيا [ء]
183	139	Salle d'archive	قاعة الأرشيف
157	147	Puissance mécanique	قوة ميكانيكية
39	151	Chimie	كيمياء
174	166	References bibliographiques	مراجع ببليوغرافية
81	171	Distance orthodromique	مسافة أورتودرومية

25	175	Banque	بنك
177	180	Résistance Dynamique	مقاومة ديناميكية
25	193	Balance électrique	ميزان إلكتروني

لن أدخل في تفاصيل دراسة هذه المصطلحات الأجنبية من حيث أصولها ومجالات استعمالها، إلا أن الملاحظ هو وجود بعض التسرع في وضع المقابل العربي، ذلك أن وضع المصطلح وحسن اختياره يقتضيان حسب علماء المصطلح ودارسي اللغات الانقياد بضوابط لغوية تتعلق ببنية اللغة وخصائصها وقواعدها وفلسفتها وضوابط لسانية - اجتماعية (Sociolinguistique) وأخرى عقلية - معرفية (Cognitif).

فإذا كانت اللغة العربية - كبقية اللغات العالمية - تقتض من غيرها، فإن هذا يأتي في مرحلة متأخرة بعد عدم وجود اللفظ العربي في التراث العربي - وهذا يتطلب تحرياً دقيقاً - أو استحالة الاشتقاق. وهذه الضوابط اللغوية هي باختصار :

- الابتعاد عن الاقتراض قدر الإمكان.
- الابتعاد عن اللفظ الذي له صيغة إقليمية ضيقة.
- تفضيل اللفظ الذي يمكن الاشتقاق منه على غيره.
- اختيار اللفظ الذي يخضع لصيغة عربية[□].

وغیرها من الضوابط.

والضوابط اللسانية والاجتماعية :

□. ينظر : "التعريب ووسائل تحقيقه" : محمد الفاسي، ضمن : مجلة "الأصالة" العدد 17،

1. استعمال اللفظ العربي المفرد خير من اللفظ النادر الاستعمال أو الغريب في حروفه أو صيغته، وهو ما يعبر عنه البلاغيون بفصاحة المفرد.
 2. الابتعاد عن الألفاظ ذات المفاهيم الخاصة أو الفاحشة في بعض الاستعمالات الدارجة أو الإقليمية بحيث لا يستنكف منها الذوق السليم. □
- وأما الضوابط العقلية - المعرفية : أن يضمن المصطلح التعرف عليه وحسن تخزينه في الذاكرة وضمان عملية الاسترجاع وغير ذلك من العمليات العقلية المعرفية. □
- وضوابط دلالية وبنوية وجمالية لا يسع المجال لذكرها. □
- ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى أن كثيرا من المقابلات العربية (في المعجم) لم تكن خاضعة لهذه المقاييس، واكتفي ببعض الأمثلة.
- إن مصطلح "Cheque" ورد مقابله "شيك" في عدة مواضع رغم وجود اللفظ العربي الشائع "صك" الوارد مرة واحدة. □
- ومصطلح "Transit" مقابله "ترانزيت" رغم وجود الألفاظ العربية عبور، مرور، مجاز، وساطة... وغيرها.

□. التعريب وتنسيقه : 33 وما بعدها.

□. "التعرف على النمط" : محمد العربي بدرينة.

□. ينظر المنهجية العامة للتعريب المواكب، مشاكله اللسانية والطباعية واصطلاحيته المزدوجة،

تقنياته ومشاكله : أحمد الأخضر غزال، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط،

1977 م : 59-61.

□. المعجم : 67/119.

- مصطلح "Archive" مقابله "أرشيف" رغم وجود اللفظ العربي "الربائذ" على نحو ما ذكره محمد الأخضر غزال[□].

وفي الأخير يمكننا القول بأن البحث حول السجل الاصطلاحي للغة ما يقتضي الاحتكام إلى قواعد الضبط الاصطلاحي من نظريات متعددة ومناهج مختلفة، ووفق مبادئ الاتساق الداخلي والتماسك المفهومي، ومراعاة شيوع المصطلح وغير ذلك من الأسس النظرية والعمليات الإجرائية.

كما يمكننا القول أيضا، أن فكرة هذا العمل الاصطلاحي في حد ذاتها وإن جاءت متأخرة فإنها جهد محمود اتضحت من خلالها رغبة لسانيين ومختصين من القائمين على المجلس الأعلى للغة العربية الصادقة في مواصلة جهود التعريب التي بدأت بعد الاستقلال، وهو لبنة تنضاف بسور الحركة العلمية في الجزائر. وبها يفتح المجال على مصراعيه أمام جميع المختصين في مختلف الحقول المعرفية ليزد الوسع في سبيل الحفاظ على حسن استخدام اللغة العربية ورعايتها وترقيتها حسب متطلبات العصر ومقتضيات العلم.

□. المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية : أحمد الأخضر غزال، معهد الدراسات

والأبحاث للتعريب، الرباط، ب ت : 21.

إن تراث الجزائر الثقافي بكل ألوانه وتعبيراته هو كل لا يتجزأ من منظور الذات الوطنية الواحدة، نستمدّ منه العزة والهمة ونستلهم منه المعالم، ونسترشد به للسير نحو الأمام، لخوض غمار العصر بثقة في النفس وطموح وثاب وواقعية متبصرة وحكيمة، بعيدة عن التعصب المقيت، والمزايدات الجوفاء وسلبتيات النكوص إلى الخلف، إلى الماضي، خوفا من المستقبل، أو القفز في الفراغ والمجهول، بسبب كراهية الذات والسخط الانفعالي على الماضي، بدون نقد وتمحيص ومقارنة مع غيرنا الذين يعيشون عصر ما بعد الحداثة وما بعد التصنيع، ولكنهم يعتزون بتراثهم التقليدي ويعيدون إحياءه ويباهون به الأمم.

إن تراث الجزائر الثقافي ملكية لكل الجزائريين، لا يقبل الاحتكار والخصوصية والاستخدام كغطاء سياسي أو لمناورات هدفها الضغط والابتزاز، وهو أيضا لا يقبل التجزئة المغرضة والتقسيم. إن الجزائريين مسلمون منذ مئات السنين وهم أمازيغ عرب وعرب أمازيغ يتساوون أمام قوانين الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، لا فرق بينهم سوى بالكفاءة والاستحقاق والبرّ بوطننا المفدى.

من خطاب فخامة رئيس الجمهورية، السيد
عبد العزيز بوتفليقة، في الملتقى الوطني حول:
"مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال
فنون القول الشعبية". تيارت 13 و14 أكتوبر 2002.



المجلس الأعلى للغة العربية

06 ، شارع العقيد أحمد بوفرة، الجزائر

الهاتف: 23.07.24 / 23.07.25 الفاكس: 021 23.07.07

ص.ب. 575 الجزائر، ديدوش مراد

www.csla.dz